

١٤٥٦ م ٢٠١٣ هـ
الطباطبائي

مَفْهُومُهُ - مَوْضُوعَاتٌ قَصَائِدٌ

جائز

د. محمد بن ابراهیم احمد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

فِقْرُ الْغَيْرِ

مَفْهُومُهُ - مَوْضُوعَاتُهُ - قَصَائِدُهُ

محمد بن إبراهيم الحمد ، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد بن إبراهيم

فقه اللغة: مفهومه، موضوعاته، قضاياه . /

محمد بن إبراهيم الحمد - ط ٢ - الرياض، ١٤٣٠ هـ

٢٤٦ ص ، ١٧ X سم

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٣١-٠٣-٢

أ - العنوان

١- فقه اللغة العربية

١٤٣٠/١١٥٠

ديوي ٤١٠

رقم الإيداع: ١٤٣٠/١١٥٠

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٣١-٠٣-٢

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةُ

الطَّبَعَةُ الثَّانِيَةُ

١٤٣٠ ص - ٤٠٩

وَارِدَةُ الْبَرْزَخِيَّةِ

لِلنَّسْخَةِ وَالتَّوزِيعِ

المَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ - التَّرَاضِيُّ

الْمَلَزُ - شَارِعُ الْأَحْسَاءِ - غَربَ حَدِيقَةِ الْحَيَاةِ

هَافَنْتُ : ٤٢٣٢٨٨ - ٤٢٦٩٩٣٣ - فَاكسُ : ٤٢٦٠٧٩٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل العربية على أشرف لسان، وأنزل كتابه الحكم في أساليبها الحسان، والصلة والسلام على أفضل العرب لهجة، وأصدقهم حجة، وأقوم الدعاة إلى الحق محجة، وعلى آله الأمجاد، وصحبه الذين فتحوا البلاد، ونشروا لغة التنزيل في الأغوار والأنجاد، وحببوها إلى الأعجمين حتى استقامت ألسنتهم على النطق بالضاد.

أما بعد :

فهذه أبواب وفصول في فقه اللغة العربية، يسر الله جمعها، وتأليف بعضها إلى بعض منذ فترة طويلة، وذلك أيام الطلب؛ حيث وضعتها لنفسي، ولم أرادها من زملائي.

وظلت حبيسة الأدراج حتى شاء الله بعثها من مرقدها؛ لترى النور. وبعد العزمية على إخراجها ظنت أن الأمر يسير، وأنه لا يحتاج إلى جهد كبير، وأنه مجرد ترتيب، وعزوه نقل، وإعادة صياغة؛ فلما توغلت فيه رأيت أنني أمام بحر لا ساحل له.

وقال أصيحيabi الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مر وإن من أعظم نعم الله على المؤلف أن يرى عند عزمه على التأليف أنه سهل ميسور، وأنه لا تمر عليه مدة وجيبة إلا أنجزه وأنه؛ فإذا ما ابتدأ فيه تفتّق ذهنه

عن مسائل لم يحلم بها، وطرأت عليه أبحاث لم يكن يتخيّلها، وإذاً هو في وادٍ متشعب يرى أنه لا بد له من سلوكه.

ولو علم بادئ الأمر ما سيلقه من المشقة والتعب لأبعد عن فكره خيال التأليف، ونأى بنفسه عن مسالك التكليف^(١) مفضلاً منادمة الأحباب، ودعة التنعم بمحفل بارد وشراب.

ولم تكن صعوبة ذلك البحث في دقته، وغموضه، و حاجته إلى الإبداع، والاجتهداد وطول البا ع بقدر ما كانت في تشتيته، وتفرق موضوعاته، وتجددها، وكون بعضها مطروقاً في كتب الأوائل، وبعضها في كتب المحدثين.

وتكون صعوبته - كذلك - في كون بعض تلك الموضوعات مفرداً في كتاب مطول، وكون بعضها الآخر مختزالاً مختصراً في كتاب يضم عدداً من الموضوعات. ومن هنا كانت الرغبة في جمع ما تيسر من شتات ذلك العلم، وترتيب منثوره وتقريب ما بعد من مسائله، وقصير بعض تطويله.

ولا يخفى أن ذلك كله من مقاصد التأليف كما أشار إلى ذلك القائل بقوله:
 لا فاعلمن أن التأليف سبعة
 لكل لبيبي في النصيحة خالصٍ
 فشرح لإغلاقٍ وتصحيفٍ مخططيٍ
 وابداعٍ حبرٍ مقدمٍ غير ناكصٍ
 وقصيرٍ تطويلٍ وتميمٍ ناقصٍ

ولقد كان الحرص شديداً على تيسير تلك المباحث، وتقريبها لمريديها،

١- أشار إلى هذا المعنى اللطيف الشيخ محمد طاهر الكردي حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ ثَنَةً الخطاط بمعرفة مكة في كتابه (مقام إبراهيم) ص ١٥٤.

وإبعادها عن جفوة المؤلفات اللغوية، وعنف ممارستها.

وإن مما دفعني إلى الكتابة في هذا الشأن قضاء بعض الحق للعربية، وبيان عظمتها، والوقوف على شيء من أسرارها، والتأكيد على بيان سعتها، واستيعابها لكل جديد، ورد الدعاوى التي تنادي بواهدها في ربيع حياتها.

ومن الدوافع إيقاف القارئ على شيء من عبرية علماء السلف الذين كان لهم قصب السبق في دراسة العديد من القضايا اللغوية والصوتية التي تفوق كثيراً من الدراسات الحديثة.

ومن أعظم الدوافع لذلك - أيضاً - إعانة الدارسين لفقه اللغة، وتسهيل وصولهم إليه خصوصاً من يتصدى لتدريس هذا العلم أو دراسته؛ فهم يعانون من تفرق مباحثه في كتب شتى؛ فلعل هذا الكتاب يعينهم على ما هم بصدده، فيصير هذا العلم لهم على طرف الشمام.

ولقد أفتت كثيراً من كتب العلماء والباحثين الذين ألفوا في فقه اللغة، سواء من القدماء أو المحدثين من سير ذكر لهم ولمؤلفاتهم في ثانياً هذا الكتاب.

أما عنوان الكتاب فقد حمل المسمى الآتي :

(فقه اللغة: مفهومه - موضوعاته - قضاياه)

أما خطته فجاءت مشتملة على مدخل، وأربعة أبواب، وخاتمة، وذلك على النحو التالي :

- مدخل: ويحتوي على قبس من التنزيل في التنويه بشأن العربية، وعلى بعض أقوال السلف، والعلماء والشعراء في تعظيم شأن العربية.

- الباب الأول : دراسة عامة للغة وفقه اللغة.

- الباب الثاني : دراسات عامة لبعض موضوعات فقه اللغة.

- الباب الثالث : دراسات في المعاجم العربية.

- الباب الرابع : مشكلات تواجه العربية.

وتحت كل باب من الأبواب السابقة عدد من الفصول ، وتحت كل فصل عدد من المباحث .

- الخاتمة : وتتضمن ملخصاً يجمع أطراف ما ورد في هذا الكتاب . وأخيراً لا يسعني إلا أنأشكر الله -عز وجل- على إعانته ، ولطفه ، وتسهيله ، وأسئلته أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به؛ إنه سميع قريب .

وبعد شكر الله أتوجه بالشكر الجليل ، وبالدعاء الخالص بكل من أuan على إخراج هذا الكتاب نسخاً ، وتصحيحاً ، ومقابلة ، وتوجيهها ، فأسأل الله أن يبارك فيه ، وأن يجعله هادياً مهدياً مباركاً أينما كان .

وإلى موضوعات الكتاب ، والله المستعان ، وعليه التكلال ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، والحمد لله رب العالمين .

د. محمد بن إبراهيم أحمـد

ط ١، ١٤٢٥/٩/١٥ هـ

ط ٢، ١٤٢٩/٥/٢٦ هـ

الرقمي ص.ب ٤٦٠

الرمز البريدي ١١٩٣٢

www.ToIslam.net

Alhamad@ToIslam.net

مدخل

قبس من التنزيل في التنويم بشأن العربية

قال الله -عز وجل- : «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)» يوسف.

وقال : «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» طه : ١١٣.

وقال : «نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)» الشعراة.

وقال : «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)» فصلت.

وقال : «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)» الزخرف.

نماذج من عناية السلف بالعربية :

قال عمر بن الخطاب رض : «تعلموا العربية؛ فإنها تزيد المروءة» ^(١).

قال شعبة رض : «تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في العقل» ^(٢).

وقال عبد الملك بن مروان رض : «أصلحوا ألسنتكم؛ فإن الماء تنويه النائبة، فيستغير الثوب والدابة، ولا يمكنه أن يستغير اللسان» ^(٣).

العربية في أعين العلماء والشعراء :

قال ابن فارس رحمه الله : «قال -جل ثناؤه- «خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَمَهُ الْبَيَانَ (٤)» الرحمن.

١- الجامع للخطيب البغدادي ٢٢٥/٢

٢- أمالی الزجاجي ص ١٩.

٣- نوادر الأدب لحمد المكي بن الحسين ص ٦٣.

فقدم - جل ثناؤه - ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه ، وتفرد بإنشائه من شمس ، وقمر ، ونجم ، وشجر ، وغير ذلك من الخلائق الحكمة ، والنشايا المتقدنة؛ فلما خص - جل ثناؤه - اللسان العربي بالبيان عُلِّم أن سائر اللغات قاصرة عنه ، وواقفة دونه ؛ فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ؛ لأن كل من أفهم بكلام على شرط لغته فقد بين - قيل له : إن كنت تزيد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعرِّب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أحسن مراتب البيان ؛ لأن الأباء قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلماً فضلاً عن أن يسمى بـ«يَبِّنَا أو يُبَلِّغَا».

وإن أردت أن سائر اللغات تُبَيِّن إبانة اللغة العربية فهذا غلط ؛ لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة^(١) .

وقال الشاعبي بِحَمْلِ اللَّهِ : «من أحب الله أحب رسوله المصطفى بِحَمْلِ اللَّهِ ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب^(٢) .»

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بِحَمْلِ اللَّهِ : «إِنَّ اللَّهَ لَمَا أَنْزَلَ كِتَابَهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، وَجَعَلَ رَسُولَهُ مِبْلَغاً عَنِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِلِسَانِهِ الْعَرَبِيِّ ، وَجَعَلَ السَّابِقِينَ إِلَى هَذَا الدِّينِ مُتَكَلِّمِينَ - لَمْ يَكُنْ سَبِيلٌ إِلَى ضَبْطِ الدِّينِ وَمَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِضَبْطِ هَذَا

١- الصاحبي ١٩.

٢- فقه اللغة وسر العربية ص ٥.

اللسان ، وصارت معرفته من الدين»^(١).

ويقول -أيضاً- : «إن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عمر بن يزيد قال : كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رض : أما بعد : فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن؛ فإنه عربي.

وفي حديث آخر عن عمر رض أنه قال : تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم.

وهذا الذي أمر به عمر رض من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال؛ ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله»^(٢).

وقال : «ومعلوم أن تعلم العربية ، وتعليم العربية فرض على الكفاية ، وكان السلف يؤذبون أولادهم على اللحن؛ فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسنة المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة ، والاقتداء بالعرب في خطابها»^(٣).

١- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ص ١٦٢.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧.

٣- مجموع الفتاوى ٢١/١٥٨.

وقال حافظ إبراهيم بِحَمْلَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ الْغُلَامِ على لسان اللغة العربية :

وناديت قومي فاحتسبت حياتي عقمت فلم أجزع لقول عداتي وما ضقت عن أي به وعظات وتنسيق أسماء مخترعات فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ^(١)	رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي رموني بعقم في الشباب وليتني وسعت كتاب الله لفظاً وغاية فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ
--	--

وقال الشيخ العلامة محمد الخضر حسين بِحَمْلَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ الْغُلَامِ في قصيده : حياة اللغة العربية :

من قوانين الهدى أبهى درر كلِمُ التَّنْزيلِ فِي أَسْمَى سُورٍ فلآلِي الْبَحْرِ لِيَسْتَ تَنْحِصُ فصَحَاءُ الْعَرَبِ سَيْلٌ مِنْهُمْ أَنْجَبَتْ أَرْضَ قَرْيَاشَ أَوْ مَضَرَّ	لغَةً أُودِعَ فِي أَصْدَافِهَا أَفَلَمْ يَنْسُجْ عَلَى مَنْوَاهَا هِيَ بَحْرٌ غَصْنٌ عَلَى حَلِيَّتِهَا فاضَ مِنْ نَهْرٍ مَبَانِيهَا عَلَى فَاسِلَ التَّارِيخِ يَنْبَئُكَ بِمَا
	مُفْلِقٌ يَسْحُبُ أَذِيَالَ الْفَخْرِ ^(٢) مِنْ خَطِيبٍ مَصْنَعٍ أَوْ شَاعِرٍ

ولعلامة العراق الشيخ محمد بهجة الأثري بِحَمْلَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ الْغُلَامِ قصائد عِذَابٌ في العربية ضمنها ديوانه المسمى (ديوان الأثري)، ومنها : قصيدة له عنوانها سيدة اللغات تقع في ٣٥ بيتاً، ومنها قوله :

سلامٌ أَخِيزُ بِالْجَمَالِ هِيَوْمٌ مِنَ الْلَّفْظِ مَنْسُوقٌ بِالْبَيَانِ رَخِيمٌ	سلامٌ عَلَى أَمِ الْلُّغَاتِ عَلَى الْمَدِي مَشْوِقٌ إِلَى الْجَرْسِ الرَّقِيقِ وَمَفْصِحٌ
---	---

١- ديوان حافظ إبراهيم ٢٥٣/١ وسيرد ذكر القصيدة كاملة.

٢- ديوان خواطر الحياة ص ١١١ وسيرد ذكر القصيدة كاملة.

كما هَرَّ عَطْفَ الزَّهْرِ رُوحُ نَسِيمٍ
صَفَاءُ مُضِيءِ الصَّفَحتَيْنِ يَتِيمٍ
مَنَافِثُ سَحْرِ فِي الْمَلَاحِ صَمِيمٍ
وَرْمُ سَحْرٍ لِفَظٍ بِالْحَيَاةِ زَعِيمٍ
وَطَيِّبَ مَذَاقِ وَاخْتِلَافَ طَعُومٍ
تَرْقِرَقَ عَذْبَأُوْمَ رَحِيقَ كَرُومٍ
يَزِيدَ عَلَى الْأَيَامِ حَسَنَ رَسُومٍ
مَصْفُى وَرَوْيَ طَبَعَ كَلَّ حَكِيمٍ
صَحْوَتَ عَلَى مَعْنَى أَغْرَّ عَظِيمٍ
وَعَزَّ بِمَعْطَاءِ الْحَيَاةِ كَرِيمٍ
وَاتَّى بِهِ الدُّنْيَا أَرِيجَ شَمِيمٍ
وَبِحَسِيبٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَلَّ رَمِيمٍ
(١)

تراقص مفتر الم باسم حرفه
إذا قلت در قلت بعض صفاتها
إذا قلت سحر قلت فاق استراقه
دع السحر من سود العيون تروده
أمم لغات العالمين بلاغة
بيانك أم ماء من الخلد كوثر
تجاوز عنان الدهور وحسناته
سقى كل ناح البيان زلاته
تنزل قرآن بهاما تلوته
تكرم بالوحى الأمين مبيته
تملا منه بالرواء محمد
سرى يفغم الآفاق مسكا وعنبرا

وقال في قصيدة رائعة أخرى عنوانها: (لغة مدت الظلال على الأرض)
وتقع في ١١٥ بيتاً، ومنها قوله:

ص واذكـت مـشاـعـرـاـلـإـنـسـانـ
مـنـ دـرـارـ وـلـؤـلـؤـ وـجـمـانـ
مـتـرـفـاتـ الـأـزـيـاءـ وـالـأـلـوـانـ
صـيـ وـأـنـفـاسـ مـصـطـفـيـ الرـحـمـنـ

لِفَةٌ مَدَّتِ الظَّلَالَ عَلَى الْأَرْضِ
وَأَفاضَتْ عَلَى الْلُّغَى زَائِنَاتٍ
مِنْ غَوَّالِي التَّنْزِيلِ مَسْتَكْرِماتٍ
مِنْ فَوَاغِي^(٢) الْحَدِيثِ مِنْ نَسْمِ الْوَحْيِ

١- ديوان الأثيري ص ١٢١-١٢٤.

٢- جمع فاغية، وهي الرائحة الطيبة.

من شذور الفصاح صوغ الأولى
 ألقَتْ والنسنا لها سرديٌّ
 وحلَتْ في اللهأة أطيب مالٍ
 كلما طال في العصور مداها
 سار شوطاً بنحوها سبويه
 وعلى ألفِيَالسِّفِيفِ فذ همامٍ
 قد جلوها عرائساً فاتناتٍ
 أيَنْ مني عدُّ النجوم؟ وأنَّى
 يدركُ اللمحُ كلَّ قاصٍ ودانِي؟^(١)

الباب الأول

دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وتحته أربعة فصول:

الفصل الأول: تعاريفات ومقدمات.

الفصل الثاني: دراسات في فقه اللغة.

الفصل الثالث: دراسة اللهجات العربية، والمنطق العربي.

الفصل الرابع: اللغة العربية، فضلها، عوامل سيادتها،

أثر الإسلام فيها.

الفصل الأول: تعاريفات ومقدمات

وتحتة سبعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم مصطلح فقه اللغة.

المبحث الثاني: موضوعات فقه اللغة.

المبحث الثالث: أهداف فقه اللغة ، وثراته ، وغاياته.

المبحث الرابع: مناهج البحث اللغوي.

المبحث الخامس: علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى.

المبحث السادس: اهتمام الإنسان باللغة.

المبحث السابع: جهود العلماء في التأليف في اللغة العربية.

الفصل الأول

تعريفات ومقدمات

المبحث الأول: مفهوم مصطلح فقه اللغة

أولاً: تعريف مفهوم فقه اللغة باعتبار مفرداته:

١- تعريف كلمة (فقه) : الفقه هو العلم بالشيء ، والفهم له ، والفتنة فيه.

يقال: فَقُهُ الرَّجُلُ فِقَاهَةً إِذَا صَارَ فَقِيهًا ، وَفَقَهٌ: أَيْ فَهْمٌ فَقِيهًا^(١).

وبعض العلماء يرى أن الفقه أخص من العلم ، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله :

«الفقه هو التوصل إلى علمٍ غائبٍ بعلم شاهد؛ فهو أخص من العلم»^(٢).

وقد وردت مادة (فقه) في القرآن الكريم عشرين مرة تحمل المعاني السابقة ،

فمن ذلك قوله - تعالى - : «فَمَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا».

وقوله - عز وجل - : «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ».

وقوله - تعالى - : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ».

وقد غالب استعمال (الفقه) على علوم الدين؛ لشرفها، وذلك من باب

تضييق الدلالة ، ولكنه يستعمل في غير علوم الدين بقرينة.

٢- تعريف كلمة (اللغة) : اللغة مشتقة من لغة يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها

١- انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٠

٢- المفردات في غريب القرآن ص ٤٠

الكلام؛ فهذا تعريفها في اللغة^(١).

أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جني في كتابه (الخصائص) حيث قال:

«حد اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢).

وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم - يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة؛ حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة:

أـ. أصوات منطقية.
بـ. وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض.

جـ. وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها. دـ. وأن لكل قوم لغة.

فهذه - تقريباً - هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة توسيع، فتدخل في اللغة كل وسيلة تفاهم، ولا تقتصر على الأصوات، فتجعل فيها الإشارات، وتعابيرات الوجه، ودقات الطبول وغيرها؛ فإن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطقية؛ لأن غيرها من الوسائل محدودة، وقليلة القيمة.

وتعريفها ابن الحاجب بأنها: «كل لفظ وضع لمعنى»^(٣).

ويراها بعض المحدثين: «أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء

١- انظر لسان العرب ٢٥١/١٥.

٢- الخصائص ٨٧/١

٣- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لأبي الثناء الأصفهاني ١٥٠/١

مجتمع معين»^(١).

ويراها آخر بأنها: «معنى موضوع في صوت»^(٢).

ثانياً: **تعريف فقه اللغة باعتبار تركيبه:** فقه اللغة - باعتبار تركيبه - يُعرف تعريفاً لغوياً، وتعريفاً اصطلاحياً.

تعريفه لغة^(٣): فقه اللغة من الناحية اللغوية هو: فهم اللغة، والعلم بها، وإدراك كنهها.

تعريفه في الاصطلاح: يطلق فقه اللغة في الاصطلاح على العلم الذي يعني بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتركيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك مما يجري ويدور في فلকه مما سألني ذلك عند الحديث عن موضوعات فقه اللغة.

ويمكن أن يعرف تعريفاً موجزاً، فيقال: هو العلم الذي يعني بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، ومواضيعاتها.

١- علم اللغة د. حاتم الصامن ص ٣٢.

٢- علم الدلالة لأحمد مختار ص ٥ وانظر الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية د. هادي الشجيري ص ٥٦-٧٧.

٣- انظر تفاصيل ذلك في مقدمة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج ص ١٢-٢٤، وفقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب ص ٢٨-٣٦، ومحاضرات أ.د. علي الباب على طلاب كلية اللغة العربية.

ثالثاً: مصطلح علم اللغة: هناك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلفات الحديثة مقابلأً لمصطلح (فقه اللغة) ألا وهو (علم اللغة).
فبعض المؤلفين المحدثين يفرق بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئاً واحداً؛ باعتبار أن العلم والفقه شيء واحد.

والحقيقة أن هذا الخلاف طاري على العربية؛ إذ الكلمتان من - الناحية اللغوية - معناهما واحد، وقد وردتا في تراثنا العربي كذلك؛ فلابن فارس كتاب: (الصاحب في فقه اللغة) وللسيوطي كتاب: (المزهر في علوم اللغة).
ولم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة:
من خدمة العربية، وبيان خصائصها، والوقوف على سنن العرب في كلامهم،
والحديث عن القضايا اللغوية العامة.

إذا استُخدمَ مصطلح (فقه اللغة) باعتباره شاملأً لدراسة اللغة بعامة فهو الأنساب؛ لأنَّه مستخدم في عربيتنا، وارد في تراثنا.

وإذا استُخدم اصطلاح (علم اللغة) فإنَّما يعني به المرادف لفقه اللغة؛ بناءً على المعنى اللغوي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

رابعاً: الخلط بين المصطلحين: لقد حصل خلط بين المصطلحين السابقين بسبب ترجمة بعض المصطلحات الغربية ومحاولة تطبيقها على لغتنا.

فالغربيون يفرقون بين علمين يتناولان اللغة، أحدهما: يعني بدراسة النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي، وقد ترجم هذا باسم (علم اللغة).

والثاني: يعني بدراسة اللغة في ذاتها: وصفاً وتاريخاً، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعيناً بوسائل علمية، وآلات حديثة.

ومن هنا حاول بعض الباحثين تطبيق هذا على العربية، والتفرíc بين علّميين يهتمان بالعربية؛ متّاسين أموراً منها ما يلي:

- الاختلاف الكبير بين العربية وغيرها.

ب - أن أقدم نصوص العربية وصل إلينا من العصر الجاهلي.

ج - أن العربية نزل بها القرآن الكريم.

د - وأنها إلى يومنا هذا لغة واحدة حافظت على خصائصها، وبقيت لها هيبيتها التي حفظها لها الكتاب العزيز.

هـ - وأن دراسة العربية في العصور السابقة لا تختلف عن دراستها في عصرنا هذا إلا ما طرأ من عamiات، ولهجات.

بخلاف غيرها من اللغات الأخرى؛ إذ الإنجليزية المعاصرة لا تمت إلى الإنجليزية منذ قرون إلا بصلات واهية.

بل إن لغة شكسبير - وهو من كبار أدباء الإنجليز وقد مات في القرن السابع عشر - لا يكاد يفهمها إلا نفر من المثقفين.

وقل مثل ذلك في الفرنسية، والإيطالية، وسائر اللغات الأوروبية الحديثة.

أما نحن العرب - على اختلاف أقدارنا من الثقافة - فنقرأ القرآن، ونفهمه إلا قليلاً ما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، وكذلك الحال بالنسبة للحديث الشريف.

وكذلك نقرأ أدب الجاهلية وأدب صدر الإسلام وما بعده، فنفهمه - في الجملة - على اختلاف الثقافة فيما بيننا.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن مصطلح (فقه اللغة) أكثر ملائمة، وأعم وأشمل في دراسة القضايا التي يتناولها ذلك العلم.

ومع ذلك فلا تثريب على من استعمل المصطلح الآخر (علم اللغة).

المبحث الثاني : موضوعات فقه اللغة

فقه اللغة هو ذلك العلم الذي يُدرَس ، ويتناول موضوعات مُعيَّنة سبق الحديث عن بعضها.

وفيمما يلي ذكر لموضوعات فقه اللغة بشيء من الإيضاح المجمل.

١ - القول في أصل اللغة ، والخلاف في ذلك.

٢ - خصائص اللغة العربية ، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.

٣ - معرفة سنن العرب في كلامهم ، وأساليبهم.

٤ - علم الأصوات اللغوية.

٥ - لهجات العرب ، واختلافها.

٦ - بنية الكلمة العربية وهو ما يسمى بالصرف.

٧ - الجملة ، أو التركيب وهو ما يسمى بال نحو.

٨ - دلالة الألفاظ ، أو معانيها.

٩ - تطور دلالة الألفاظ ، وانحطاطها.

١٠ - الاشتقاقة بأنواعه.

١١ - المشترك والمترادف والمتضاد ، والنحو.

١٢ - التعرير وضوابطه.

١٣ - المعاجم العربية ، ومدارسها ، ومناهج أصحابها.

١٤ - مسألة تنقية اللغة.

- ١٥ - ما تواجهه العربية من عقبات ومشكلات ، وما يحاك ضدها من مؤامرات.
- ١٦ - مواكبة العربية للجديد ، واستيعابها للمصطلحات الجديدة كالصطلاحات الطبية ، والصناعية وغيرها.
- ١٧ - جهود العلماء في هذا الباب في القديم والحديث.
- ١٨ - قضايا الدعوة إلى العامية ، وترك الإعراب ، وإصلاح الخط العربي ، وما إلى ذلك.
- ١٩ - العناية بالدراسات التي تقوم بها المجمع اللغوية ، وما يتمخض عنها من نتائج وقرارات.

هذه على سبيل الإيجاز موضوعات فقه اللغة ، مع ملاحظة أن كثيراً من تلك الموضوعات داخل في بعض ، وسيأتي -إن شاء الله- تفصيل لتلك الموضوعات.

المبحث الثالث: أهداف فقه اللغة، وثمراته، وغاياته

لسائل أن يسأل: ما الهدف من دراسة فقه اللغة، وما الثمرة المرجوة من ذلك؟ وما الغاية التي يراد الوصول إليها من خلاله؟
والجواب أن يقال:

- ١ - أن ذلك باب عظيم من أبواب العلم، يحمل بالفاضل أن يقف عليه، ولو لم يتعقب فيه.
- ٢ - الوقوف على شيء من بديع صنع الله -عز وجل-: فدراسة الأصوات اللغوية -على سبيل المثال- تطلعنا على الجهاز الصوتي الذي يعد آية من آيات الإبداع الإلهي.
- ٣ - التمكن من النطق السليم: فمعرفة مخارج الأصوات، وصفاتها وما يترتب على ذلك من مباحث مهمة - تعين على النطق السليم للغة.
- ٤ - الاعتزاز باللغة العربية: فدراسة اللغة دراسة علمية تجعلنا ندرك ميزاتها، وتمكننا من معرفة أسرارها.
وذلك يدعو إلى الاعتزاز بالعربية اعتزاً مبنياً على واقع مدروس.
- ٥ - مواجهة ما يحاك ضد العربية: كاتهامها بالصعوبة، والجمود، وكالمصادمة بترك الإعراب، والتوجه إلى العامية، وكتابة الحروف بحروف جديدة إلى غير ذلك من الدعاوى التي تحاك ضد العربية، والتي يراد منها هدم الدين، أو التشكيك فيه، أو إضعاف أثره في نفوس أهله.

ولا ريب أن مواجهة مثل هذه الدعاوى وأمثالها نوع من الجهد الذى يُكُسِّبُ صاحبَه شكوراً، وتزداد به صحيحةُ أعماله نوراً.

٦- تعظيم السلف الصالح: فالوقوف على ما بذلوه من جهود جبارية في سبيل خدمة لغة القرآن يبعث في نفس المطلع على ذلك إجلالاً أولئك السَّرَّاء وتعظيمهم، والحرص على أن يبني كما بناوا.

٧- سد الحاجة، ومواكبة التطور: فالعلم باللغة، والوقوف على دلالتها يسد حاجة عظيمة، سواء في تعریف الألفاظ، أو الاستغناء عن المصطلحات الدخيلة، أو في بيان المقصود مما يفدي إلى أمتنا من ألفاظ، أو أخلاق، أو مصطلحات، كمصطلح العلمانية مثلاً، أو مصطلح الإرهاب أو غير ذلك؛ فإذا نقلناه كما هو معروف عند الغرب أحدث عندنا خلطًا وبلبلة.

أما إذا أعطي معناه الصحيح المحدد أراحتنا من كثير من البلايا.

٨- خدمة العلوم الأخرى: ففقه اللغة له علاقة بكثير من العلوم -كما سيأتي بيان ذلك-. فالوقوف عليه، ومعرفته يخدم كثيراً من التخصصات والعلوم الأخرى.

المبحث الرابع: مناهج البحث اللغوي^(١)

للبحث اللغوي مناهج مختلفة أشهرها أربعة:

١- المنهج الوصفي: وهو بحث ظاهرة لغوية معينة في فترة محددة. وذلك بدراسة تلك الظاهرة، ووصفها، والحديث عن جوانبها، وكشف خصائص تلك الظاهرة.

ومن الأمثلة على ذلك: البحث في نطق الأصوات الحلقية في منطقة ما، أو دراسة أساليب النفي في ديوان شاعر، أو دلالة بعض الألفاظ في العصر الجاهلي. فهذه وما شاكلها تعد بحوثاً وصفية، وكثير من البحوث العربية تسير على هذا المنهج، وكذلك أكثر البحوث الحديثة.

ويعد المنهج الوصفي أهم مناهج البحث في اللغة، وأكثرها استعمالاً.

٢- المنهج التاريخي: وهو الذي يبحث في قضية لغوية من حيث تطورها، وتغيراتها خلال التاريخ.

مثال ذلك: اختيار مجموعة من الألفاظ، ودراسة دلالتها في الشعر الجاهلي، ثم معانيها في العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر.

٣- المنهج المقارن: ويعني المقارنة بين لغتين أو أكثر من اللغات التي تنتهي إلى مجموعة واحدة، محاولاً توضيح ما بينهما من خلافات أو تقارب في الأصوات،

٤- أكثر هذا المبحث مستفاد من محاضرات أستاذنا أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية، وهي مخطوطة موجودة عندي.

أو البنية، أو الدلالات، أو التراكيب.

ويلاحظ أن المنهج التاريخي والمقارن يعتمدان أساساً على البحث الوصفي.

٤- المنهج العام: وهو الذي يفيد من المناهج السابقة، ويحاول إيجاد قواعد عامة تصدق على أكثر اللغات.

كما أن الموضوعات التي لا تدخل في أي من المناهج الثلاثة السابقة تندرج تحت المنهج العام في دراسة اللغة كالحديث عن نشأة اللغة، واكتساب الطفل للدلالات، وتقسيم اللغات، والصراع بينها، وكحدوث اللهجات وأسباب ذلك، وضعف اللغة، أو قوتها إلى غير ذلك.

المبحث الخامس: علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى^(١)

العلوم الإنسانية مترابطة، وببعضها -في الأغلب- داخل في بعض، وقد لا يستغني واحد منها عن غيره، بل كل علم يُفيد من مباحث العلم الآخر ونتائجها. والبحث اللغوي يستعين بعدد من العلوم تساعدة على تحقيق أغراض، ويساعدها هو على ما هي بصدده من درس، ويبحث.

ومن العلوم التي لها رابطة، وعلاقة بفقه اللغة ما يلي :

١- علاقة فقه اللغة بالعلوم الشرعية عموماً: كعلم الحديث، وعلم التفسير، وعلوم القرآن عموماً، وعلم العقيدة، وعلم الفقه، وغيرها من علوم الشرعية؛ فإن لها ارتباطاً وثيقاً بفقه اللغة؛ من حيث دلالة الألفاظ، ومعرفة الغريب، وأصطلاحات الناس، وعறفهم في الألفاظ إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله. يقول الزمخشري في بيان فضل العربية، وأنه لا غناء لعلم من علوم الشرعية عنها: «وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فِقْهَهَا، وَكَلَامَهَا، وَعِلْمَيْ تَفْسِيرِهَا وَأَخْبَارِهَا إِلَّا وَافْتَقارَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ لَا يَدْفَعُ، وَمَكْشُوفٌ لَا يَتَقْنَعُ.

ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب، والتلaffisir مشحونة بالرواية عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء، وغيرهم من النحوين البصريين، والاستظهار في مأخذ النصوص بأقواب لهم، والتشبيث بأهداب

١- انظر علم اللغة د. علي عبدالواحد وافي ص ٣٠-٣٣، ومحاضرات أ.د. علي الباب على طلاب كلية اللغة العربية.

فسرّهم وتأوّلهم.

وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم، ومحاورتهم وتدرّسهم، ومناظرتهم، وبه تقطّر في القراطيس أقلامهم، وبه تسطّر الصكوك والسجلات حكامهم؛ فهم ملتبسون بالعربية أية سلكوا غير منفكين عنها أينما وجهوا، كلّ عليها حيث سيروا»^(١).

٢- علاقة فقه اللغة بعلم الطب: فهو ما يفيد من فقه اللغة من جهة تقرّيب الألفاظ الطبيعية، واختصار المصطلحات الطويلة عن طريق النحت، أو التعرّيب. كما أن علم فقه اللغة يفيد من علم الطب والتشريح ووظائف الأعضاء من جهة كيفية إصدار الأصوات عند الناطقين، وما إلى ذلك من مباحث تعين على فهم اللغة.

٣- علاقة فقه اللغة بعلم النفس: فهو من العلوم التي تعين على فهم اللغة، وتحليلها، وإدراك كثير من مسائلها؛ فاللغة من أنواع السلوك البشري، وهي تكشف عن نفسية المتكلم، وأسراره.

ويرى علماء النفس أن كثيراً من المسائل اللغوية يمكن فهمها من خلال الظواهر النفسية؛ فالفرح، والغضب، والانفعال تعكس آثارها على اللغة.

٤- علاقة فقه اللغة بالتاريخ والجغرافيا: فإنّهما يساعدان الباحث اللغوي كثيراً، فهو اسْتَطُعْهما تفسير قضايا انتشار اللغة، وانحسارها، وحدوث اللهجات، ودخول الألفاظ الجديدة وغيرها.

١- المفصل للزمشي ص ٣.

وبالاستعانة بهذين العلمين يمكن تفسير ظاهرة دخول الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية قبل الإسلام، وانتشار العربية في كثير من المناطق بعد الفتوحات الإسلامية، ويمكن معرفة أسباب بقاء العربية قوية في بعض البلاد الإسلامية، وأسباب ضعفها في غيرها، ونستطيع أن ندرك بهما السر في انتشار كثير من الألفاظ غير العربية في لهجاتنا المعاصرة.

وهكذا تتضح العلاقة بين فقه اللغة وغيره من العلوم الأخرى.

المبحث السادس : اهتمام الإنسان باللغة

يرجع اهتمام الإنسان باللغة إلى عصور سحرية؛ فقد نقل عن كثير من الأمم والشعوب عنایتهم باللغة، واحتغالهم بقضاياها، وظواهرها.

وإذا كنا لا نعرف عن الدراسات العربية إلا الجهد التي بذلت بعد ظهور الإسلام - فإن التاريخ قد سجل لنا بذلت على اهتمامات مبكرة لغير العرب.

فقد نقل عن الهنود اهتمامهم بأصوات لغتهم، ونحوها، ومفرداتها.

وأقدم ما وصل من آثارهم يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد كانت دراساتهم الصوتية مما بني عليه العلم الحديث.

كما أنهم ألفوا في المعاجم.

وكذلك اليونانيون؛ حيث اهتموا باللغة، وألفوا معاجم لغتهم قبل الميلاد، وارتبطت دراستهم اللغوية بالفلسفة.

وكذلك كان للمصريين القدماء، والسريانين، والصينيين اهتمام قديم بال نحو واللغة.

أما العبرانيون فلم يعنوا بها إلا بعد ظهور الإسلام.

وفي القرون الوسطى حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي كانت البحوث اللغوية في أوروبا محصورة في دائرة الاهتمام باللغتين اليونانية واللاتينية.

وبعد اكتشاف اللغة السنسكريتية وحلّ رموزها عام ١٧٨٦ م على يد (سير وليم جونز) الذي كان يعمل قاضياً في المحكمة العليا بالبنغال - تبين للباحثين وجود علاقة بين هذه اللغة وبين اليونانية واللاتينية؛ فوجهوا اهتمامهم إلى دراسة أوجه الشبه بين

هذه اللغات على ضوء المنهج المقارن، وإلى البحث عن تقسيمات للغات العالم، ومحاولة الوصول للغة الأولى.

وقد نادى طائفة من علماء اللغة الأوربيين بإهمال البحث في الغبيات - أي في مسألة نشأة اللغة ونحو ذلك - والاتجاه إلى دراسة اللغة في ذاتها؛ فنشأ ما سمي بـ:(علم اللغة الحديث) وتحددت مناهجه، ومباحثه.

أما العرب فلم يُؤثِّرُ عنهم قبل الإسلام إلا عنایتهم بالشعر، والخطابة، وقد حفظوا لغتهم من التغيير؛ فعدُّوا الخطأ فيها عيباً يُتعيَّرُ به، وشهرُوا بأصحاب الفهاهة واللثمة، وأعلنوا بداعٍ شعرهم وخطبهم في أسواقهم المشهورة أيام مواسم الحج، فكان عِلْمُهُمُ الحقُّ هو أدبُ لغتهم، وهو علمهم العقليُّ الوحيد؛ فلم يعنوا بجمع اللغة، أو التأليف فيها^(١).

وإنما بدأ اهتمامهم باللغة وعلومها بعد ظهور الإسلام، وأقدم ما روي عنهم في ذلك محاولات تفسير غريب القرآن كتلك المسائل التي دارت في فناء المسجد الحرام بين عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- ونافع ابن الأزرق كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه (الإتقان)^(٢).

وكذلك ما كان من أولى محاولات وضع النحو التي تنسب لأبي الأسود الدؤلي كما ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست^(٣).

١- انظر أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ٢١.

٢- الإتقان ١/١٢٠.

٣- ص ٤٦.

المبحث السابع: جهود العلماء في التأليف في اللغة العربية

يكاد يكون القرن الثاني الهجري بداية النشاط الفعلي لجمع اللغة، والتأليف فيها؛ ذلك أن دخول كثير من غير العرب في دين الإسلام أحدث ما سمي بـ(اللحن) حيث سرى ذلك إلى الألسن؛ فأصابها الخطأ والفساد؛ فهب اللغويون يجمعون اللغة، ويدونونها، فارتخلوا إلى البوادي التي لم يختلط أهلها بالأعجم، وشاهدوا الأعراب، ودونوا عنهم اللغة.

وقد حفظت لنا المصادر أسماء عدٍ من الأعراب الذين سمع عنهم اللغويون، كما عُرف في تلك الفترة كثير من اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة وتدوينها.

وستتضمن تلك الجهود من خلال ما يلي :

أولاً: أبرز اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة:

- ١- عبدالله بن إسحاق الحضرمي ت ١١٧ هـ
- ٢- عيسى بن عمر ت ١٤٩ هـ
- ٣- أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ
- ٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ
- ٥- عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ: سيبويه ت ١٨٠ هـ.
- ٦- يونس بن حبيب ت ١٨٢ هـ
- ٧- علي بن حمزة الكسائي ت ١٨٩ هـ

٨- النضر بن شميل ت ٢٠٢ هـ

٩- الفراء ت ٢٠٧ هـ

١٠- أبو عبيدة ت ٢١٠ هـ

١١- أبو عمر الشيباني ت ٢١٣ هـ

١٢- عبد الملك بن قریب -الأصمی- ت ٢١٣ هـ

١٣- أبو زید القرشی ت ٢١٥ هـ

ثانياً: نوعية التأليف في ذلك الوقت:

ألف أولئك العلماء عدداً من الكتب ، وكل واحد منهم له طريقة في التأليف.

١- فمنهم من كان يجمع الألفاظ تحت باب واحد كالوحوش ، أو السیوف ، أو النخل .

٢- ومنهم من يجمع في كتاب عدة أبواب.

٣- ومن تلك المؤلفات ما يتناول إحدى ظواهر اللغة كالهمز ، أو الأضداد.

٤- ومنها ما يتناول الغريب ككتب غريب القرآن ، أو غريب الحديث.

٥- ومنها ما كان على شكل نوادر أو أمالٍ ، إلى غير ذلك من التأليف.

ثالثاً: نماذج من تلك التأليفات:

١- الشاء والإبل والخيل ، وخلق الإنسان للأصمی.

٢- النوادر والهمز والمطر لأبي زید القرشی.

٣- معانی القرآن ، والمنقوص ، والممدود ، والأيام ، واللیالي والشهور
والذكر والمؤنث ، للفراء.

٤- غريب الحديث لأبي عبید القاسم بن سلام.

٥- معاني القرآن للأخفش.

ومثل ذلك كثير من الكتب والرسائل اللغوية التي وصلتنا من القرنين الثاني والثالث للهجرة.

وقد كانت هذه الحركة مبنية على أساس علمي صحيح مأخوذ من سماع اللغة عن المؤتوق بهم وبعد تم تدوينها بأسلوب وصفي دقيق.

وقد كانت هذه المادة هي الأساس الذي بنيت عليه علوم اللغة من نحو وصرف ومعاجم وغيرها؛ إذ توقفت حركة الجمع بعد ذلك، وأكفى العلماء بالمادة المجموعة يضعون قواعدهم على أساسها.

رابعاً: أبرز المؤلفات اللغوية في القرن الثاني الهجري:

ومع هذه المؤلفات المذكورة العظيمة النفع إلا أنها لا ترقى إلى درجة عملين عظيمين تُوجّب بهما القرن الثاني :

أولهما - كتاب (العين) للخليل بن أحمد: وهو أول معجم عربي ، بناء مؤلفه على طريقة مبتكرة من الترتيب الصوتي ؛ إذ استطاع الخليل أن يرتب مخارج الأصوات من أقصى الحلق إلى الشفتين ، ويقيّم معجمه على نظام التقاليب - وهو ما سيبين أكثر عند دراسة المعاجم العربية .

كما أنه بخلاف الله استطاع أن يحدد المهمل من كلام العرب ، والمستعمل.

ولعل هذا العمل صعب على كثير من أعداء الإسلام والعربية أن ينسبوه إلى الخليل؛ فراحوا يكيلون التهم ، ويبدئون أن الخليل اقتبسه عن غيره من الأمم السابقة التي عرفت النظام الصوتي والمعجمي .

وسيأتي الكلام على ذلك مفصلاً - إن شاء الله - عند الحديث عن المعاجم.

- أما الكتاب الآخر فهو (كتاب سيبويه): وهو عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ: سيبويه.

وكتابه يعد - بحق - دستور النحو العربي ، والذي اتخذه العلماء بعد سيبويه أساساً مؤلفاتهم شرحاً و تخليلاً.

وكل ما أضيف إلى النحو العربي بعد هذا الكتاب لا يقارن بالكتاب.

وقد عالج سيبويه في كتابه القضايا النحوية ، والصرفية.

كما تحدث عن الأصوات: مخارجها ، وصفاتها في آخر الكتاب.

كما أنه اشتمل على مسائل في التقديم والتأخير ، ومعاني الحروف ، ومحاسن العطف ، ونحوها؛ فكان عمدة علماء البلاغة من بعده ، فهو يعد عملاً لغوياً متاماً؛ ولقد كان كتابه محل القبول ، والثناء ، وكان له منزلة مرموقة.

وما ذكره ابن جني في الثناء عليه وعلى علمه قوله: «ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى سمعتهم آخذين ، وبألفاظهم مُتحلين ، ولمعانيهم وقصودهم آمين - جاز لصاحب هذا العلم - يعني سيبويه - الذي جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ، ووسم أغفاله ، وحلَّج أشطانه ، وبيَّج أحضانه ، وزمَّ شوارده ، وأفاد نوادره - أن يرى فيه نحواً مما رأوا» ١-هـ^(١).

وقال الزمخشري مثنياً على سيبويه:

ألا صلى الإله صلاة صدقٍ على عمرو بن عثمان بن قنبر

فإن كتابه لم يُعنَّ عنه بنو قلم ولا أعدوا منبر

هذه نبذة موجزة عن جهود العلماء في التأليف في اللغة، تلك التأليف التي كانت كالمقدمات، والإرهاصات لظهور (فقه اللغة) كعلم مستقل.

وهذا ما سيتبين في الفصل التالي.

الفصل الثاني: دراسة عامة في فقه اللغة

وتحتة سبعة مباحث:

المبحث الأول: بداية ظهور فقه اللغة كعلم مستقل ، وأشهر المؤلفات فيه.

المبحث الثاني: أصل نشأة اللغة ، وأشهر النظريات في ذلك.

المبحث الثالث: فصائل اللغات.

المبحث الرابع: اللغات السامية.

المبحث الخامس: بداية البحث التاريخي والمقارن للغات السامية ، وفائدة ذلك.

المبحث السادس: الموطن الأول للساميين.

المبحث السابع: الخصائص المشتركة للغات السامية.

الفصل الثاني

دراسات عامة في فقه اللغة

المبحث الأول: بداية ظهور فقه اللغة كعلم مستقل، وأشهر المؤلفات فيه

ظل العلماء العرب مهتمين بالتأليف اللغوي من جوانبه المختلفة إلى أن كان القرن الرابع الهجري الذي يعد عصر ازدهار العلوم اللغوية؛ ففي هذا القرن وُجد عدد كبير من علماء اللغة الذين أثروا المكتبة العربية بتأليفهم اللغوية. ولعل تأليف المعاجم كان أبرز ما أفرزه آنذاك؛ فمن المعاجم التي ألفت:

١- الجمهرة لابن دريد ت ٣٢١ هـ

٢- ديوان الأدب للفارابي ت ٣٥٠ هـ

٣- البارع للقالي ت ٣٥٨ هـ

٤- التهذيب للأزهري ت ٣٧٠ هـ

٥- الصحاح للجوهري ت ٤٠٠ هـ

كما ألف عدد من الكتب في القراءات القرآنية، والنحو والصرف، والأصوات، وغيرها.

أما البداية الحقيقة لفقه اللغة، وظهوره كعلم مستقل - فكانت على يد عمالين من علماء اللغة الكبار في القرن الرابع؛ حيث كان لهما أكبر الأثر في التأليف في (فقه اللغة) وتعد مؤلفاتهما البداية الحقيقة لإفراد هذا العلم بكتب خاصة.

الأول: أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ: الذي ألف مجموعة من

الكتب اللغوية وغيرها، ومنها كتاب : (الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها).

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة).

وبه تأثر المؤلفون من بعده ، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً . وقد عالج ابن فارس رحمه الله في كتابه (الصاحب) عدداً من الموضوعات التي تعد من صميم فقه اللغة ، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه . قال رحمه الله في مقدمة كتابه : «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين - رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء . وإنما لنا فيه اختصار مبسوط ، أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل ، أو جمع مترافق » ^(١) .

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة ، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة ، والخط العربي ، وعن خصائص اللغة ، ومزاياها . وك الحديث عن اختلاف اللغات ، وأقسام الكلام ، ومعاني الحروف . وك الحديث عن الخطاب المطلق والمقييد ، وعن الحقيقة والمجاز ، والقلب ، والإبدال ، والعموم ، والخصوص ، والحذف والاختصار ، والاتباع ، والنحو ، والإشباع ، وغيرها . وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على ٢٠٧ من الأبواب .

١- الصاحبي ص ١٢ .

كل ذلك مع أن الكتاب في مجلد واحد، ويقع بعد التحقيق في ٢٣٨ صفحة.
وقد طبع عدة طبعات، ولعل من آخرها طبعة دار الكتاب العلمية ١٤١٨ هـ - م ١٩٩٨.

وقد علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج.
كما أن ابن فارس رحمه الله أثرى المكتبة العربية بمعجم سماه (مقاييس اللغة).
وهو من أضخم المعاجم العربية.
وله معجم آخر اسمه (مجمل اللغة).
وهذه الكتب تدل على عقلية جباره، وموهبة فذة مبتكرة.
وسيأتي مزيد حديث عن ابن فارس وعن معجميه عند الحديث عن المعاجم
العربية.

الآخر: أبو الفتح عثمان بن جني : كان أبوه جنيّ مملوكاً رومياً لسليمان ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي.
وجنّي بكسر الجيم وتشديد النون مكسورة، وسكون الياء - معرّب كيني.
ولد في الموصل سنة ٣٠٠ هـ، وقيل ٣٢٢ هـ وتوفي في بغداد عام ٣٩٢ هـ.
كان ابن جنيّ رجل جدّ، واماً صدق في فعله وقوله؛ فلم يعرف عنه اللهو،
والشرب، والمحون.

وكان عف اللسان والقلم يتتجنب البذى من الألفاظ، ولم يكن همه رضاه
للملوك ومنادتهم كحال أدباء عصره.

أخذ التحو عن الأخفش ، وبعده عن أبي علي الفارسي ، وأخذ عن كثير من

رواة اللغة والأدب.

اجتمع ابن جني بالمتبي في حلب عند سيف الدولة، وفي شيراز عند عضد الدولة البويمي.

وكان المتبي يجله، ويقول فيه: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس»^(١).

وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: «سلوا صاحبنا أبا الفتح».

وكان يقول: «ابن جني أعرف بشعري مني»^(٢).

وكان ابن جني يعجب بشعر المتبي، ويستشهد بشعره في المعاني، وهو أول من شرح ديوانه، وله في ذلك شرحان: كبير وصغير.

أما مذهبه الكلامي فقد كان معتزلياً كما ذكر ذلك السيوطي في المزهر.

ويذكر بعض مترجميه أنه لا يتقييد بأصول المعتزلة، ويذهب إلى ما يراه الحق. يعد ابن جني من كبار علماء العربية وأفذاها.

وكان محل الثناء من قبل كثير من العلماء، قال عنه الثعالبي: «هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب»^(٣).

وقال عنه الفيروز أبادي: «الإمام الأوحد، البارع المتقدم»^(٤).

١- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٠٢٨٩/٢.

٢- شذرات الذهب لابن العماد ١٤١/٣.

٣- بيضة الدهر للثعالبي ١٢٤/١.

٤- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز أبادي ص ١٣٧.

وله كتب كثيرة في فنون مختلفة لم تعرف العربية لها نظيراً.

وله فيما بعد من صميم فقه اللغة كتابان جليلان.

أولهما: كتاب (الخصائص): حيث عالج فيه كثيراً من قضايا فقه اللغة، وقد نظريات وأراء تجاري أو تفوق أحدث ما قال به العلماء في العصر الحديث.

وقد تحدث في كتابه المذكور عن موضوعات كثيرة تعد من صميم فقه اللغة.

ومنها حديثه عن أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتدخل اللغات، والاشتقاق الأكبر، والإدغام، والعلاقة بين الألفاظ والمعاني، والتقديم والتأخير، واستخلاص معاني الأوصاف من المعاني، والإبدال.

وقد طبع عدة طبعات، وطبع أخيراً بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي، ونشرته دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م

وهذه الطبعة تميز بحسن إخراجها، ودقة فهارسها، حيث يستطيع الباحث أن من خلالها الوصول إلى آراء ابن جني عبر الفهارس بدون كلفة.

أما كتابه الثاني فهو: (سر صناعة الإعراب): وقد خصه ابن جني لدراسة الأصوات؛ فكان أول عالم في العربية يفرد هذا البحث بكتاب مستقل؛ حيث كان قبله يُدرَّسُ ضمن بحوث النحو كما في كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد.

وقد قدم ابن جني في كتابه مباحث قيمة في علم الأصوات مستفيداً من سابقيه، ومضيفاً إليه الكثير؛ فهو في مقدمته يتحدث عن الفرق بين الصوت والحرف، وهو يُشَبِّهُ الحلق والفم بالناعي، ويذكر أن الحركات أبعاض حروف المد.

ثم يتحدث عن الحروف، ومحارجها، وأجناسها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة، والمستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مستقصىً مشروحاً.

وبعد ذلك يعقد لكل حرف من حروف العربية مرتبة على الحروف الألفبائية باباً يتكلم فيه على صفاتها، وخرجها، وما يعرض له من قلب، أو إيدال، أو إدغام، كما يتعرض لكثير من القضايا النحوية.

كما تحدث عن تصريف حروف المعجم، واستقاقها، وجمعها، كما تحدث عن مذهب العرب في مزج الحروف بعضها البعض، وما يجوز من ذلك وما يمتنع، وما يحسن وما يصبح إلى غير ذلك مما حفل به ذلك الكتاب.

والناظر في هذا الكتاب يلحظ فيه مزايا عديدة منها على سبيل الإجمال: غزاراة المادة، والوضوح، والسهولة، والشمول، والاستقصاء.

وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً في مجلدين طبعة طيبة معنتى بها كثيراً، حيث درسها وحققتها د. حسن هنداوي، وقد قدم للكتاب بمقدمة رائعة بين فيها شيئاً من سيرة ابن جني، وأردفها بحديث ماتع عن الكتاب، وعن سبب تسميته، وعن بعض مزاياه.

كتب أخرى مؤلفة في فقه اللغة:

ظهر بعد الكتب السالفة كتب كثيرة في فقه اللغة منها على سبيل المثال ما يلي :

- ١ - **فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الشعالي** ٤٣٠هـ: ويعد الكتاب الثاني الذي وصل إلينا حاملاً مسمى (فقه اللغة) بعد كتاب (الصاحب) لابن فارس. وعنوان هذا الكتاب لا يطابق مسماه تماماً؛ إذ هو معجم للمعاني في مجلمه، وفيه بعض الفصول في فقه اللغة، كحديثه عن أساليب العربية في التعبير من حقيقة ومجاز، وتقديم وتأخير، وحذف واختصار.

وفيه حديث عن الإبدال ، والقلب ، والنحت ، وغيرها.

وقد طبع طبعات عديدة ، منها طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، وطبعة دار مكتبة الحياة ، وجاء عنوان الكتاب فيها (فقه اللغة وأسرار العربية) ، ولعل أجود الطبعات طبعة دار الكتاب العربي ، تحقيق ومراجعة د. فائز محمد ، و د. إميل يعقوب.

٢- المخصوص لابن سيده ت٤٥٨هـ: وهو معجم قيم ضمنه بعض المباحث في نشأة اللغة ، والترادف ، والتضاد ، والاشتراك ، والتعريف ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصور والمنقوص .

٣- المُرَبُّ من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي ت٤٥٤هـ: وقد قدم له بالحديث عن الألفاظ المُعرَّبة ، ومذاهب العرب في استعمال الأعجمي ، وكيف تعرف على ذلك.

وسينأتي الكلام عليه عند الحديث عن المُرَبُّ.

٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ت٩١١هـ.

وهذا الكتاب موسوعة في علوم اللغة ، وقد ضمنه موضوعات لغوية عديدة اقتبسها من كتب السابقين ، ورتبتها وعرضها عرضاً جيداً، حيث جعل مؤلفه في خمسين نوعاً: ثمانية في اللغة من حيث الإسناد ، وثلاثة عشر من حيث لطائفها ومُلْحِّها ، وواحد راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها ، وثمانية راجعة إلى حال اللغة ورواتها ، ونوع معرفة الشعر والشعراء ، والأخير لمعرفة الأغلاط.

وفي ضمن هذه الأنواع مادة واسعة حول نشأة اللغة ، والمصنوع والفصيح ،

والغريب ، المستعمل والمهمل ، واللغات ، واللهجات ، والإبدال ، والقلب ، والنحت ، والاشتقاق ، والمجاز والترادف ، والمشترك ، والمتضاد وغيرها من البحوث اللغوية .

وقد طبع عدة طبعات منها طبعة دار الجيل بيروت ، شرح وتحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وعلى محمد الباشا ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

المؤلفات الحديثة في فقه اللغة :

وفي عصرنا الحديث ألف كثير من العلماء ، والأساتذة المختصين في الدراسات اللغوية كتاباً في اللغة وعلومها ، ومنهم من تأثر بالناهجه الأوربية الحديثة ، ومنهم من جمع بين التراث والناهجه الحديثة .

ومن المؤلفات الحديثة في هذا الشأن ما يلي:

١- كتابات الشيخ العلامة محمد الخضر حسين التونسي ١٢٩٣-١٣٧٧ هـ
شيخ الجامع الأزهر ، وعضو المجمع اللغوي في القاهرة ، والمجمع العلمي العربي في دمشق .

فقد كتب هذا العالم الجليل عدداً من الكتب وعالج فيها كثيراً من قضايا اللغة ، وكتاباته تميز بالعمق ، والتحليل ، والربط ، والقوة .

كما أنها تتسم بجزالة الأسلوب ، والغوص على المعاني ، والإلمام بالبحث من كافة وجوهه حتى إنه ليكاد يضارع كتابات الأوائل في هذا الباب ، مع أنه بارع - كذلك - في علوم الشريعة ، والمجتمع ، وغيرها .

وتکاد تكون كتاباته أحسن ما كتب في العصر الحديث مع أنها لم تأخذ حظها

من الشهرة والذيع.

ومما كتبه رحمه الله في هذا الصدد من كتب ما يلي:

أ - القياس في اللغة العربية: وهذا الكتاب من أعظم ما كتب في بابه ، فهو على صغر حجمه؛ حيث يقع في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط إلا أنه قد حوى أبحاثاً نفيسة ، وتحريات عالية قل أن توجد في غيره.

وما تضمنه ذلك الكتاب من أبحاث : مقدمة في فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية - اللغة - أصل نشأة اللغة - تأثير الفكر في اللغة - تأثير اللغة في الفكر - هل يمكن اتحاد البشر في لغة؟ - اللغة العربية لا تموت - اللغة في عهد الجاهلية - تأثير الإسلام في اللغة - فضل اللغة العربية - الحاجة إلى القياس في اللغة - أنواع القياس.

إلى غير ذلك من الأبحاث النفيسة التي لاقت استحساناً من العلماء في عصره.

ب - حياة اللغة العربية: وقد تحدث في هذا الكتاب عن دلالة الألفاظ، وتأثير اللغة في الهيئة الاجتماعية، وأطوار اللغة العربية، وفصاحة مفرداتها، وحكم تركيبها، وتعدد وجه دلالتها، وتعدد أساليبها، وطرق اختصارها، واتساع وضعها، وإبداع العرب في التشبيه، واقتباسهم من غير لغتهم، وارتقاء اللغة مع المدنية، واتحاد لغة العامة والعربية.

ج - الاستشهاد بالحديث في اللغة.

د - موضوع علم النحو.

هـ - التضمين.

- و - تيسير وضع مصطلحات الألوان.
 - ز - طرق وضع المصطلحات الطبية.
 - ح - حول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها.
 - ط - الإمتناع بما يتوقف تأنيثه على السماع.
- وقد خرجت هذه الكتب مفردة، وجمعت في كتاب واحد يقع في ٢٨٠ صفحة، وعنوان هذا المجموع (دراسات في العربية وتاريخها).
- وقد نشره المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح عام ١٣٧٩ هـ.
- كما أن للمؤلف رحمه الله قصائد عديدة في هذا الشأن وهي موجودة في بعض كتبه التي مر ذكرها، وفي ديوانه الشعري (خواطر الحياة).
- وإنما أطلت بعض الشيء في ذكر مؤلفات هذا العالم لأجل لفت الأنظار إليها؛ لأنها - كما مر - لم تأخذ حقها من الذيعان والانتشار.
- ٢ - تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي؛ حيث ضممه كثيراً من مباحث فقه اللغة خصوصاً الجزء الأول منه.
 - ٣ - من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس.
 - ٤ - فقه اللغة د. علي عبدالواحد وافي.
 - ٥ - علم اللغة د. علي عبدالواحد وافي.
 - ٦ - فقه اللغة في الكتب العربية د. عبد الرحيم الراجحي.
 - ٧ - فصول في فقه اللغة د. رمضان عبدالتواب.
 - ٨ - في المعاجم العربية د. أمين فاخر.

- ٩ - مقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل.
- ١٠ - مقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج.
- ١١ - الوجيز في فقه اللغة العربية عبد القادر محمد مایو.
- ١٢ - فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي.
- ١٣ - فقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب.

وغيرها من الكتب التي سيرد ذكرها في ثنايا هذا الكتاب.

المبحث الثاني: أصل نشأة اللغة، وأشهر النظريات في ذلك

لقد شغلت قضية نشأة اللغة الإنسانية المفكرين على مر العصور، وتصدى للبحث عنها كثير من العلماء، والفلسفه، والتكلمين، واللغويين. وقد بذلت جهود كثيرة، وأجريت تجارب متعددة لكشف هذه القضية، فلم يجعوا على قول واحد، بل ذهبوا في البحث مذاهب شتى، وتوصلا إلى نظريات عديدة أشهرها أربع نظريات هي^(١):

- ٢- نظرية التواضع والاصطلاح.
- ٤- نظرية الغريرة الكلامية.
- ١- نظرية التوقف والإلهام.
- ٣- نظرية التقليد والمحاكاة.

وليس في أدلة أيٌّ من تلك النظريات ما تطمئن إليه النفوس، ويخل منها محل القطع، أو العذر القريب منه.

ومن هنا صاحح المحققون إدخال هذه المسألة في علم الأصول من الفضول؛ ولهذا انصرف الباحثون مؤخراً عن الخوض في هذا الموضوع، «وقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائياً، أو قبول أيٍّ بحث فيه لعرضه في جلسته»^(٢).

- ١- انظر تفاصيل ذلك في كتاب: *الخصائص* ٩٤-٩٩/١، *الصالحي* ص ١٣، *ومجموع الفتاوى* لابن تيمية ٦٢/٧-٦٧، و ١٢/٢٤٠، *والإيمان* لابن تيمية ص ٨٢-٨٥، *المزهر* ١٨-١/٨، *ومولد اللغة* للشيخ أحمد رضا ص ٢٨-٤٨، *وفقه اللغة* د. عبد الرافي الجاحي ص ٧٧-٩٩، *وفقه اللغة العربية* وخصائصها د. إميل يعقوب ص ٢٧-١٤، *ومحاضرات* أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.
- ٢- *علم اللغة* د. حاتم الصامن ص ٩٥.

ومع صعوبة -أو تعذر- الوصول إلى رأي يرضى به الباحثون، ولا يجدون فيه نقصاً ولا عليه اعتراضاً -إلا أنه لا بد من الإشارة إلى تلك النظريات التي سبقت حول تفسير نشأة الكلام الإنساني، وذلك لأسباب عديدة منها:

١- معرفة عناية العلماء في هذا البحث.

٢- أن هذه القضية شغلت حيزاً من التفكير، ونالت قدرًا وافرًا من الجهد.

٣- بيان أن علماء المسلمين قد شاركوا في هذا الموضوع، وعرضوا آراءً لا تقل جدية واستدلالاً عما قدمه غيرهم قديماً وحديثاً، بل ربما فاقوا غيرهم، وسبقوه.

نبذة موجزة عن النظريات الأربع:

الأولى: نظرية التوفيق والإلهام: وخلاصة هذه النظرية عند القائلين بها أن اللغة الإنسانية إلهام، ووحي من الله -عز وجل- لا يَدُ للإنسان في وضعها؛ فهو أعجز من ذلك؛ فهي -إذاً- توفيقيّة لا مجال للاجتهد فيها.

ولهذه النظرية أنصارها منذ أقدم العصور؛ فهي تنسب للفيلسوف اليوناني هيرالكيت (ت ٤٨٠ ق.م).

ومال إليها بعض المُحدثين منهم الأب الفرنسي (لامي) (ت ١٧١١ م).

وقد اعتمد غير المسلمين على أدلة نقلية؛ فقد ورد في التوراة أن الله -تعالى- خلق جميع الحيوانات والطيور ثم عرضها على آدم -عليه السلام-. ليرى كيف يسميها؛ فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة، وطيور السماء، وذوات العقول.

وقد قال بهذه النظرية غير قليل من علماء المسلمين، ومنهم ابن فارس حيث

قال بِحَمْلِ اللَّهِ: «أقول: إن لغة العرب توفيق، ودليل ذلك قوله - جل ثناؤه - : **«وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا»**.

فكان ابن عباس يقول : علم الأسماء كلها.

وهذه هي التي يتعارفها الناس من دابة ، وأرض ، وسهل ، وجبل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خصيف عن مجاهد : قال : علّمه اسم كل شيء.

وقال غيرهما : إنما علمه أسماء الملائكة.

وقال آخرون : إنما علمه أسماء ذريته أجمعين.

والذي نذهب إليه من ذلك ما ذكرنا عن ابن عباس » ١ - هـ^(١).

أما ابن جني فقد عرض هذه النظرية ، ولم يجزم بها كابن فارس ، بل تردد فيها هو وشيخه أبو علي الفارسي ، بين التوقيف والإلهام ، والقول بالمواضعة والاصطلاح^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديث له عن اختلاف العلماء في هذه المسألة من الفقهاء وأهل الحديث والأصول ، وحصر الخلاف في هذه المسألة بالقول بالتوكيف ، والاصطلاح وما ترکب منهما ، قال رحمه الله : « فقال قوم : إنها توقيفية ، وهو قول أبي بكر عبدالعزيز والشيخ أبي محمد المقدسي ، وطوائف من أصحاب الإمام أحمد ، وهو قول الأشعري ، وابن فورك ، وغيرهما.

وقال قوم : بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي ، وهذا قول طوائف ، منهم :

١- الصاحبي ص ١٣.

٢- انظر الخصائص ٩٤-٩٩.

ابن عقيل ، وغيره.

وقال قوم : يجوز فيها هذا وهذا ولا نجزم بشيء ، وهذا قول القاضي أبي يعلى ، والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني وغيرهما.

ولم يقل : إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم ، ورأس هذه المقالة أبو هاشم الجبائي^(١).

وجمع السيوطي كدأبه في كتابه المزهر - آراء القائلين بتلك النظرية - أعني التوفيق والإلهام - كابن فارس ، وأبن جني - مع ترددہ في ذلك - ثم أورد أقوال الأصوليين الذين يرون هذا الرأي ، وأورد حجتهم ، والنصوص التي استدلوا بها إضافة إلى الآية الكريمة السابقة؛ حيث استدلوا بقوله - تعالى - : «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُهَا» .

وذلك يقتضي كون الباقي توفيقياً ، وبقوله - تعالى - : «وَمَنْ آتَيْتَهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافُ أَسْبَاتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ» . فاختلاف الألسن دلالة على التوفيق.

ومن حجتهم رأى عقلي في الرد على القائلين بالاصطلاح والمواضعة وهو أن الاصطلاح يحتاج إلى لغة سابقة ، وهم يرون أنه إذا بطل الاصطلاح وجب التوفيق^(٢).

ويلاحظ أن هذه النظرية تعتمد على النصوص النقلية ، كما أنها لا تخلو من

١- مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٤٠.

٢- انظر المزهر ١ / ٨-١٨.

اعتراضات ، وقد رد عليهم المحتجون بردود منها :

١- أن نص التوراة يضعف دليлем ، وأنه حجة عليهم لا لهم؛ لأن فيه إشعاراً بأن آدم -عليه السلام- هو الذي وضع الأسماء.

٢- أن الآية التي احتج بها علماء المسلمين ليست دليلاً قاطعاً؛ فقد اختلف المفسرون في المراد بالأسماء.

وابن فارس نفسه ساق بعض أقوالهم -كما مر-.

٣- أنه لو كانت اللغة توقيفية لما جاز لنا أن ندخل فيها شيئاً، ألا ترى إلى لغتنا العربية اليوم ونحن ندخل فيها من مصطلحات العلوم والفنون الشيء الكثير؟
ألا ترى أننا ننقل دلالات بعض الألفاظ كالسيارة ، والدرجة وغيرها؟.

إن حدوث الترافق ، والاشتراك ، والتضاد في اللغة - لدليل على أن اللغة ليست كلها توقيفاً من الله -تعالى-.

وبهذا وغيره يتبين أن الأدلة المُساقة لا تنهض بهذه النظرية ، ولا تقوى على الوقوف في وجه الاعتراضات.

النظرية الثانية : نظرية التواضع والاصطلاح ، أو يقال : الموضعة :
وتتلخص هذه النظرية في أن اللغة موضعة واتفاق بين الناس؛ بحيث يصطدرون على كذا وكذا من الألفاظ.

وقد قال بهذه النظرية الفيلسوف اليوناني (ديمو كريت) في القرن الخامس قبل الميلاد ، كما مال إليها بعض الفلاسفة الإنجليز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بِحَمْلَةِ اللَّهِ مصوراً هذه النظرية : «أن قوماً اجتمعوا ،

واصطلحوا على أن يسموا هذا بكندا، وهذا بكندا، ويجعل هذا عاماً في جميع اللغات.

وهذا القول لا نعرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبي هاشم الجبائي^(١).

وقد صور ابن جني هذه النظرية بقوله: «وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من الموضعة.

قالوا: وذلك لأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمةً ولفظاً إذا ذكر عُرف به ما مسماه؛ ليمتاز عن غيره، ولُيُغْنِي بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين»^(٢).

وبعد أن وضَّح ذلك ذكر أن التواضع يمكن أن ينقل إلى لغة أخرى، وجعل ما يشاهد من اختراع الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار، والصائغ، والخائق دليلاً على هذا الرأي.

هذا وقد اعترض على هذه النظرية باعتراضات منها:

- ١- أن التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يُتفاهم بها.
- ٢- أنه لا يكون حكماء يتواضعون بدون لغة، فهذه النظرية - إذاً - لا تخلل المشكلة، ولا تخلو من المأخذ.

٣- أن هذا القول مجرد دعوى تفتقر إلى دليل؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمّة من الأمم أنه

١- مجموع الفتاوى ٦٢/٧.

٢- الخصائص ٩٦/١.

اجتمع جماعة فوضعوا هذه الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع...^(١)

فإن أدعى مدعىً أنه يعلم وضعاً يتقدم ذلك فهو مبطل؛ فإن هذا لم ينقله أحد من الناس»^(١).

وقال : «وَحِينَئِذٍ فَمَنْ أَدْعَى وَضْعًا مُتَقْدِمًا عَلَى اسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَقَدْ قَالَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»^(٢).

النظيرية الثالثة: نظرية المحاكاة والتقليد: وتتلخص هذه النظرية بأن نشأة اللغة بدأت محاكاةً للأصوات الطبيعية، وتقليداً للأصوات المسموعة من الحيوانات والأشجار، وصوت الرعد وغيره.

قال ابن جني رحمه الله : «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزير الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.

وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل»^(٣).

وإلى هذه النظرية يميل كثير من الباحثين المعاصرین، ويررون أنها تسخير طبيعة الأشياء التي تبدو بسيطة ثم تنمو وتطور؛ فاللغة -من منطلق هذه النظرية- بدأت

١- مجموع الفتاوى ٦٢/٧.

٢- مجموع الفتاوى ٦٥/٧.

٣- الخصائص ٩٩-٩٨/١.

تقليداً لأصوات الطبيعة، وقد يكون المتكلمون استخدموا مع ذلكـ التعبيرات والإشارات، ثم استغنى عن ذلك فيما بعد.

واستند هؤلاءـ أيضاًـ إلى لغة الطفل التي تبدأ تقليداً، ثم تنموا وتستقيم، وأن كثيراً من الأمم البدائية يستخدمون الإشارات اليدوية، والجسمية للمساعدة في التعبير.

ولقد وجهت نقوذ واعتراضات على هذه النظرية، ومن ذلك:

- ١ـ أنها تنزل بالإنسان إلى ما هو أقل منه؛ فليس من العقولـ عند المعارضينـ أن يقلد الإنسان صوت الحيوان والأصوات المسموعة الأخرى.
- ٢ـ أن اللغات الراهنة لا تشتمل إلا على قدر ضئيل من الكلمات التي تتضح فيها الصلة بين اللفظ والمعنى.
- ٣ـ أن كثيراً من الأمم البدائية يتكلمون بلغات لا يظهر فيها أثر المحاكاة والتقليد للطبيعة.

النظرية الرابعة: نظرية الغرizerة الكلامية: وهي إحدى النظريات الحديثة، وترى أن الإنسان مزود بغرizerة خاصة كانت تحمل كل إنسان على التعبير عن كل مُدرَكٍ حسيٍّ، أو معنوي بكلمة خاصة، ولذا اتحدت المفردات والتعابير عند الإنسان الأول، وأنه بعد نشأة اللغة لم يستخدم الإنسان هذه الغرizerة؛ فانقرضت. ومن قال بهذه النظرية الفرنسي (رينان) ت ١٨٩٠ م، والألماني (مولر) ت ١٩٠٠ م، وهما من أشهر علماء اللغة الأوروبيين.

وقد وجهت إليهما اعتراضات منها:

١- أن المعاني الكلية المعنوية تدل على رقي لا يصدق معه أن تكون هذه هي اللغة الإنسانية الأولى التي يفترض أن تكون بسيطة؛ فهذه الأصول مرحلة لغوية متقدمة.

٢- أن الغريزة الكلامية لم يعرف كيف استُخدمت أول مرة للتعبير عن حاجة الإنسان، وهذا هو الموضوع الذي تدور حوله المشكلة كلها.

هذه هي أشهر النظريات حول نشأة اللغة، وهناك نظريات أخرى حاولت حل هذه المشكلة ولكنها لم تصل بالموضوع إلى نهاية يوقف عندها.

هل يمكن التوفيق بين النظريات السابقة؟

بعد عرض النظريات الأربع يتبيّن أن الباحثين فيها قد استنفدوها طرق البحث الممكنة؛ من اعتماد على الأدلة النقلية والعقلية، والبحث في الواقع اللغوي بمختلف إمكاناته.

ومع ذلك لم يتوصل إلى رأي قاطع في تلك المسألة.

وأكبر ما يؤخذ على من بحث تلك القضية هو التعصب لرأي أو نظرية دون غيرها.

ومن عيوب البحث فيها أن النقد قد يصل إلى درجة التهكم.

ولو حاول العلماء والباحثون في هذه المسألة أن يأخذوا من كل نظرية بجانب ربما كان للمشكلة صورةً أوضح وأقرب للواقع.

ولتأمل ذلك النقل الذي أورده السيوطي في المزهر حيث يقول: «وزعم الأستاذ أبو إسحاق الإسفاياني أن القدر الذي يدعوه به الإنسان غيره إلى

التواضع يثبتُ توقيقاً، وما عدا ذلك يجوز أن يثبت بكل واحدٍ من الطريقيين، وقال القاضي أبو بكر : يجوز أن يثبت توقيقاً، ويجوز أن يثبت اصطلاحاً، ويجوز أن يثبت بعضه توقيقاً، وبعضه اصطلاحاً والكل ممكن^(١).

ففي هذا الرأي محاولة للتوفيق بين قولين مما أشهر الأقوال في المسألة وهما القول بالتوكيف والإلهام ، والقول بالاصطلاح والمواضعة.

وه هنا محاولة للتوفيق بينهما؛ إذ كل منهما يحتمل شيئاً من الصواب ، ويتجه إليه اعتراض؛ فلو جمعنا النظريات ، وأخذنا الجانب الإيجابي من كل منهما دون إغفال نظرية أخرى لربما أمكن الوصول إلى تصور أفضل.

فمما لا شك فيه أن الله - تعالى - علم آدم - عليه السلام - الأسماء ، ولو تركنا البحث والخلاف في معنى الأسماء ، وتصورنا قدرأ من اللغة تعلمها آدم وأولاده من بعده ثم ذرتهم ، وأضفنا إلى ذلك أن الله - عز وجل - قد وهب الإنسان قدرة على التعبير بما في نفسه؛ فذلك الجهاز المسمى بجهاز النطق ، وذلك العقل المدبر المحرك للإنسان قادران على التعبير بما يستجد من أمور إما عن طريق التقليد والمحاكاة - كما نرى في محاولات الأطفال - وإما عن طريق الاصطلاح كما يحدث كلما جدَّ جديد في الحياة وُضع له الاصطلاح المناسب.

وبهذا يمكن الجمع بين النظريات جميعاً في تصور نشأة اللغة الإنسانية.

المبحث الثالث: فصائل اللغات^(١)

كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية الهندية القديمة في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية في أوروبا؛ ذلك أن البحث اللغوي الهندي كان يتميز بالدقة والاهتمام بالدراسات الوصفية، ويبعد عن الجدل والفلسفة.

وقد تبين للغوين وجود أوجه شبه كبيرة بين السنسكريتية واللغات الأوروبية، فدفعهم هذا إلى الاهتمام بالدراسة الوصفية والتاريخية والمقارنة للغات.

وقد كان علماء تلك الفترة في أوروبا مهتمين بالبحث التاريخي، ومحاولون وضع دراسة تاريخية تطورية لكل علم متأثرين بنظرية دارون التطورية، كما كانوا يسعون إلى وضع قوانين لعلومهم، فسار علماء اللغة على هذا النهج؛ لأجل تحديد أوجه الشبه والاتفاق بين اللغات، والبحث عن الأصول المشتركة لهذه اللغات؛ رغبة في الوصول إلى ما يسمى باللغة الأولى أو الأم، ودراسة تطور اللغات، وكتابة تاريخها اللغوي، ووضع قوانين عامة للغات.

ودفع تحديد ملامح المجموعات اللغوية في أوروبا ومعرفة العلاقات بينها - إلى البحث في لغات العالم الأخرى، حتى توصل العلماء إلى بعض التقسيمات للغات، وهو ما يسمى بالفصائل أو الأسر اللغوية.

١ - انظر مولد اللغة ص ٥٨ - ٦٧ ، وعلم اللغة د. علي وافي ص ١٩٥ - ٢٢٨ ، وفقه اللغة د. عبد الراجحي ص ١٣ - ١٧ ، والوجيز في فقه اللغة العربية لعبدالقادر محمد مابو ٧٤ - ٧٨ وأكثر هذا المبحث مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

والغرض الذي يُسعي إليه من دراسة الفصائل اللغوية هو معرفة التقسيمات العامة للغات العالم، والمجموعة التي تنتمي إليها لغتنا، وخصائص المجموعة، وتاريخها، ثم نخرج على لغتنا؛ فندرسها بالتفصيل.

ولقد توصل العلماء إلى عدة نظريات في تقسيم اللغات في العالم ولكن أشهر تلك النظريات نظريةتان:

النظرية الأولى: وهي التي تعتمد على الدراسة الوصفية والتشكيلية للغات، ولا تنظر إلى ما بينها من قربات وصلات تاريخية.

صاحب هذه النظرية هو العالم الألماني (شليجل) وقد قسم اللغات إلى ثلاثة أقسام:

١ - اللغات المتصرفة أو التحليلية: ومتماز هذه اللغات من الناحية التصريفية بتغير المعاني مع تصرف الكلمات، وأن الألفاظ فيها يشتق بعضها من بعض، ومن الناحية النحوية وتركيب الجمل تستخدم روابط وأدواتٍ تدل على مختلف العلاقات.

ومن هذا النوع اللغات الأوربية، واللغات السامية، ومنها العربية التي بلغت من ذلك مبلغاً فاقت به سائر اللغات؛ ففي العربية - على سبيل المثال - تقول من مادة (شرب): شَرِبَ، يَشْرِبُ، شَارِبٌ، شُرَبٌ، شَرْبٌ، شَرِبَ، شَرِبَ... وكل منها يدل على معنى.

وتقول: ركب محمد وعلى القطار من مكة إلى المدينة فتدل الضمة في (محمد) على الفاعلية، والفتحة في (القطار) على المفعولية، والواو على الرابط بين

(علي) و (محمد) و (من) على الابتداء و (إلى) على الانتهاء... وهكذا.

٢- اللغات الوصلية أو اللاصقة: وهذه اللغات تتغير المعاني فيها عن طريق إضافة لواحق أو سوابق إلى الكلمات؛ لتحمل معاني جديدة.

ومن أشهر لغات هذه الفصيلة: اليابانية، وبعض اللغات البدائية.

٣- اللغات العازلة: وهي لغات لا تصرف الكلمات فيها، ولا تلحقها الإضافات، بل تحمل كل كلمة بصورتها معنى لا يتغير.

ولا تعرف هذه اللغات الأدوات النحوية، ولعل هذا هو السبب في تسميتها بـ: العازلة؛ لأن لكل كلمة دلالة خاصة، لا تقبل التغيير.

ومن هذه اللغات الصينية، وكثير من لغات الأمم البدائية.

وزعم القائلون بهذه النظرية أنها تدل على تطور اللغات؛ فاللغة في نظرهم تبدأ من مرحلة (العزل) ثم ترقي إلى المرحلة التي تستخدم فيها السوابق واللواحق، ثم إلى أرقى مراحلها وهي أن تكون تصريفية.

كما يرى القائلون بها أن بعض اللغات قد تتوقف عند مرحلة معينة فلا تتجاوزها، وقد استدلوا على نظريتهم هذه بلغات الأطفال، ولغات الأمم البدائية.

ولم تلق هذه النظرية قبولاً عند العلماء، ووجهوا إليها اعترافات أهمها: أن كثيراً من اللغات تعرف أكثر من قسم من الأقسام الثلاثة؛ فالعربية التي هي لغة تصريفية تعتمد اعتماداً كبيراً على الوصل، والإلصاق كحروف المضارعة، وعلامات الشتنة والجمع، وغيرها.

وكذلك نجد فيها بعض الصيغ العازلة كالمثال الذي يسوقه النحويون: ضرب موسى عيسى، من وجوب تقديم الفاعل؛ لوجود اللبس، لعدم وجود قرينة تدل عليه، ولو قدمت (عيسى) على (موسى) أو على (ضرب) وأنت تريد أن (عيسى) هو الفاعل لتغير المعنى.

النظرية الثانية: وهي التي تعتمد على الصلات وروابط القربي، والعلاقات التاريخية والجغرافية بين الشعوب، فتحاول أن يجعل من كل مجموعة متقاربة من اللغات فصيلة مستقلة.

وهذه النظرية أكثر النظريات قبولاً، ورواجاً بين العلماء. وأشهر تقسيم للغات سار في هذا الاتجاه هو ما قال به العالم الألماني (ماكس مولر) ت ١٩٠٠ م، فقد لاحظ أن أكثر لغات العالم تجمع بينها علاقات تاريخية، وأوجه شبه مما يمكن أن تكون متفرعة عن أصل واحد.

ومن منطلق وحدة النشأة للغات وجد (مولر) أمامه مجموعتين لغويتين متميزتين، أما اللغات التي لم تدرج تحت هاتين المجموعتين فقد صنفهما تحت مجموعة ثالثة.

وعلى هذا فصائل اللغات في العالم ثلاثة:

- ١- فصيلة اللغات الهندية - الأوربية: وهي أكثر اللغات انتشاراً في العالم؛ إذ يتكلم بها أكثر سكان أوروبا وأمريكا واستراليا، وقسم كبير من سكان آسيا. ويندرج تحت هذه المجموعة عدد من اللغات البائدة كالسنسكريتية، والفارسية القديمة، والبهلوية، واللغات الجermanية، واليونانية، والإغريقية

القديمة، كما يدخل ضمن هذه المجموعة من اللغات المستعملة الحية اللغات الهندية، والفارسية، والكردية، والأفغانية، والأرمنية، والألبانية، واللغات الأوروبية، والسلافية والاسكندنافية، وغيرها.

وقد اختلف العلماء في تحديد موطن هذه اللغات فقيل نشأت في وسط آسيا في منطقة التركستان، أو في أوريا الشرقية، أو في بحر البلطيق كما حاولوا تصور كيفية انتقال هذه اللغات وانتشارها في تلك البقاع الواسعة في العالم.

وقد بحث العلماء كثيراً في هذه اللغات؛ لأن أكثر علماء اللغة في العصور المتأخرة يتعمون إليها.

وتمتاز هذه الفصيلة بكثرة شعبيها، واتساع الرقعة المنتشرة فيها.

وقد سلك المتحدثون بها - إن كانت في يومٍ ما لغةً واحدةً - مسالك متباude حتى لا يكاد يوجد بين فروع هذه الفصيلة إلا أوجه شبه محدودة يدركها المتخصصون.

٢- فصيلة اللغات السامية - الحامية: وتشمل هذه الفصيلة مجموعتين لا يربط بينهما إلا روابط جغرافية؛ ذلك أن الاختلاف بين المجموعتين كبير.

أما الأولى - السامية - فلها حديث خاص، وأما الثانية - الحامية - فتنسب إلى حام بن نوح - عليه السلام - وهي تحوي اللغات المصرية القديمة، والقبطية، واللغات البربرية التي لا يزال لها بعض الاستعمال في مناطق من شمال أفريقيا، واللغات الكوشية - الحبشيّة القديمة - والنوبية.

وأكثر هذه اللغات طفت عليها اللغات السامية.

٣- فصيلة اللغات الطورانية: وتسميتها بالفصيلة من قبيل المجاز، وإنما هذه الفصيلة تضم لغات لا تربط بينها علاقات، ولكن (مولر) جمعها تحت هذا الاسم؛ تخلصاً من كثرة التقسيمات.

ومن هذه الفصيلة اللغات الصينية، واليابانية، والتركية، والمغولية، وغيرها. ولم يرض هذا التقسيم العلماء المحدثين، فجعلوا اللغات السامية الخامسة فصيلتين مستقلتين، وجعلوا الفصيلة الطورانية تسعة عشر قسماً؛ لتصل الفصائل إلى اثنين وعشرين.

المبحث الرابع: اللغات السامية^(١)

والمراد بها -كما يقول الرافعي في تاريخ آداب العرب- : لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأردن شمالاً إلى البحر العربي جنوباً، ومن خليج العجم شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً.

وهي منسوبة إلى سام بن نوح -عليهما السلام- باعتبار أن المتكلمين بها هم في الجملة من نسله.

وقد اختار الباحثون الغربيون هذه التسمية؛ حيث لاحظوا -وهم يقسمون لغات العالم- أوجه شباه بين مجموعة اللغات العربية وال عبرية والحبشية والسريانية، والآشورية، والأرامية، وغيرها من اللغات؛ فاعتقدوا أنها -في الأصل- لغة واحدة، وأن أهلها يسكنون في بقعة واحدة، ثم تفرقوا في الأرض، وانتشروا، واختلفت ألسنتهم، وتبينت لغاتهم.

وقد اختار العالم الألماني (شلوترز) اصطلاح اللغات السامية؛ لإطلاقه على هذه اللغات، ويعد أول من استخدم هذا الوصف، وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي.

وقد استمد هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب في الإصلاح العاشر من سفر التكوين في التوراة، وهو الجدول الذي يرجع الشعوب التي عمرت الأرض

١- انظر تاريخ آداب العرب ١٧٤-١٧٧، وفقه اللغة د. علي عبدالواحد وافي ص ٨-٦، ومولد اللغة ص ٦٧-٦١، وفقه اللغة للراجحي ص ١٧، وفقه اللغة د. إميل بعقوب ص ١٠٨-١١٤، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

بعد الطوفان إلى أبناء نوح -عليه السلام- : سام، وحام، ويايث ، والذي جعل الأشوريين ، والآراميين ، والعربين من أبناء سام.

وقد ارتضى الباحثون هذه التسمية رغم اعتراضهم على التقسيمات الموجودة في الجدول؛ لأن الجدول أدخل في الساميين شعوباً ليسوا منهم ، واستبعد شعوباً من الساميين؛ لاعتبارات دينية ، وسياسية.

ولكن ذلك التقسيم -كاصطلاح علمي- كتب له الشيوع على ما فيه من تجاوزات.

تنبيه: قال أ.د علي البواب -حفظه الله- : «تناقل المستشرقون وكثير من سار على نهجهم من الباحثين العرب - أن علماء اليهود الذين كانوا يعيشون في الأندلس في القرن العاشر الميلادي هم أول من تنبه إلى الصلات والروابط بين الشعوب السامية ، وأنهم أول من أدرك القرابة اللغوية بين الساميين.

وهذا ادعاء غير صحيح ، وفيه مغالطة تاريخية؛ فقد عرف كثير من علماء المسلمين قبل القرن العاشر الميلادي وبعده صلات القرابة بين الشعوب السامية ، كما عرفوا أنهم من ذرية سام بن نوح.

فالخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ -القرن الثامن الميلادي- يقول في كتابه العين : «وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية» .

والجوهري من علماء القرن الرابع الهجري -العاشر الميلادي- يقول : «وسام أحد بني نوح -عليه السلام- وهو أبو العرب» .

وابن حزم الأندلسي من علماء القرن الخامس الهجري يقول: «إن الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقيناً أن السريانية، والعبرانية، والعربية والتي هي لغة مصر وربعها لا لغة حمير - واحدة تبدل مساكن أهلها... فمن تدبر العربية وال عبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل».

والإمام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ أشار في فتاواه إلى وجود علاقات لغوية بين هذه اللغات قال: «والألفاظ العربية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تقارب الأسماء في الاشتقاد الأكبر، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مُسلِّمة أهل الكتاب، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيراً من كلامهم العربي بمجرد معرفة العربية»^(١).

فإذا رأك علماء العربية لأوجه الشبه بين لغتهم وغيرها وارد و معروف، وليس من العدل أن ينسب لغيرهم.

بل إن من علماء العربية من عرف بعض اللغات السامية وغيرها ، فأبو حيان الأندلسي **ألف** في نحو الحبسية والتركية.

ولكن علماء العربية لم يسعوا إلى إجراء البحوث المقارنة بين العربية وغيرها، وربما كان ذلك لاعتقادهم أن لغتهم أسمى من أن تقارن بغيرها ، وتقديسهم لها جعلهم يرثون بأنفسهم عن مقارنتها بلغات أخرى»^(٢).

١- تقض المطق لابن تيمية ص ٩٣-٩٤.

٢- محاضرات أ.د. علي الباب على طلاب كلية اللغة العربية.

المبحث الخامس: بداية البحث التاريخي والمقارن للغات السامية وفائدته ذلك

أما البحث التاريخي والمقارن للغات السامية فهو وليد القرن التاسع عشر الميلادي، وقد برزت هذه البحوث على أيدي الغربيين بعد تطوير البحوث اللغوية، وللبحث التاريخي المقارن في اللغات السامية فوائد عديدة منها:

- ١- معرفة تاريخ الشعوب السامية التي تتصل مع الشعوب بصلات القربي، وعاداتهم، وتقاليدهم، ودياناتهم، وحضاراتهم وأثر ذلك على العرب.
- ٢- أن البحث التاريخي المقارن يساعد على تفهم كثير من قضايا اللغة ويفسر بعض ظواهرها الصوتية واللفظية؛ فكثير من قضايا الدلالة كالترادف، والاشتراك، والإبدال يمكن أن يكشف البحث المقارن عن بعض غموضها، وأسباب حدوثها، كما أن هذا البحث يوضح كثيراً من التبدلات الدلالية.

طريقة البحث في اللغات السامية:

وقد سار البحث في اللغات السامية في اتجاهين:

- أحدهما: تاريخي: يتناول الحديث عن موطن الساميين، وهجراتهم، وصراعهم مع الشعوب الأخرى، والممالك التي أقاموها، والآثار التي خلفوها وغير ذلك من البحوث التاريخية.

- والثاني: لغوي: يعتمد على الدراسة الوصفية لكل لغة من حيث صواتها، ومفرداتها، وتركيبها، ثم المقارنة بين هذه اللغات للخروج بقوانين عامة للغات السامية، ومحاولة معرفة اللغة الأولى.

والباحث في اللغات السامية يحتاج إلى الجمع بين الجانبين التاريخي واللغوي.

المبحث السادس: الموطن الأول للساميين^(١)

اختلف العلماء كثيراً حول تحديد المكان الأول الذي عاش فيه الساميون، وسلكوا للإجابة على السؤال مسالك متعددة، وخرجوا بأراء مختلفة تبعاً للمنهج الذي اعتمدوه في بحث المسألة، ومن أشهر ما قيل في ذلك:

١- رأى بعض الباحثين أن يكون شمال أفريقيا أو بلاد الحبشة - الموطن الأول للساميين، وأنهم نزحوا منها إلى جنوب الجزيرة عن طريق باب المندب. وقد استندوا في ذلك على ما لاحظوا من أوجه التشابه بين الحاميين والساميين، وإلى وجود أوجه بين اللغات السامية والحامية.

وهذه النظرية لا تستند على أساس قوية؛ فقد اعترض عليها بأن التشابه بين السامية والحامية محدود، وأنه لم يكن للغات السامية وجود أو أثر يذكر عند الفتوح الإسلامية لشمال أفريقيا مما ينفي كون تلك المناطق مهدّاً للساميين.

٢- واعتمد بعض العلماء على المؤثرات الدينية؛ ففي قصة الطوفان أن السفينة رست عند منابع دجلة والفرات، فرأى بعض العلماء أن مرتفعات كردستان، أو بلاد أرمينية هي المكان المقصود، وافتراضوا أن تكون موطنًا للساميين.

١- انظر تاريخ آداب العرب ١/٧٤-٧٥، وفقه اللغة د. علي وافي ص ٣٠ و ١٣-٩، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٦٠-٦١، ومولد اللغة ١١-١٠، ومحاضرات أ.د. علي الباب على طلاب كلية اللغة العربية.

وبناءً على هذه النظرية فإن الموطن الأول للغات كلها هو ذلك المكان.

ولكن أصحاب النظرية يقولون أن (حام) طرد، وأن (يافث) اطلق إلى مكان آخر، ولم يبق هناك إلا (سام) والنظرية -كما يبدو- تعتمد على تصورات لا تستند كثيراً إلى الواقع؛ لذا لم يكتب لها الرواج كسابقتها.

٣- وافتراض بعض العلماء أن تكون بلاد كنعان -الشام- الموطن الأول للساميين، واعتمدوا في ذلك على دراسة الأساطير، والتأثيرات الشعبية.

ولكن العلماء يعترضون على هذه النظرية بأن الانتقال من بلاد الشام الخصبة إلى أرض الجزيرة انتقال شاق لا داعي له، وأن تلك الهجرات التي تمت في القرن الرابع ق.م تحتاج إلى الإبل التي ثبت أنها لم تستأنس إلا في ألف الثالث ق.م.

٤- ونظرية رابعة ترى أن سهول العراق وما بين النهرين هي البيئة الأولى التي نشأ فيها الساميون، وأول من قال بهذا الرأي العالم الإيطالي (جويدى) وتابعه على ذلك جماعة من العلماء.

وحجة جويدى في ذلك لغوية؛ فقد وجد أن كلمة (نهر) معروفة في كل اللغات السامية بنفس اللفظ على حين تختلف كلمة (جبل) من لغة سامية إلى أخرى، كما لاحظ أن كثيراً من أسماء النباتات والحيوانات تشبه ما يوجد في البابلية الآشورية التي كانت في العراق أكثر مما تشبه العربية، واستخلص من ذلك أن يكون الساميون قد عاشوا في سهول العراق.

وبخاصة إذا عرفنا أن البابلية الآشورية لها نصوص مكتوبة منذ ألف الرابع ق.م، وهي أقدم كتابات سامية.

والاعتراضات الموجهة إلى هذه النظرية قائمة على أساس أن تاريخ العراق معروف قبل البابليين عن طريق النقوش السورية ، والسوريون ليسوا ساميين ، وأن أحد ملوك الساميـن في العراق ، وهو الملك الأكادي سرجون الأول ٢٦٠٠ ق.م - كتب عن أصله في نقش مشهور ما يفهم منه أنه وعشيرته قدموا إلى بلاد الرافدين من جزيرة العرب .

أما الألفاظ اللغوية فقد تكون مستعارة من لغات غير سامية ، وقد يكون الساميـون عرفوا النهر قبل أن يعرفوا الجبل ، ولكن ليس من الضرورة أن يكون دجلة أو الفرات .

٥- أما أشهر الآراء وأرجحها فهو القائل إن شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأول للساميـين ، وقد مال إلى هذا الرأي كثير من المستشرقين ، واستندوا في ذلك إلى عدة أدلة منها :

أ- المسكن : فأكثر المناطق التي حددت على أنها الوطن الأول للساميـين كانت مسكونة بشعوب غير سامية ، على حين لا يُعرف قوم غير الساميـين سكناً جزيرة العرب .

ب- الهجرات : فالتأريـخ يتحدث عن هجرات كانت تنطلق من جزيرة العرب إلى بلاد الشام والعراق ، ولم يذكر عكس ذلك ، وقد استمرت تلك الهجرات حتى غمر المهاجرون أرض العراق والشام وأفريقيا .

والنقوش السورية تبين أن بلاد سومر كانت مهددة دائمـاً بهجرات قبائل تأتي من الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية .

ج- ملائمة بلاد العرب : فقد ذكر بعض العلماء أن بلاد العرب كانت في العصور القديمة كثيفة بالسكان ، خصبة الأرض ، موفورة الخيرات ، تخترقها عدة أنهار ، وأنه على أثر بعض الظواهر الجيولوجية فقدت تلك المناطق خصوبتها ، فنزح أكثر سكانها إلى مناطق أخرى.

وقد عرف العرب السدود والأنهار ، وقصص القرآن الكريم تحدثنا عن (سبأ) و(عاد) و(ثمود) وغيرهم كما تحدثنا عن القصص الدينية والروايات التاريخية عن كثير من الأمم التي سكنت جزيرة العرب ، وكانوا يعيشون في رغد من العيش ، وأن الله - تعالى - انتقم من كثير منهم لکفرهم بنعم الله - تعالى - .

د- أن العرب أقرب الشعوب إلى السامية : فالمستشرقون يرون أن أقرب الشعوب إلى الساميين لغة ، وخلقأً هم العرب ، الذين بقوا في أرضهم ولم يختلطوا كثيراً مع غيرهم ، وأن كثيراً من الألفاظ السامية يعبر عن عقلية تعتمد على المشاهدات الحسية التي تنشأ في الصحراء .

هذه الأدلة دفعت بكثير من العلماء إلى الأخذ بهذا الرأي ، وإلى افتراض أن أقدم موطن للساميين هو جزيرة العرب ، أو أنها أقدم موطن عرف للساميين ، بمعنى أنه لا يستبعد أن يكونوا قد نزحوا إليها من مكان آخر في فترة موغلة في القدم.

المبحث السابع: الخصائص المشتركة للغات السامية^(١)

يرى العلماء أن صلات القربى، والصفات الجامعة بين اللغات السامية كثيرة وواضحة، وأشد ظهوراً ما هي بين مجموعة اللغات الهندية الأوربية، وقد مر بنا أن بعض علماء العربية تنبهوا إلى العلاقة والرابطه بين العربية وغيرها دون معرفة بتلك اللغات.

أما اللغات الهندية الأوربية فلا يستطيع إدراك الروابط بينها الباحثون المدققون.

وأسباب كثرة الروابط بين اللغات السامية عديدة منها:

- ١ - أن الساميين لم يتفرقوا في مناطق شاسعة متباعدة من الأرض كما هو الحال بالنسبة للغات الهندية الأوربية.
- ٢ - وأن الساميين مع تفرقهم وانتشارهم لم تنقطع الاتصالات بينهم، ولم تتوقف هجراتهم.
- ٣ - أن أكثر اللغات السامية ترتبط بالأديان والحضارات التي حرص أهلها عليها، وتمسكون بها، فارتبطت العربية بكتاب الله - تعالى - وتمسك اليهود والسريان والأراميين وغيرهم بمعتقداتهم وعبادتهم جعلهم يرتبطون بلغتهم، فلم ينلها تغير كبير، ولم تبتعد عن أصولها الأولى بعدها واسعاً.

١ - مستفاد من محاضرات أ.د علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية ، وانظر فقه اللغة لـ: وافي ص ١٤-١٧.

أما أهم الخصائص التي تجمع اللغات السامية فهي ما يلي:

١- من الناحية الصوتية: تمتاز اللغات السامية باحتواها على حروف الحلق (الهمزة والهاء والعين والباء والخاء والغين والخاء) بحيث لا تخلو لغة سامية من بعض هذه الحروف، ويضيق منها بعضها، أو يتحوال إلى صوت آخر تحت تأثير اللغات الأخرى.

وقد استنتاج العلماء أن السامية كانت تعرف حروف الحلق كما هي في العربية، وأن فقدانها من غير العربية طرأ على الساميات، خصوصاً حرف (الباء) حيث زعم ابن فارس رحمه الله أن الباء ، والطاء مما اختصت به العرب^(١).

وقال -أيضاً- : «وزعم أناس أن الضاد مما اختصت به العرب دون غيرهم»^(٢).

وحرروف التفتحيم أو الإطباق: (ص، ض، ط، ظ، ق) من مميزات اللغات السامية، وقد أجمع الباحثون على وجود القاف والباء والصاد في كل اللغات السامية، أما الطاء فيظن أنها متطرورة عن الصاد، والضاد من خصائص العربية فلا توجد في غيرها -كما مر..

والحروف بين الأسنانية (ذ، ث، ظ) مما تميّز السامية؛ فالذال والثاء صوتان أصليان في السامية الأولى، وإن فقدا من بعض اللغات السامية، وتحولا إلى أصوات أخرى كما هو الحال في العاميات العربية.

٢- ومن الناحية الصرفية تعتمد اللغات السامية على الأصوات الساكنة،

١- انظر الصاحبي ص ٦٣.

٢- الصاحبي ص ٦٣.

ويتعدد معنى الكلمة بالسواءن، ولا يكون للحركات قيمة كبيرة في ذلك، ويغلب على اللغات السامية الأصول الثلاثية، ويوجد فيها بعض الأصول الثنائية والرباعية، كما أن اللغات السامية لغات اشتقاقية تصريفية، وتعتمد على السوابق واللوائح في الزيادة على المعنى الأصلي.

٣- وزمن الفعل في اللغات السامية ينقسم إلى ماضٍ، ومستمرٍ، ولا تعرف اللغات السامية في الأصل غير هذين الزمرين على حين نرى اللغات الهندية الأوروبية ينقسم زمن الفعل فيها إلى عدة أقسام.

٤- وتعرفُ اللغاتُ الساميةُ حالتين فقط من حيث الجنس، وهما المذكر والمؤنث ولا تعرف نوعاً ثالثاً، وتدخل ما ليس بمنذكر أو مؤنث حقيقي في أحدهما مجازاً.

٥- كما أن اللغات السامية تُقسّم الاسم من حيث العدد إلى مفرد ومتثنى وجمع، والمثنى لا يعرف في كثير من اللغات.

٦- ظاهرة الإعراب ظاهرة سامية قديمة؛ فهي معروفة في النقوش القدمية الأكادية كما هو الحال في العربية، وقد الإعراب في بعض اللغات السامية حدث متأخر.

٧- وما يربط بين اللغات السامية أنها تجد كثيراً من المفردات تتشابه معانيها، كالاشتراك في الضمائر، والأعداد، وأسماء الأسرة، وأعضاء الجسم، وبعض الألفاظ الدالة على المعيشة.

هذه الصفات والخصائص المشتركة بين اللغات السامية جعلت الباحثين

يؤكدون أنها لغات لها أصل واحد، وهذا لا يعني أنه لا يوجد اختلافات بين هذه اللغات ، فبالإضافة إلى ما أصاب اللغات السامية من تغيير في أصواتها ، وما دخلها من ألفاظ واستعمالات - فإن بينها فروقاً ليست قليلة في أداة التعريف ، وعلامات التشيبة والجمع ، وكثير من المفردات.

أما أقدم لغة سامية ، أو أقرب لغة سامية إلى الأصل المشترك ، أو اللغة الأولى للساميين كما يتصورها العلماء - فهو أمر مختلف فيه وإن كان أكثرهم يرى أن العربية أقرب اللغات إلى السامية الأولى؛ فالأبجدية الصوتية التي رسماها العلماء السامية الأولى قريبة إلى حد ما من الألفبائية العربية ، وال العربية لم تفقد شيئاً من مخارجها ، وحافظت على ظاهرة الإعراب كاملة ، كما أن المفردات والتصريف ، وتركيب الجملة السامية الأولى مما حافظت عليه العربية.

وليس ذلك غريباً إذا ما تذكرا أن أرجح الآراء ترى أن جزيرة العرب موطن الساميين ، ومن ثم يكون سكان الجزيرة الذين لم يغادروا أرضهم ولم يختلطوا إلا قليلاً بغيرهم ، والذين توارثوا الديانات والحضارات - هم أجدر الناس بالمحافظة على خصائص لغتهم الأم.

الفصل الثالث: دراسة اللهجات العربية، والمنطق العربي

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مسائل في اللهجات.

المبحث الثاني: دراسة اللهجات العربية.

المبحث الثالث: صفات الحروف ومخارجها.

المبحث الرابع: عيوب المنطق العربي.

الفصل الثالث

دراسة اللهجات العربية والمنطق العربي^(١) تمهيد

تساءل العلماء كثيراً عن العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ووصلنا بها الشعر الجاهلي، وكتب بها تراثنا الإسلامي، والتي لا تزال لغة العرب في كل مكان، ويستخدمها المسلمون في العالم كله في عبادتهم، وفي كثير من شؤون حياتهم، تسأّلوا: هل كانت قبائل العرب جميعاً تتكلّم بهذه اللغة، أو هي لغة قريش وحدها سادت بعد الإسلام ونزول القرآن بها؟

ولقد اختلف العلماء في الإجابة عن هذا السؤال، فمنهم من ادعى أن العربية التي وصلتنا هي لغة قريش وحدها.

ومنهم من قال: إنها لغة مشتركة للعرب جميعاً، تعاملوا بها، واستعملوها في لقاءاتهم ومواسمهم الدينية والثقافية والتجارية، وإلى جانب هذه اللغة كان لكل قبيلة لهجة خاصة بها، أو لغة خاصة.

وإذا كان الرأي الثاني هو الأرجح فهل يعني أن القبائل العربية المتعددة كانت تتكلّم بلغات، أو بلهجات بعيدة عن الفصحي المشتركة؟

وهل وجود هذه اللهجات يعني أن العرب لم يكونوا جميعاً يتكلّمون الفصحي، أو يتعاملون بها؟

١ - مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

أو أنهم كانوا يتعاملون في حياتهم اليومية بلغات خاصة، ثم يخاطبون بالفصحي عند لقاءاتهم؟.

والإجابة القاطعة على هذه التساؤلات ليست سهلة لأمور منها ما يلي :

١- أن ما وصلنا من روایات عن لهجات العرب قبل الإسلام ليس بالشيء الكثير الذي يمكن أن يصور لنا حجم هذه اللهجات ومدى بعدها أو قربها من الفصحي.

٢- وأن ما وصلنا من أدب جاهلي لا يمثل اللهجات الخاصة بقبائل شعرائه بقدر ما يمثل الفصحي.

٣- ولأن العلماء أضربوا كثيراً عن نقل اللهجات؛ لأن ما وصلنا من أخبار وروایات عن اللهجات العربية، وما جاء منها في القراءات المتوترة وغير المتوترة يمكن أن يُستنتج منه بعض خصائص اللهجات العربية، ويبين لنا أن الاختلافات بين اللهجات لا تعدو أن تكون اختلافات قليلة من إمالة صوت، أو إيداله، أو إدغامه، أو إعمال حرف عند قبيلة تهمله قبيلة أخرى، أو اختلاف في دلالة لفظ بين قبيلة وأخرى، أو أنها -صفة عامة- لا ترقى إلى درجة الرزعم بأن اللهجات العربية كانت متباعدة، أو أنه كان لكل قبيلة لهجة خاصة.

وقيل الحديث عن أشهر سمات اللهجات العربية وما بقي منها في عربيتنا اليوم لابد من التقديم بمحدث عن تعريف اللهجة، وأسباب حدوثها، والغرض من دراسة اللهجات.

المبحث الأول: مسائل في اللهجات^(١)

أولاً: معنى اللهجـة: يفهم من معنى اللهجـة في المعاجـم العـربية أنها اللـغـة، أو طـرـيقـة أداء اللـغـة، أو النـطـق، أو جـرـس الـكـلام ونـغـمـته^(٢).
ويعرفـها المـحـدـثـون بـأنـها: الصـفـات أو الـخـصـائـص الـتـي تـتـمـيز بـهـا بـيـئـة ما فـي طـرـيقـة أداء اللـغـة أو النـطـق.

ثانياً: انقسام اللهجـات والعـلـاقـة بـيـنـهـا:
وبـنـاءـاً عـلـى ذـلـك التـعـرـيف السـابـق فالـلـغـة الـوـاحـدة قد تـنـقـسـم إـلـى عـدـة بـيـئـات لـغـوية لـكـل مـنـهـا لـهـجـة خـاصـة، أو صـفـات لـغـوـية مـعـيـنـة، وـيـشـتـرـك أـفـرـاد الـبـيـئـات الـمـخـتـلـفة أو الـمـتـكـلـمـون بالـلـهـجـات الـمـتـعـدـدة - فـي أـكـثـر خـصـائـص اللـغـة.
فـإـذـا قـلـنـا: اللـغـة الـعـرـبـية قـصـدـنـا اللـغـة الـتـي يـتـفـاهـمـ بـهـا الـمـسـلـمـون، وـيـقـرـؤـون بـهـا وـيـكـتـبـون، وـيـسـمـعـون عـبـارـاتـهـم، فـيـفـهـمـونـهـا.
أـمـا إـذـا قـلـنـا لـهـجـة الـجـنـوب، أو الشـام قـصـدـنـا طـرـيقـة أداء أـهـل تـلـك الـمـنـطـقـة لـلـغـة، فـقـد تكونـلـهـم خـصـائـص مـعـيـنـة يـخـتـلـفـونـ فـيـهـا عـنـ غـيرـهـمـ.
وـالـخـصـائـص الـتـي تـمـيزـلـهـجـة قد تكونـصـوـتـيـة؛ فـجـمـاعـة تـنـطقـ القـافـ كـافـاـ، أوـالـجـيمـ يـاءـ، أوـالـذـالـ زـايـاـ...
وـقـدـيـكـونـ فـيـ تـرـقـيقـ صـوـتـ أوـ تـفـخـيمـهـ، أوـ فـيـ طـرـيقـةـ النـبـرـ وـنـظـامـ المـقـاطـعـ.

١- مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

٢- انظر لسان العرب ٣٥٩/٢ - ٣٦٠.

وقد تكون هذه الخصائص في بنية الكلمة وزنها، وفي تقديم بعض الأصوات على بعض.

وقد يكون الاختلاف في تركيب الجملة، والربط بين أجزائها كما قد يكون في دلالات بعض الألفاظ.

ولكن اللهجات التي تنتهي إلى لغة واحدة يجمع بينها روابط صوتية ولفظية، ودلالية، وتركيبية كبيرة.

وكلما ازدادت الصفات المشتركة بين مجموعة اللهجات ازداد التقارب بينها. وعلى العكس من ذلك إذا قلت الصفات المشتركة بين هذه اللهجات ابتعدت عن بعضها حتى تصبح هذه اللهجات مع مرور الزمان كأنها لغات لا يربط بينها إلا روابط ضعيفة.

ويُذكر أن أكثر اللغات المعروفة انفصلت عن لغات أسبق، فهي - في الأصل - لهجة من اللغة الأم أو فرع منها، ثم اتسعت الفروق بينها وبين اللغة الأصلية حتى غدت لغة مستقلة كما حدث في مجموعات اللغات الهندية الأوروبية، أو في اللغات السامية.

ثالثاً: أسباب حدوث اللهجات: هناك عوامل مختلفة تؤدي إلى حدوث اللهجات، منها ما يلي :

- ١- العامل الجغرافي: فقد تتسع الرقعة الجغرافية للمتكلمين باللغة، وتفصل بينهم الجبال والأنهار، ويقل الاتصال بينهم؛ فتأخذ اللغة في التغيير شيئاً فشيئاً، ويسلك المتكلمون باللغة مسلكاً مختلفاً عن غيرهم، فيؤدي ذلك إلى حدوث

لهجة جديدة.

٢- العامل الاجتماعي: فالظروف الاجتماعية في البيئات المتعددة الطبقات تساعده على حدوث اللهجات؛ فكل طبقة تحاول أن يكون لها لغتها، أو أسلوبها اللغوي المميز.

٣- العامل السياسي: فانفصال قبيلة أو دولة عن غيرها، واعتناق المذهب السياسي، أو الدخول في الديانات الجديدة يساعد على دخول ألفاظ وأصطلاحات جديدة في اللغة.

٤- الصراع اللغوي والاحتلال: وربما كان ذلك أهم العوامل التي تساعده على حدوث اللهجات؛ فالصراع بين لغتين يؤدي إلى انتصار إحداهما على الأخرى طبقاً لقوانين لغوية؛ فالأقوى حضارةً ومادةً قد يُكتب له الانتصار، ولكن اللغة المغلوبة ترك أثراً في الغالبين، وتؤدي إلى تطور، أو تغير في لغتهم. كما أن اختلاط الأقوام ببعضهم يؤدي إلى التغييرات اللغوية، فاللغات السامية التي دخلت العراق احتلت بالسومرية، وانتصر الساميون على السكان الأصليين للعراق بعد أن أخذوا منهم الكثير، وبعد أن فقدوا كثيراً من ميزات لغتهم الأصلية.

والمسلمون بعد فتح فارس، والمغرب وغيرهما نشروا العربية. ولكن هناك لهجات خاصة نشأت في تلك البلاد؛ نتيجة الاحتلال بين الفاتحين وسكان البلاد الأصليين.

رابعاً: اللهجة الخاصة: إلى جانب اللهجة التي سبق الحديث عنها، وعن

أسباب حدوثها هناك ما يسمى باللهجة أو اللغة الخاصة، وهي تلك التي تستخدمها طوائف وجماعات خاصة؛ ففي سلك القضاء أو الطب، أو أعمال الحدادة، أو النجارة، أو بين المصوّص وقطاع الطرق - تجد ألفاظاً وأصطلاحات لا تستخدم إلا عندهم، ومتناز هذه اللغات باستخدام التعبيرات الاستعارية، واستعمال الألفاظ في غير مدلولاتها الحقيقة.

وقد تنشأ هذه اللهجات نتيجة شعور أصحابها بالعزلة أو معاداتهم للنظام ، أو رغبة في التمويه ، أو تمييز أنفسهم.

خامساً: اللغة المشتركة: ويقصد باللغة المشتركة مجموعة الصفات اللغوية التي تجمع بين لهجات اللغة الواحدة، وتجعل الأفراد المتكلمين بهذه اللهجات يتفاهمون مع بعضهم بسهولة، فهي لغة وسيطة تقوم بين المتكلمين بلهجات مختلفة.

وتتميز اللغة المشتركة - إضافة إلى أنها مفهومة لدى جميع التكلميين بها أو سامعيها - أنها فوق مستوى العامة، وأنها لا تنتمي إلى بيئة واحدة، وإنما هي مزيج بين اللغات أو اللهجات المختلفة.

سادساً: لماذا ندرس اللهجات؟: اللهجة ظاهرة لغوية موجودة في كل بيئة وفي كل عصر، ودراسة اللهجة ليس دعوة إلى نصرة اللهجات والعاميات، ولكنَّ دراسة اللهجات العربية لها مسوغات، وينتتج عنها فوائد منها:

١- أنها تفيد في تفسير بعض قضايا العربية ومفرداتها ودلالاتها؛ فظواهر الاشتراك، والتضاد، والترادف، والإبدال، وغيرها يمكن أن يُرَدَّ كثيًرٌ منها إلى

اختلاف اللهجات العربية.

٢- أنها تعين على تفسير كثير من القراءات القرآنية ، ومعرفة اللهجات التي وردت عليها.

٣- أنها تفسر لنا كثيراً من اللهجات الحديثة ويعرفنا بأصولها ، وكيفية حدوثها.

المبحث الثاني: دراسة اللهجات العربية

لقد كان لسيادة اللغة القرشية -لغة القرآن الكريم- أثر كبير في نظر علماء العربية إلى غيرها من اللهجات؛ حيث أضرب بعضهم عن نقل غير الفصيح لأنهم يفضلون لغة قريش على غيرها.

وسيمر بنا عند الحديث عن لغة أو لهجة قريش أنه كان لها النصيب الأوفى، والقِدْحُ المعلى في الفصحي، وأن قريشاً كانت تختار من لغات العرب أفصحتها، فتضمنها إلى لغتها، وتستعملها.

وعلى الرغم من شيوع تلك اللغة في العصر الجاهلي، وأنها أصبحت لغة الأدب عامة، وأن القبائل العربية قد اصطلحت فيما بينها على هذه اللغة الفصحي، وأن الشعراء كانوا على اختلاف قبائلهم وتباعدوا وتقاربهـا ينظمون شعرهم في تلك اللغة، وأن الوارد منهم إذا أراد نظم الشعر تجافي عن لهجة قبيلته المحلية إلى تلك اللهجة الأدبـية العامة، بالرغم من ذلك كله كانت هناك لهجات كثيرة تميزت بها بعض القبائل، وظلت آثارها واضحة على ألسنتها إلى القرن الثاني للهجرة، حيث سجلها بعض اللغويـين، وأطلقوا عليها ألقاباً تدل على استهجان هذه اللهجـات ولم يكونوا يعنون بنسبة هذه اللهجـات إلى أصحابها؛ فقد كانت تهمهم الصحة اللغوية، وكأنهم يريدون التنبيه على ما يخالف اللغة الأدبـية العامة التي نزل بها القرآن؛ ولهذا يلاحظ أنهم قد يختلفون في

نسبة اللهجة؛ فقد ينسبها عالم إلى قبيلة، وينسبها غيره إلى قبيلة أخرى^(١).

ولهذا استحسن بعض الباحثين أن يقسم أنواع الاختلاف إلى خمسة أقسام^(٢)

وهي :

القسم الأول: لغات منسوبة ملقبة : ومعنى ذلك أنها تنسب إلى قبيلة أو قبائل ، وأن لها لقباً تعرف به.

وقد عده العلماء من مستبعش اللغات ، ومستقبح الألفاظ.

وهو كذلك بعدها هذبت اللغة ، وأطبقت العرب على النطق الحر ، والأسلوب المصفى ، وسيأتي نماذج لأمثلة من ذلك.

القسم الثاني: لغات منسوبة غير ملقبة تجري في إيدال الحروف.

القسم الثالث: لغات من ذلك في تغيير الحركات.

القسم الرابع: لغات غير منسوبة ولا ملقبة.

القسم الخامس: لغة أو لغة في منطق العرب.

أمثلة للقسم الأول :

١- الكشكشة : وهي في ربيعة ومضر ، وقد تروي لأسد ، وهو زان.

والكشكشة : هي إيدال كاف الخطاب في المؤنث شيئاً في حالة الوقف وهو الأشهر ، وبعضهم يثبتها في حال الوصل - أيضاً ..

فيقولون في رأيتكِ : رأيتكم ، وبكِ : بكش ، وعليكِ : عليكش.

١- انظر العصر الحايلي د. شوقي ضيف ص ١٢١-١٣١ ، ومحاضرات أ.د. علي الباب.

٢- انظر تاريخ آداب العرب ١٤٠/١.

وبعضهم يجعل الشين مكان الكاف ويكسرها في الوصل ، ويسكنها في الوقف
فيقولون في مررت بكِ اليوم : مررت بشِ اليوم ، وفي مررت بكُ في الوقف :
مررت بشُ.

وأنشدوا على ذلك قول الجنون :
فعيناش عيناهَا وجيدش جيدها
بريد : عيناك ، وجيدك ، ومنك .
وقول الآخر :
يا دار حييت ومن ألمَ بشِ
بريد : بكِ ، وبواديكِ.
عهدي ومن يحلل بواديش يعيش

وقال ابن جني : «قرأت على أبي بكر محمد بن الحسين عن أبي العباس أحمد
بن يحيى - ثعلب - لبعضهم :
على فيما أبتغي أبغيش
وطلبِي ودَبني أبِيشِ
وان نايت جعلت تدنيشِ
حتى تُقْنِي كنقيق الدِّيشِ
فشبه كاف الديك بكاف ضمير المؤنث .
ومن كلامهم : إذا أعياش جاراتش فأقبلني على ذي بيتش»^(١).

٢- الكسكسة: وهي إيدال كاف المخاطبة سيناً، أو زيادة سين على كاف المخاطبة؛ وهي كالكسكسة إلا أن السين تخل محل الشين ، في هذه اللهجة. وبعض العلماء ينسبها إلى ربيعة ومضر وبكر وهوازن. ونقل الحريري أنها لبكر لا لربيعة ومضر، وهي فيما نقله زيادة سين بعد كاف المخاطب.

وروى صاحب القاموس أنها لتميم لا لبكر ، وفسرها كما فسرها الحريري.

٣- الشّشنة: وهي قلب الكاف شيئاً مطلقاً، فيقولون: في ليك اللهم ليك: ليش اللهم ليش ، ويقولون في: كيف: شيف ، أو تشيف. وتنسب هذه اللهجة إلى قبائل من اليمن ، وتغلب ، وقضاعة. ويلحظ أن الشّشنة ، والكسكسة لهما بقايا في عديد من اللهجات العربية في الخليج العربي والشام.

٤- التللة: وهي كسر أحرف المضارعة مطلقاً، وينسبها بعض العلماء إلى كثير من قبائل العرب كتيم ، وخصوصاً بطن بهراء منها. وتنسب كذلك إلى قيس وغيرها. بل زعم بعضهم أن هذه لغة العرب جمِيعاً عدا أهل الحجاز.

وقد جاءت هذه اللهجة في القراءات القرآنية مثل: (نستعين ، وتبين ، وتسود)^(١).

ونسب ابن فارس لهذا الكسر لأسد ، وقيس إلا أنه جعله عاماً في أوائل

١- انظر النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ٤٧/١

الألفاظ فمثلاً له بقوله: (مثل: تعلمون، ونعلم، وشِعْر، وبيَّن).

٥- الططمطمانية: وهي إيدال لام التعريف ميماً.

وقد جاء على اللهجة قول النبي ﷺ: «ليس من أمربر امصاريم في أمسفر» أي: (ليس من البر الصيام في السفر).

وتُنسب إلى طيء، والأزد، وقبائل اليمن بعامة.

ولا تزال في بعض قبائل جنوب الجزيرة واليمن.

٦- العنونة: وهي قلب البهزة المبدوء بها عيناً.

فيقولون في: إنك: عنك، وفي أسلم: عسلم، وفي إذن: عدن، وهلم جراً.

وتعزى هذه الظاهرة إلى تميم، وقيس، وأسد، وقضاءاعة.

٧- العجعجة: وهي جعل الياء المشددة جيماً، فيقولون في تميمي: تميج.

وكذا يجعلون الياء الواقعية بعد عين، فيقولون في الراعي: الراعج وهكذا.

وتُنسب هذه اللهجة إلى قضااعة؛ ولهذا يقال: عجعجة قضااعة.

وكان قضااعة إذا تكلموا غمغموا؛ فلا تكاد تظهر حروفهم، وقد سمي

بعض العلماء ذلك منهم (غمغمة قضااعة).

وتُنسب العجعجة إلى بعض قبائل تميم.

وقد ورد عليها شواهد شعرية كثيرة أودعها النحاة والصرفيون كثيراً من مؤلفاتهم.

قال الأصمسي: حدثني خلف، قال: أنسدني رجل من أهل الباذية - وقرأتها عليه في الكتاب:

عُمَيْرٌ عَوِيفٌ وَابْنُ عَائِدٍ
المطuman اللحم في العشيج
وَمَا لِفَدَاهُ فَلِقَ الْبَرْنَجُ
تُقْلِعُ بِالْوَدِ وَبِالصِّبْيَنِ صِبَحٌ
يريد أبو علي ، وبالعشبي ، والبرني - وهو ضرب من أجود التمر- وبالصيصية ،
وهي قرن البقرة ، ويروى البيت : خالي عويف...^(١)

وأنشد الفراء لبعضهم :

يَا رَبَّ إِنْ كُنْتَ قَبْلَتِ حَجَّاجَ
فَلَا يَزَالْ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِحَجَّاجٍ
أَقْمَرُ النَّهَاتِ يُنْزِي وَفْرَتَجَ

أي : يريد : حجتي ، ويأريك بي ، والشاحج : السريع من الدواب ، ويروى :
شامخ ، والأقمرا : الأبيض ، والنهايات : النهّاق ، وينزى : يحرك ، والوفرة : الشعر
إلى شحمة الأذن^(٢).

٨- الوتم : في لغة اليمن ، وهو جعل السين تاء؛ فيقولون في الناس : النات.

ويستشهد اللغويون على ذلك بقول علاء بن أرقم :
يَا قَبْحَ اللَّهِ بْنِي الْعَلَاتِ عَمْرُو بْنُ يَرِيفَ شَرَارُ النَّاتِ
لَيْسُوا أَعْصَاءً وَلَا أَكِيَاتٍ^(٣)

فقوله : النات أي : الناس ، وقوله : أكيات أي : أكياس جمع كيس.

٩- الوكم : في لغة ربعة ، وهم قوم من كلب ، يكسرون كاف الخطاب في
الجمع متى كان قبلها ياء أو كسرة ، فيقولون في عليكم وبكم : عليكم ، وبكم.

١- انظر سر صناعة الإعراب ١٧٥/١ - ١٧٦.

٢- انظر سر صناعة الإعراب ١٧٧/١.

٣- انظر سر صناعة الإعراب ١٥٥/١.

- ١٠ - **الوهم**: في لغة كلب يكسرون هاء الغيبة متى ولَيْتُها ميم الجمع مطلقاً، والفصيح أنها لا تكسر إلا إذا كان قبلها ياء أو كسرة نحو: **عَلَيْهِمْ**، **وَبِهِمْ**، **فَيَقُولُونَ فِي مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ**: **مِنْهُمْ**، **وَعَنْهُمْ**، **وَبَيْنَهُمْ**.
- ١١ - **الاستنطاء**: في لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار؛ حيث يجعلون العين الساكنة نوناً إذاجاورت الطاء؛ **فَيَقُولُونَ فِي أَعْطَى**: **أَنْطَى**.
وَعَلَى لِغَتِهِمْ قَرِئَ شَذِيداً: «إنا أنتيناك الكوثر».
- ١٢ - **القطعة**: في لغة طيء؛ وهي قطع اللفظ قبل تمامه، **فَيَقُولُونَ فِي مِثْلِ**: **يَا أَبَا الْحَكَما**.
وهي غير الترخيم المعروف في كتب النحو؛ لأن الترخيم مقصور على حذف آخر الاسم المنادى، أما القطعة فتناولت سائر أبنية الكلام.
- ١٣ - **الخلخائية**: وهي تَعْرِض في لغة أعراب الشحر، وعمان، فيحذفون بعض الحروف اللينة، **وَيَقُولُونَ فِي نَحْوِ**: **مَا شَاءَ اللَّهُ**: **مَشَاهِدُ اللَّهِ**.
القسم الثاني: لغات منسوبة غير ملقبة عند العلماء، ومن أمثلته:
- ١ - في لغة مازن: يبدلون الميم باءً، والباء ميماً، **فَيَقُولُونَ فِي بَكْرٍ**: **مَكْرٌ**، ووفي **اطمَانٌ**: **اطبَانٌ**.
- ٢ - في لغة طيء: يبدلون تاء الجمع هاءً إذا وقفوا عليها إلحاقاً لها ببناء المفرد، وقد سُمع من بعضهم: (دفن البناء من المكرمات).
يريد: **البنات والمكرمات**.
- وحكى قطرب قول بعضهم: «كيف البنون والبناء، وكيف الإخوة والأخوات».

٣- في لغة طيء -أيضاً- : يقلبون الياء ألفاً بعد إيدال الكسرة التي قبلها فتحة ، وذلك من كل ماضٍ ثلثي مكسور العين ، ولو كانت الكسرة عارضة كما لو كان الفعل مبنياً للمجهول ، فيقولون في : رَضِي ، وهُدِي : رَضَا ، وهَدَى.

٤- في لغة طيء على ما رواه ابن السكيت أنهم يبدلون الهمزة في بعض الموضع هاء ، فيقولون : هن فعلت ، يريدون إن فعلت ، ومنه قول شاعرهم :
 ألا يا سنا برق على قلل الحمى لهنك من برق على كريم^(١)
 أي : لِئنك .

٥- في لغة تميم يجيئون باسم المفعول من الفعل الثلاثي إذا كانت عينه ياء على أصل الوزن بدون حذف؛ فيقولون في مبيع : مبيوع .
 لكنهم لا يفعلون ذلك إلا إذا كانت عين الفعل واواً إلا ما ندر .

٦- في لغة هذيل لا يقون ألف المقصور على حالها عند الإضافة إلى ياء المتكلم ، بل يقلبونها ياء ثم يدغمونها؛ توصلاً إلى كسر ما قبل الياء؛ فيقولون في عصاي ، وهواي : عصيّ ، وهوّيّ ، كما قال شاعرهم أبو ذؤيب الهذلي :
 سبقوهَويَ وأعنقوهَواهَم فتخرموا ولكل جنب مصرع^(٢)

٧- في لغة خثعم وزيد يحذفون نون (من) الجارة إذا وليها ساكن ، قال شاعرهم -كما في الشاهد النحوي- :

بما جاوز الآمال م الأسر والقتل لقد ظفر الزوار اقفيه العدا

١- سر صناعة الإعراب ١، ٣٧١/٢، ٥٥٢/٢

٢- سر صناعة الإعراب ٢، ٧٠٠/٢

ومعنى الزوار: السيوف، وقول م الأسر: أي من الأسر...

وقد شاعت هذه اللغة في الشعر، واستخفها كثير من الشعراء، فتعاونوها.

٨- في لغة بلحرث يحذفون الألف من (على) الجارة، واللام الساكنة التي تليها، فيقولون: في: على الأرض: علأَ رض وهكذا.

٩- في لغة بلحرث وخشم وكناية يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً، فيقولون في: إليك، وعليك، ولديه: إلاك، وعلاك، ولداه.

وهذه موجودة في بعض بادية الجزيرة.

القسم الثالث: من تغيير الحركات في الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات، ومن أمثلته:

١- هاء الغائب مضمومة في لغة أهل الحجاز مطلقاً إذا وقعت بعد ياء ساكنة؛ فيقولون: لدية، وعليه، ولغة غيرهم كسرها.

وعلى منطق أهل الحجاز قرأ حفص وحمزة: «ما أنسانية إلا الشيطان» و«عاهد عليه الله».

أما غيرهما فيكسر الياء.

٢- في لغة بنى يربوع -وهم من بني تميم- يكسرن ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم، فيقولون: في نحو ضاربي: ضاري وهكذا...

٣- وقال ابن جنبي: «إن أبا الحسن -الأخفش- حكى أن سكون الهاء في مثل هذا النحو -يعني في ضمير النصب المتصل- لغة لأزد السراة.

ومثل هذا البيت ما رويناه عن قطرب من قول الشاعر :

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش إلا لأنّ عيونه سيلُ واديها^(١)

٤- وهناك لغات في كلمات ، وهي كثيرة جداً منها :

أن تَمِيَّاً من أهل نجد يقولون : **نَهِيٌّ** : للغدير ، وغيرهم يفتحها .

والعرب يقولون : **رُفْقة** للجماعة ، ولغة **قَيس** : كسر الراء .

والحجازيون يقولون : **لعمري** ، وتميم يقول : **(وعملني)** ويحكى عنهم **(وعلمي)** - أيضاً .

٥- في لغات الإعراب وهذا كثير - أيضاً - ومنه :

متى (معنى من) في لغة هذيل ، ويجرون بها ، سمع من بعضهم : أخرجها متى **كُمَّهُ** : أي من **كُمَّهُ** ، ويررون بيت أبي ذؤيب الهذلي المشهور :

شرين بما البحر ثم ترفعت متى لجِي خضر لهن نَتْيَج^(٢)

وفي لغة ربيعة **وَغُنمَّ يَبْنُون** (مع) الظرفية على السكون ، فيقولون : ذهبت مُعْهُ ، ومنه قول جرير :

فَرِيشِيْ مِنْكُمْ وَهُوَايَ مَعْكُمْ

وإذا ولتها ساكن كسروها للتخلص من التقاء الساكين ، فيقولون : ذهبت مع

الرجل ، **وَغُنمَّ حِي** من تغلب بن وائل .

١- الخصائص ١٦٤ / ٤٠٦ .

٢- انظر الخصائص ٤٥٢ / ١ .

٣- شرح ديوان جرير ص ٥٠٧ ، والبيت يروى : وهو اي فيكم .

القسم الرابع: وهو لغات غير منسوبة ولا ملقبة: وهذا القسم هو اللغة أو أكثرها؛ لأن الذين دونوها جمعوا كل لغات العرب، وجعلوها لغة جنسية؛ فلم يميزوا منطقاً من منطق، ولا أفردو اللغة عن لغة؛ خدمة للتاريخ اللغوي الذي يراد به خدمة القرآن وعلومه.

ولو أراد أحد استغراق هذا النوع لطال به المقام، ومن أمثلة ذلك:

- ١ - إِبْدَاهُمْ أَوْ أَخْرُجُوهُمْ بعضاً الكلمات المجرورة ياء: كقولهم في الشاعر والأرانب والضفادع: الشاعري، والأراني، والضفادي.
في سادس: سادي، وفي خامس: خامي.
- ٢ - ومن العرب من يجعل الكاف جيماً، فيقول: مثلاً: (الجعبة) في (الكعبة).
وبعضهم ينطق بالباء طاءً، كألفلطي في أفلتنى، قال الخليل: وهي لغة تميمية
قحة.

القسم الخامس: وهو ما يرونـه على أنه لغة في الكلام، أو لغة من المتكلم:
وذلك كالألفاظ التي وردت بالراء، والغين، أو بالراء واللام، أو بالزاي
والذال، أو بالسين والباء، أو بالشين والسين.

فكل ذلك مما يشك فيه الرواة، ولا يجزمون بأنه لغة فرد، أو لغة قبيلة.
فاللغة في السين أن تبدل ثاءً، وفي القاف أن تبدل طاءً، وربما أبدلت كافاً،
وهكذا...

هذا وسيأتي الكلام عن اللغة عند الكلام على عيوب المنطق العربي.

المبحث الثالث: صفات الحروف ومخارجها^(١)

لا يقصد من هذا بيان مخارج الحروف العربية، وضبطها على وجوهها الصحيحة المتناقلة عن العرب؛ فذلك خارج عن غرض هذا الكتاب، ثم هو موضوعٌ فنٌ برأسه.

وقد وضع فيه ابن جني كتابه: (سر صناعة الإعراب) وهو أتم كتاب في ذلك، قسمه على أبواب بعد الحروف، فذكر فيه أسماءها، وأجناسها، ومخارجها، ومدارجها، وفروعها، وخلاف العلماء في ذلك مستقصىً مشروهاً. والمقصود هنا ذكر أنواع هذه الحروف باعتبار صفاتها؛ لأن هذه الصفات إنما هي مصطلحات تاريخية في اللغة، وهم يسمون الخطأ فيها - أي في صفات الحروف - لخناً خفيًا؛ والحديث هنا ذكر لصفات الحروف ومخارجها.

أولاً: صفات الحروف:

يقسمون الحروف باعتبار صفاتها إلى تسعه عشر نوعاً، وبعضهم يبلغ بها إلى أربعة وأربعين، وكثير ينقصون أو يزيدون؛ أما الأنواع المشهورة عند علماء هذا

١- انظر سر صناعة الإعراب ٤١/١-٦٨، وانظر تفاصيل صفات كل حرف على حدة في سر صناعة الإعراب ٦٩/١ إلى ٨١٨/٢، وتاريخ آداب العرب ١٢٢/١-١٢٧، وفقه اللغة لـ: وافي ص ١٣١-١٣٩، وانظر مجمل ذلك في كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للكي بن أبي طالب ١٣٩/١-١٤٠.

الفن والتي هي كالأصول فهي حروف: همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، وبينَ، وحروف استعلاء، واستفال، وإطباق، وافتتاح، وتفخيم، وترقيق، وتفشّ، وتكرير، واستطالة، وغنة، وذلقة، ومدّ، ولين، وصفير، وقلقلة:

١- **الحرف المهموس**: هو الذي ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وحروف هذا النوع عشرة: (ه ح خ ك ش س ت ص ث ف).

٢- **الحرف المجهور**: هو الذي أشبع الاعتماد في موضعه -أي على مخرج الحرف- ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت، وحروف هذا النوع تسعه عشر؛ لأنها كلُّ ما كان غير مهموس.

٣- **الشديد**: وهو الذي يمتنع الصوت أن يجري فيه؛ لكمال قوة الاعتماد على مخرج الحرف، ولهذا النوع ثمانية حروف: (ء ق ك ج ط ت د ب).

٤- **الرخو**: وهو الذي يجري فيه الصوت لضعف الاعتماد على مخرجـه مع نفس قليل، وذلك في الرخو المجهور، أو كثير وهو في الرخو المهموس؛ وحروف الرخاوة ستة عشر: (ذ ظ غ ض ز و ي ا ه ح خ ش س ت ص ث).

وهذه الثمانية الأخيرة هي كل حروف الهمس ما عدا الفاء والكاف.

٥- **الحرف الذي هو بينَ بينَ**: وهو المتوسط بين الرخاوة والشدة وذلك من عدم كمال احتباس الصوت، وعدم كمال جريه، وحروفه خمسة: (ل ن ع م ر) وهذه الحروف المتوسطة كلها مجهورة.

أما الأنواع السابقة فمنها الشديد المجهور، وهو ستة حروف: (ء ق ط ب ج د). ومنها الشديد المهموس وهو حرفان: (ك ت).

ومنها الرخو المجهور وحرروفه ثمانية -أيضاً- : (هـ ح خ ش س ص ث ف).

وهذه الثمانية هي جميع الحروف المهموسة ما عدا الكاف والتاء.

٦- الاستعلاء: وهو أن يستعلي اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك العليا، وحرروفه سبعة: (خ ص ض غ ط ق ظ) وأشدتها استعلاء القاف.

٧- الاستفال: وهو ضد الاستعلاء، وحرروفه كل ما عدا السبعة المقدمة.

٨- الإطباق: وهو انحسار الصوت فيما بين اللسان والحنك؛ لانطباق الحنك على وسط اللسان بعد استعلاء أقصاه ووسطه إلى جهة الحنك، كما تعرف ذلك عند النطق بحرروفه، وهي أربعة: (ط ظ ص ض) وجملتها من حروف الاستعلاء، ولا يكون الإطباق تماماً إلا مع الطاء.

٩- الانفتاح: وهو عدم انحسار الصوت بين وسط اللسان والحنك عند النطق بالحرف لأنفتح ما بينهما، سواء اطبق الحنك على أقصى اللسان أو لا. وحرروفه كل ما عدا الأربعة المطبقة، وكل حروف الاستفالة منفتحة.

١٠- التفخيم: وهو تغليظ الحرف في مخرجته بحيث يمتلئ الفم بصداء.

وحرروف الاستعلاء كلها مفخمة، ولا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستفالة إلا الراء واللام في بعض أحوالهما، وإلا ألف المد؛ فإنها تابعة لما قبلها تفخيمًا وترقيقاً.

١١- الترقيق: وهو نحافة الحرف بحيث يكون جسمه ناحلاً لا يمتلئ الفم بصداء.

١٢- التفشي: وهو كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه

في الخروج عند النطق بالحروف.

وحرف التفشي هو الشين فقط على المشهور، وبعضهم يجعله في الصاد والثاء والفاء، وبعضهم يقول: إن في الصاد والشين تفشيًّا - أيضًا. وكل ذلك غير مجمع عليه.

١٣- التكرير: وهو ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف؛ وحرفه الراء فقط، وأكثر ما يظهر تكريره إذا كان مشدداً نحو مرأة، وكراً.

١٤- الاستطالة: وهي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها وهي جنب اللسان لا طرفه، وحرفها الصاد فقط، وبعضهم يقول إن الشين مستطيلة؛ لأنها تفشت، واستطالت حتى خالطة أعلى الشتتين.

١٥- الغنة: وهي صوت يخرج من الخيشوم -أقصى الأنف-. ولذلك لو أمسك المتكلم بأنفه لم يكن خروجها، وحرفاها النون (ولو تنويناً) والميم إذا سُكتا، ولم تظهرا.

١٦- الذلقة: وسميت بذلك لخروج بعضها من ذلق اللسان، وبعضها من ذلق الشفة، أي طرفها، وهي: (ف ر م ن ل ب) مجموعة في قولك: «مر بنفل» وضدتها حروف الإصمات، وهي ما عدا هذه الستة.

١٧- المدد: وهو إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين زيادة على المد الطبيعي، وحروفه: (او ي) لأن مخرجها متسع لانتهائهما إلى هواء الفم، ومخرج الحرف إذا اتسع انتشر فيه الصوت وامتد ولوان، وإذا ضاق اتضاع في الصوت وصلب، وكل حرف تجده مساوياً لمخرجيه إلا هذه الثلاثة.

وللملد في علم التجويد ألقاب عشرة ليس هذا موضعها.

١٨- الصفير: وهو صوت يخرج مع الحرف يشبه صفير الطائر، وحرروف ثلاثة: (س ص ز).

١٩- القلقلة: وهي صوت زائد يحدث بفتح مخرج الحرف بتصويبت، ويشترط عندهم في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت أن يكون شديداً جهرياً.

وحرروفها خمسة: (ق ط ب ج د) والمرد يعد الكاف من حروف القلقلة، وأنه لم يشترط قوة الصوت الزائدة، وعلى ذلك تكون التاء منها -أيضاً- وهو ما يفهم من كلام سبيويه؛ لأنها كالكاف، والصوت فيها يلابس جري النفس، وهو صوت همس ضعيف؛ ولذلك عدّا شديدين مهموسين.

ثانياً: مخارج الحروف:

تلك صفات الحروف المجمع عليها، أما مخارجها الطبيعية فهي خمسة عشر على ترتيب ذهابها مع الصوت من ابتداء الصدر إلى الشفتين كما ترى:

١- حروف المد (ا، و، ي): تخرج من جوف الصدر وتنتهي إلى هواء الفم.

٢- (ء، هـ): مخرجهما من أقصى الحلق، غير أن الهمزة أدخل فيه.

٣- (ع، ح): من وسط الحلق، والعينُ أدخل من أختها.

٤- (غ، خ): من أدنى الحلق إلى الفم: والعينُ أدخل.

٥- (ق): من بين أقصى اللسان وما فوقه من الحنك.

٦- (ك): مما يلي مخرج القاف من اللسان والحنك.

٧- (ج، ش، ي): من بين وسط اللسان وما فوقه من الحنك، غير أن الجيم

أدخل ، والياء آخر .

٨- (ض) : من بين جانب اللسان من أقصاه إلى قرب رأسه وبين ما يقابل ذلك من الأضeras العليا ، فتستغرق أكثر حافة اللسان .

٩- (ل) : من بين جانب اللسان حيث ينتهي مخرج الصاد إلى متنه طرفه وبين ما يقابل ذلك من الحنك الأعلى فوق الأسنان ، فالصاد واللام يتوزعان حافة اللسان .

١٠- (ر ، ن) : من بين طرف اللسان إلى رأسه وبين لثة الثنائي العلوتين ، غير أن الراء أدخل في ظهر اللسان قليلاً .

١١- (ط ، د ، ت) : من بين طرف اللسان وبين أصول الثنایا العليا مصدعاً إلى الحنك ، غير أن الطاء أدخل والباء آخر .

١٢- (ص ، س ، ز) : من بين رأس اللسان والثنایا من غير أن يتصل بها الحرف ، وإنما يحاذيه ويسامِّتها ، غير أن الصاد أدخل ، والزاي آخر .

١٣- (ظ ، ذ ، ث) : من بين طرف اللسان وأطراف الثنایا العليا ، غير أن الطاء أدخل والباء آخر .

١٤- (ف) : من بين الشفة السفلی ، وأطراف الثنایا العليا .

١٥- (ب ، م ، و) : من بين الشفتين منطبقتين للباء والميم ، ومنفتحتين للواو ، غير أن الباء أدخل والواو آخر .

المبحث الرابع: عيوب المنطق العربي^(١)

هذا ذكر لبعض عيوب المنطق بأسمائها وهي :

- ١- التتممة : ويقال لصاحبها : التتمام ، وذلك إذا تتعذر في التاء ، فإذا تردد في الفاء فتلقك :
- ٢- الفأفة : وصاحبها فأفاء.
- ٣- والعقلة : وهي التواء اللسان عند الكلام.
- ٤- والحبسة : تعذر النطق ولم يبلغ المتكلم حد الفأفة ولا التتمام ، ويقال : إنها تعرض في أول الكلام فإذا مر فيه انقطعت.
- ٥- واللطف : إدخال بعض الكلام في بعض.
- ٦- والرتة : إيصال بعض الكلام ببعض دون إفاده.
- ٧- والغمغمة : أن يسمع الصوت ، ولا يبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه.
- ٨- والطمطمة : أن يكون الكلام شبيهاً بكلام العجم؛ وقيل هي إبدال الطاء تاءً؛ لأنهما من مخرج واحد ، نحو : السُّلْطَانُ فِي (السلطان).
- ٩- واللهكة : وهي إدخال بعض حروف العجم في بعض حروف العرب ، ومنها قولهم : فلان يرتضخ لكتة فارسية.

وعدوا منها إيدال الهاء حاء ، والعين همزة.

١٠ - والغنة : وهي أن يشرب الصوت الخيشوم ، ثم هي عيب إذا جاءت في غير حروفها.

١١ - والخنة : ضرب منها.

١٢ - والترحيم : حذف بعض الكلمة لتعذر النطق به.

١٣ - اللثغة : قال بعضهم : (وتكون في أربعة حروف (ق ، س ، ر ، ل) فالتي تعرض للقاف يجعلها طاء ، فيقول : طلت في (قلت) ومنهم من يبدلها كافاً. وأما السين فتبدل ثاءً.

والتي تعرض في الراء أربعة أحرف : منهم من جعلها غيناً ، ومنهم عيناً ، ومنهم ياء ، ومنهم زاياً؛ فينطقون لفظ (عمرو) على أنواع اللغة هكذا : (عمغ ، وعمع ، وعمي ، وعمز).

وأما التي تعرض في اللام فإن من أهلها من يبدلها ياء ، ومنهم من يجعلها كافاً وهي لغة قبيحة.

ولا حاجة لإيراد الأمثلة من ذلك جميعه؛ لأن المراد بيان نوع من أنواع الاختلاف الطبيعي في لهجاتهم ، وذكر هذه الحروف التي تغير شيئاً من هيئة النطق؛ حتى يكون ذلك تمام الفائدة لما مضى.

الفصل الرابع: اللغة العربية:

فضلها، أثر الإسلام فيها، عوامل سيادتها

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: لهجة قريش وعوامل سيادتها.

المبحث الثاني: نهوض الإسلام باللغة العربية.

المبحث الثالث: فضل اللغة العربية.

المبحث الرابع: أسرار النظام اللغوي.

الفصل الرابع

اللغة العربية: فضلها، أثر الإسلام فيها، عوامل سيادتها

المبحث الأول : لهجة قريش، وعوامل سيادتها

أولاً: سيادة لهجة قريش:

مر بنا عند الحديث عن اللهجات أن هناك لغة مشتركة كان العرب ينظمون بها شعرهم وخطابهم ، وأنهم اصطلحوا على هذه اللهجة الفصحى . وهذه اللهجة أو اللغة المشتركة يطلق عليها أحياناً لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم ، ووصلنا بها الشعر الجاهلي . ولقد كان لقريش الحظ الأوفر من هذه اللغة ، مما حدا بعض الباحثين إلى تسميتها بالقرشية .

بل لقد استقر في نفوس الأسلاف أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش ، وأن قريشاً كانوا أفعص العرب ، وأنهم مع ذلك كانوا يتخيرون من كلام الناس أحسنه وأصفاه .

قال أبو نصر الفارابي : « كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفعص من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبینها إبانة عند النطق » ^(١) .

وقال أحمد بن فارس بِحَكْمَتِ اللَّهِ : « أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولىبني

هاشم بقزوين، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عباس الخشكي قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عبدالله قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواية لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم أن قريشاً أفصح العرب السنة، وأصفاهم لغة.

وذلك أن الله -جل ثناؤه- اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبيَّ الرحمة محمدًا ﷺ فجعل قريشاً قُطَّان^(١) حرمهم، وجيران بيته الحرام، وولاته؛ فكانت وفود العرب من فجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم، وتحكم بينهم.

ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم، وتسميهم (أهل الله) لأنهم الصريح من إسماعيل -عليه السلام- لم تُشْبِهُم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، فضيلةً من الله -جل ثناؤه- لهم، وتشريفاً؛ إذ جعلهم رهط نبيه الأولين، وعترته الصالحين.

وكانت قريش -مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها- إذا أتتهم الوفود من العرب تخروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تخير من تلك اللغات إلى نحائزهم^(٢)، وسلامتهم التي طبعوا عليها؛ فصاروا بذلك أفصح العرب.

١- قطان: جمع قاطن، وهو المقيم.

٢- النحائز: جمع نحیزة، وهي الطبيعة.

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنونة قيم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا ككسنة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد، وقيس مثل: **تعلمون، ونعلم، ومثل: شِعْر، وَبِعِير»**^(١).

ثانياً: عوامل سيادة لهجة قريش

لقد تضافرت عوامل عديدة جعلت قريشاً تسود العرب زعامة، ومدنية، ولغة قبل الإسلام.

ولقد مر شيء من ذلك فيما سبق، وفيما يلي إجمال لتلك العوامل:

- ١- المكانة الدينية لموقع قريش: فقريش تقطن مكة، والعرب يحجون البيت الحرام، ويعرفون لقريش بالنفوذ الديني.
- ٢- العامل الاقتصادي: فأسواق مكة، وشهرتها الاقتصادية، وقيامها بين الشام واليمن جعل لقريش مكانة عظيمة بين القبائل.
- ٣- العامل الثقافي: حيث كان التجار والشعراء والخطباء يرتادون أسواق مكة، ومنتدياتهم الثقافية والأدبية.

وما يدعم هذا العامل ما ذكره الرواة من أن العرب تعرض أشعارها على قريش؛ مما قبلوه كان مقبولاً، وما ردوه كان مردوداً، فقدم عليهم علقة بن عبدة التميمي فأنسد لهم قصيده:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم
أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروف
قالوا: هذه سلط الدهر أي : قلادته.

ثم عاد من العام الم قبل ، فأنشدتهم قصيدة :

طحابك قلب في الحسان طروب بُعِيدَ الشَّبَابُ عَصْرَ حَانَ مُشِيبٌ

فقالوا : هاتان سلطان الدهر .

ويذلك على عنائهم بأمر الفصاحة ما وصل إلينا من نتائج أفكارهم ،
ويدائع خطبهم وقصائد़هم في سوق عكاظ ، وسوق مجنة ؛ إذ يفدون عليهما في
موسم الحج ، ويقيمون في سوق عكاظ ثلاثة أيام ، وفي مجنة سبعة أيام
يتناشدون ما وضعوه من الشعر ، ويتفاخرون بجودة صنعة الكلام .

وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته (النابغة الذبياني)
ويعرضون عليه منتخبات أشعارهم ^(١) .

٤- العامل السياسي والجغرافي : حيث كانت مكة أبعد المناطق عن صراع
الفرس والروم والأحباش ؛ فعلى حين تَعَرَّضَ عرب الشام ، والعراق واليمن
وأطراف الجزيرة إلى الخطر دائمًا من عدوهم ، وأنهم قد اختلطوا بالأعاجم مما
أدخل في لغتهم الكثير - نجد أن أهل مكة يعيشون في استقلال ، وحرية ، وبعد
عن الأخطار مما جعل العرب ينظرون إلى مكة وأهلها نظرة تقدير وإجلال .

٥- أيام العرب : وهي الحروب التي كانت تشنها قبائل العرب بعضها على
بعض ، أو تشنها على الأجانب لأي سبب من الأسباب .

وكان دعامتهم في هذه الحروب الكلام البليغ الذي يلْجأُ إليه قوادهم ،

١- انظر حياة اللغة العربية ص ١٦ ، وفقه اللغة لـ: وافي ص ٩٣-٩١ ، وفي الأدب الجاهلي د. شوقي

ضيف ص ١٣١-١٣٢ ، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية .

ورؤساؤهم، وساداتهم، وجنودهم؛ للتفاخر، وتعداد المآثر، واستفزاز الهمم، والخت على الشجاعة.

وكان جميع ما يقال في هذه الحروب مؤلفاً بلغة قريش، وغنيّ عن البيان ما كان لذلك من أثر في نهضة هذه اللغة، وتجويدها، واتساع نطاقها.

٦- سعة لغة قريش وغزارتها: فلغة قريش كانت أوسع اللغات ثروة، وأغزرها مادة، وأبعدها عن اللهجات المعيبة -كما مر-.

٧- نزول القرآن بها: فالقرآن الكريم نزل بلغة عربية أكثرها لقريش، ولكنها معروفة للعرب جميعاً.

فهذه العوامل مكنت لغة قريش، وجعلت لها السيادة والريادة.

المبحث الثاني: نهوض الإسلام بالعربية^(١)

لقد نهض الإسلام بالعربية أيما نهوض، حيث ارتفعت اللغة في صدر الإسلام إلى طورها الأعلى، ودخلت في دور يحق علينا أن نسميه عصر شبابها؛ فنمت عروقها، وأثمرت غصونها بألوان مختلفة الأساليب. ويتبين ذلك من خلال الحديث عن تأثير الإسلام في اللغة، والأسباب التي ارتفعت بها اللغة، ومظاهر ذلك النهوض.

أولاً: تأثير الإسلام في اللغة: طلع الإسلام على العرب، وفي هدایته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون، بل في هدایته ما لم تف اللغة يومئذ بالدلالة عليه؛ فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة نماءً.

ومن الجلي أن القرآن الكريم والحديث النبوى قد سلكا في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ.

ثم إن فتح الممالك الكبيرة كبلاد فارس والروم زاد مجال اللغة بسطة؛ بما نقل إليها من المعاني العلمية أو المدنية؛ ففضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها، وبراعة أساليبها، واتساع مذاهب بيانها، وكثرة الأغراض التي يتتسابق إليها فرسان الخطابة والكتابة.

وسيتبين ذلك في الفقرة التالية:

١ - انظر الصاحبي ص ٤٤-٤٦ ، والقياس في اللغة العربية ص ٢٢ ، وفقه اللغة لـ: وافي ص ٩٣-١٠٠ . ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

ثانياً: الأسباب التي ارتفت بها اللغة في صدر الإسلام:

هناك أسباب ارتفت بها اللغة في صدر الإسلام حتى بلغت أشدتها، وأخذت زخرفها، وتکاد ترجع إلى ثلاثة أمور - كما يقوله العلامة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله^(١) وهي:

١- ما جاء به القرآن الحكيم من صور النظم البديع، والتصرف في لسان العرب على وجه يملأ العقول؛ فإنه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الأساليب المعتادة للفصحاء قاطبة، وإن لم يخرج عمما تقتضيه قوانين اللغة. ولقد اتفق كبراؤهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به، وإن تفاضل الناس في الإحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق، وجودة القريةحة.

٢- ما تفجر في أقوال النبي صلوات الله عليه وآله وسالم من ينابيع الفصاحة، وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والإبانة عن الغرض بدون تكلف.

٣- ما أفضله الإسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية، وبما نتج من تعارف الشعوب والقبائل، والتأم بعضها ببعض - من الأفكار، ومطارحة الآراء.

ومعلوم أن اتساع العقول، وامتلاءها بالمعرف ما يرقى مداركها، ويزيد في تهذيب المعنى؛ فتقذف بالمعنى المتكرة، وتبرزها في أساليب مستحدثة؛ فإن كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة، والتألق في سياقها.

١- انظر حياة اللغة العربية ص ١٨-١٩.

وهذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

ثالثاً: مظاهر نهوض الإسلام بالعربية:

لقد كان لنزول القرآن الكريم بالعربية تأثير كبير في نهضة هذه اللغة، وقد مر إشارة إلى هذا، ومن مظاهر ذلك زيادة على ما مضى:

١- سمع الأغراض، وتهذب الألفاظ: فبعد أن كان أهلها قانعين بتصوير حياتهم الساذجة، ووصف ما يدور حولهم من حروب، وصحاري، ووحش، وما يدور في رحلة الصيد، وما يكون من التشتب أو المديح أو الهجاء - نجد أن العربية قد اختلف حالها بعد الإسلام، كما اختلف أصحابها؛ حيث تحددت أهدافهم، وسمت ألفاظهم؛ فكان من أول آثار الإسلام أن انصرف الشعراء وغيرهم عن المعاني الجاهلية، وأغراض الشعر المستهجن كالغزل، والهجاء، وتركوا الألفاظ البذيئة والعبارات التي تدل على الجاهلية وحياتها؛ فانصرفوا يعبرون عن الدين الجديد، والحياة الجديدة.

٢- أن كثيراً من الألفاظ اكتسب دلالة خاصة: فبعد الإسلام أصبح لكثير من الألفاظ معانٍ شرعية خاصة، كالصلوة، والصوم، والحج، والزكاة، وكألفاظ المؤمن، والمسلم، والكافر، والفاسق، والمنافق.

٣- ظهور كثير من الألفاظ الإدارية والسياسية: فمع استقرار المسلمين، ومعرفة الحياة المنظمة عرفوا ألفاظاً تدل على الحياة الإدارية والسياسية كالخلافة، والولاية، والوزارة، والحجابة، والقضاء، والحساب، ونحوها.

٤- أن اللغة العربية تهيأت لاستيعاب كافة العلوم: حتى وصلت العلوم إلى درجة عالية من حيث الكمية والمحتوى.

يقول العلامة الشيخ محمد بن الطاهر عاشور رحمه الله : «وما تقدم إلى هنا : تعلم أن العلوم التي كانت تدرس وتدون يومئذ تنتهي إلى اثنين وثلاثين علماً هي : التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع عن بعضها مثل مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر»^(١).

٥- دخول كثير من المصطلحات العلمية : التي منها ما هو عربي في الأصل ولكنه استخدم في دلالات وأصطلاحات علمية ، بل إن اللفظ الواحد قد يكون له أكثر من اصطلاح ، والمعنى الواحد قد يكون له أكثر من لفظ يصطلاح عليه . ففي النحو - على سبيل المثال - الفاعل ، والمفعول ، والعامل ، والإلغاء ، والتعليق ، والمضاف ، والمضاف إليه ، والمرفوع ، والمنصوب ، والمحروم . وفي الحديث الشريف : السندي ، والمتنا ، والعلة ، والمرفوع ، والمرسل ، والمنقطع ، والمؤثر ، والمتواتر ، وغيرها من المصطلحات الكثيرة . وفي الفقه وأصوله : الواجب ، والمستحب ، والمحرم ، والمكروه ، والماحر . وفي البلاغة : البديع ، والبيان ، والمعاني ، والطباق والجناس ، والتشبيه ، والمجاز ، والمسند والمسند إليه .

١- أليس الصبح بقرب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ٣٩

٦- كما دخلت كثير من المصطلحات الوافدة في الطب، والفلك، والفلسفة - كما مر.

وهكذا خطا الإسلام بالعربية خطوات كبيرة، خصوصاً في أيام عز الإسلام الأولى، التي كان الناس فيها يتمنون بالعربية - أي يطلبون المروءة بتعلمها -. وبعد أن كانت لغة محصورة في مكان محمد عمّت الرقعة الإسلامية كلها، وأثبتت - باستيعابها لكتاب الله أولاً، ثم بتقبلها لكل العلوم العربية وغير العربية ثانياً - أنها لغة حية، قادرة على مسايرة الحياة، وليس لها عقيمة جافة كما يدعى من يجهل العربية، ولم يعرف تاريخها.

كلام جميل لابن فارس في نهوض الإسلام بالعربية:

أورد ابن فارس في كتابه الصاحبي^(١) باباً سماه (باب الأسباب الإسلامية) وما قال فيه: «كانت العربية في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وأدابهم ونسائكم وقربانيهم».

فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشروط شرطت.

فعُفِيَ الآخرُ الأوَّلُ، وشُغِلَ الْقَوْمُ - بعد المغادرات والتجارات، وتطلُّب الأرباح والكبح للمعاش، في حالة الشتاء والصيف، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والميسرة - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله -عز وجل-. وحفظ سنن رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في مواجهة أعداء الإسلام.

فصار الذي نشأ عليه آباءهم ونشأوا عليه كأن لم يكن ، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغواصات أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة ، وتأويل الولي بما دون وحفظ حتى الآن.

فصاروا -بعد ما ذكرناه- إلى أن يُسأل إمام من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتني ويحسب بثلاث كلمات» .

ثم أورد قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حين سُئل عن ابنتين وأبوبين وأمرأة : «صار ثُمَّنْهَا تسعًا» فسميت (المنبرية).

إلى أن قال ابن فارس : «وإلى أن يتكلّم هو -يعني علي بن أبي طالب- وغيره في دقائق العلوم المشهور من مسائلهم في الفرض وحده ، كالمشتركة ، ومسألة المباهلة والغراء ، وأم الفروخ ، وأم الأرامل ، ومسألة الامتحان ، ومسألة ابن مسعود ، والأكدرية ، ومحضرة زيد ، والخرقاء ، وغيرهما مما هو أعمض وأدق». فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عما ألفوه ، ونشأوا عليه ، وغذوا به - إلى مثل هذا الذي ذكرناه.

وكل ذلك دليل على حق الإيمان ، وصحة نبوة نبينا محمد ﷺ .

فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق.

ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً.

وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام شيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء.

وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فاما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم : (فَسَقَتِ الرُّطْبَة) إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله - جل ثناؤه -. وما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء.

وقد كانوا عرفا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة ، فقالوا: أوَدْرَةٌ صَدَفَيَةٌ غَوَاصَّهَا بَهِيجٌ مَتَى يَرَهَا يَهِيلٌ وَيَسْجُدُ
وقال الأعشى :

يُراوِحُ مِنْ صَلَواتِ الْمَلِيكِ طُورَا سَجُودًا وَطُورَا جُؤارَا
والذي عرفوه منه - أيضاً - ما أخبرنا به علي عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال : قال أبو عمرو : أَسْجَدَ الرَّجُلُ : طَأْطَأَ وَانْخَنَى ، قال حميد بن ثور : فَضُولَ أَزْمَتَهَا أَسْجَدَتِ سَجُودَ النَّصَارَى لِأَرْبَابِهَا
وأنشد :

فقلن له : أَسْجَدْ لِلَّيْلِي فَأَسْجَدا

يعني البعير إذا طأطا رأسه؛ لتركه.

وهذا وإن كان كذا فإن العرب لم تعرفه يمثل ما أنت به الشريعة من الأعداد ، والمواقيت ، والتحريم للصلوة ، والتحليل منها . وكذلك الصيام أصله عندهم الإمساك ، ويقول شاعرهم :

خيلٌ صيام وأخرى غير صائمةٌ تحت العجاج وخيل تعلك اللجاما
ثم زادت الشريعة النية، وحضرت الأكل وال مباشرة، وغير ذلك من شرائع
الصوم.

وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد، وسبَّ الجراح، من ذلك قولهم:
واشهدُ من عوفٍ حلولاً كثيرةٌ يَحْجُون سبَّ الزِّيْرَقَانِ الْمَزَعْفَرا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره.

وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده
فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره.

وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة، والجهاد، وسائل أبواب الفقه.

فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان لغوي
وشرعى، ويدرك ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء الإسلام به.

وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو، والصرف، والشعر، كل
ذلك له اسمان لغوي، وصناعي».

المبحث الثالث: فضل اللغة العربية^(١)

لللغة العربية فضلٌ وامتياز عن غيرها من اللغات، وذلك من جهات عديدة وقد مر شيء من ذلك، وسيأتي -أيضاً- في فقرات أخرى من هذا الكتاب. وفيما يلي ذكر لبعض فضلتها على سبيل الإيجاز:

١- للغة العربية فضل من جهة اعتدال كلماتها: فإننا نجد أن أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف.

وليس في اللغة كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة على حرف واحد أو حرفين.

٢- لها فضل من جهة فصاحة مفرداتها: فليس في كلماتها الجاربة في الاستعمال ما يثقل على اللسان، أو ينبو عنه السمع.

وللعارف بحسن صياغة الكلام أن يصنع من مفرداتها المأنوسية الوضاءة قطعاً، أو خطباً تسترق الأسماع، وتسحر الألباب.

٣- أنها أقرب سائر لغات الدنيا إلى قواعد النطق: حيث إن عباراتها سلسلة طبيعية، يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبر فيها بما يريد دون تصنع أو تكلف.

١- انظر القياس في اللغة العربية ص ٢٣-٢٦ ، وحياة اللغة العربية ص ٥٨-٥٩.

٤- تعدد أساليبها: فهذا مما يشهد بارتقاء اللغة، وسعة غايتها في البيان؛ فإن العبارات إذا اختلفت أساليبها تغير ما تصوره في نفوس المخاطبين من المعاني، وإن كان الغرض واحداً؛ فصورة المعنى الذي يستفاد بطريق المجاز أو الكنية يغاير الصورة التي تؤدي بلفظ الحقيقة أو القول الصريح.

بل الصورة التي يرسمها قوله: (زيد كريم الطبع) غير الصورة التي ينقشها قوله: (زيد ذو طبع كريم) وإن أحد أصل المراد من المثالين وهو إثبات الكرم لطبع زيد.

ولولا أن العبارات الواردة على غرض واحد مختلفة في صور معانيها لم يظهر التفاوت والتسابق بينها في حلبة البيان.

وإذا قويت عارضة المتكلم في العربية أمكنه أن يتصرف في الغرض الواحد، ويفرغُه في أساليب مختلفة.

٥- طرق اختصارها: فتجد أن في كثير من ألفاظها القصيرة غنى وكفاية في الدلالة على المراد.

٦- ارتفاؤها مع المدنية: وقد مر شيء من ذلك عند الحديث عن نهوض الإسلام بالعربية، وسيأتي مزيد بيان لذلك.

قصيدتان في فضل العربية:

هاتان قصيدتان رائعتان في فضل العربية جادت بهما قريحة العلامة الأديب اللغوي الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.

وهما يعبران عن كثير مما نحن بصدده ، ويغنيان عن كثير من الكلام في هذا الباب ، وهما موجودتان في ديوان الشيخ (خواطر الحياة).

القصيدة الأولى: فضل اللغة العربية : وقد ألقيت في حفلة افتتاح الدورة

ال السادسة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة^(١).

وفكرْ باتَ يرتادُ السَّدَاداً^(٢)

عنانُ القولِ لم ٰسْلِسٌ^(٣) قياداً

في سعدةَ البيانِ بما أرادا

بنى العيشُ الأنْيقُ به وشادا

وخلَ الغمْدَ عندكَ والنجادا^(٤)

إذا قلتَ اشتَفَى^(٥) بالوصلِ زادا

شبيهانِ الْهَلَالُ إِذَا تهادى^(٦)

بناتُ الفِكْرِ آبَدَةٌ^(٧) ولو لا

رَعَى اللهُ الأَدِيبُ يرُومُ معنى

أَبْجَلُهُ ولو لم يأْوِ ظلا

فهَاتِ السَّيفَ يخْطُرُ في مَضَاءٍ^(٨)

وينزعُ بِي إلى الأَدَابِ وجَدٌ^(٩)

١ - خواطر الحياة ص ٨٢-٨٧.

٢ - تهادى : مشى مشياً غير قوي ، متمايلاً.

٣ - السداد : الرشاد ، والاستقامة.

٤ - آبدة : الأمر العظيم الذي تنفر منه وتستوحش ، جمع أوابد وأبد.

٥ - سلس : كان منقاداًليناً.

٦ - مضاء : مصدر ، يقال : مضى السيف مضاء أي : قطع.

٧ - النجاد : حمائل السيف.

٨ - الوجد : المحبة.

٩ - اشتَفَى : نال الشفاء.

فَانْسَى مَعْبُدًا^(١) وَعَرِيبًا^(٢) دَهْرًا
 وَأَسْلَوَ الرُّوضَ وَالورقَاءَ تَشْدُو
 وَلَا أَسْلَوَ الطُّرُوسَ تَدُورُ فِيهَا
 وَلَمْ أَنْضِ^(٣) الْقَرِيحةَ فِي نَسَبِيِّ
 فَمَا أَهْوَى سَوْيَ لِغَةَ سَقَاهَا
 أَدَارُوا مِنْ سَلَاسَتِهَا رَحِيقًا
 وَطَوَّقُهَا كِتَابُ اللَّهِ مَجْدًا

وَزَادَ سَنَانًا بِلَاغْتِهَا إِنْقَادًا
 رَحَى الْبَحْثُ ابْتِكَارًا وَانْتِقادًا
 وَلَا عَذْلًا شَكُوتُ وَلَا بُعَادًا
 قُرِيشٌ مِنْ بَرَاعَتِهِمْ شَهَادًا^(٤)
 وَهَزَّوُا مِنْ جَزَالِهَا صِعَادًا^(٥)

- ١ - معبد: معبد بن وهب، من اشتهر بالغناء أيام العصر الأموي، نشأ في المدينة، ورحل إلى الشام واتصل بأمرائها.
- ٢ - عريب: عرب المأمونية، شاعرة ومحنة وأديبة، ولدت ببغداد، ونشأت في قصور الخلفاء العباسيين، وقربها الخليفة المأمون حتى نسبت إليه، وتوفيت بسامراء.
- ٣ - البديع: بديع الزمان أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أحد أئمة الأدب والشعر، ولد في همدان وتوفي في هرة مسموماً، اشتهر بمقاماته، وله ديوان شعر ورسائل مطبوعة.
- ٤ - العماد: عماد الدين الأصفهاني الكاتب، مؤرخ وكاتب كبير، ولد في أصفهان وعاش وتوفي بدمشق، له مؤلفات مطبوعة.
- ٥ - بجاداً: البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب يستعملون به، جمعه بجداً.
- ٦ - أنضر: أهزل وأخلق وأبلى.
- ٧ - شهاداً: الشهاد: جمع شهد، وهو العسل ما دام لم يعصر شمعه.
- ٨ - صعاداً: الصعاد: واحدها الصعدة وهي القناة المستوية.

ثَحَادِرُ كَالْجَادِرِ^(١) أَنْ تَصَادَا
سَنَاهَا النَّارَ لَمْ تَلِدِ الرَّمَادَا
وَيُبَهِّجَهَا وَهَادِأُونَجَادَا^(٢)
إِذَا لَمْ تَمَلِأِ الدُّنْيَا رَشَادَا
فَحَثُوا مِنْ قِرَائِحِهِمْ جِيادَا^(٣)
وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَرْدُ الثَّمَادَا^(٤)
زَنَادَ الشِّعْرَ وَأَئَلَّ أَوْ إِيَادَا
وَخَطَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَلْقَى كَسَادَا
غَزِيرَ التَّبَعِ لَا يَخْشَى نَفَادَا^(٥)
شِعَارُ الْعِلْمِ إِعْرَابًا وَضَادَا^(٦)

تَصِيدُ بِسَحْرِ مَنْطَقَهَا قَلُوبَا
قَنَتْ^(٧) حَكْمًا رَوَائِعَ لَوْأَعَارَتْ
سَرَتْ كَالْمَزْنِ يَحْيِي كُلَّ أَرْض
وَمَا لِلْهُجَّةِ الْفَصْحِيِّ فَخَارَ
وَرَاعَ حَلَى الْفَصَاحَةِ غَيْرَ عَرَبِيِّ
تَخْوُضُ بِيَانِهَا الْفَيَاضَ^(٨) طَلْقاً
وَكَمْ ضَاهِي ابْنُ فَارِسٍ وَهُوَ يُورِي
أَتَاهَا الْعِلْمَ يَرْسُفُ^(٩) فِي كَسَادٍ
فَأَلْفَى مِنْ مَعَاجِمِهَا عَبَابَا^(١٠)
فَأَوْدَعَهَا نَفَائِسَهُ وَاضْحَى

١- الجاذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان؛ بجمال عينيه.

٢- قنت: جمعت، وكسبت.

٣- الوهاد: جمع الوهد: الأرض المخضضة، والنجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

٤- جيادا: الجياد: جمع جواد وهو الفرس.

٥- الفياض: للبالغة في الكثرة.

٦- ثمادا: الثماد: الماء القليل لا مادة له.

٧- يرسف: يمشي مشي المقيد.

٨- عباباً: العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته.

٩- خص الشاعر الإعراب والضاد؛ لأن الإعراب هو ميزة اللسان العربي في المركبات، والضاد: ميزة اللسان العربي في المفردات.

على الفصحى **بِيُرْهَقَهَا** فسادا
 وابت بـنَيْنَ أَزْهَرَهَا قـتـادـا^(٢)
لـرـدـ بـيـاضـ غـرـتـهـا سـوـادـا
 فـلـمـ تـرـفـي سـوـى مـصـرـ مـرـادـا^(٣)
 إـلـيـهـمـ خـيـرـ مـا يـغـفـونـ زـادـا
 وـيـبـنـي طـارـفـا يـحـكـي التـلـادـا^(٤)
 إـلـىـ الـفـصـحـىـ فـكـانـ لـهـاـ مـعـادـا
 فـهـنـأـنـاـ الـبـرـاعـمـةـ وـالـمـدـادـا
عـلـيـاـ حـيـنـ يـخـطـبـ أوـزـيـادـا^(٥)
 مـنـ الـإـصـلـاحـ يـثـثـظـمـ الـبـلـادـا
 يـقـيمـ لـهـاـ بـحـكـمـتـهـ سـيـادـا
 بـهـاـ وـأـضـاعـهـاـ قـوـمـ عـنـادـا

عـذـيرـيـ مـنـ زـمـانـ ظـلـ يـجـنـيـ
 حـثـاـ فـيـ روـضـهـاـ الزـاهـيـ قـتـامـا^(١)
 وـلـوـلـاـ هـذـاـ الـذـكـرـ يـتـلىـ
 أـجـالـتـ طـرـفـهـاـ فـيـ كـلـ وـادـ
 فـتـلـكـ مـعـاهـدـ الـعـرـفـانـ ثـدـنـيـ
 وـهـذـاـ مـجـمـعـ يـحـمـيـ تـلـادـاـ
 كـانـ عـكـاظـ عـادـ بـهـاـ اـشـتـيـاقـ
 جـرـىـ مـاءـ الـحـيـاةـ بـوـجـنـتـيـهـاـ
 وـقـلـنـاـ لـلـمـنـابـرـ: ذـكـرـيـنـاـ
 فـيـ لـغـةـ النـبـيـ سـقاـكـ عـهـدـ
 فـمـاـ مـنـ حـاجـةـ لـلـعـلـمـ إـلـاـ
 يـصـونـ هـدـيـةـ اللـهـ اـعـتـزاـزاـ

١ - حثا: رمى، قتاما: القتام: الغبار الأسود.

٢ - قتادا: القتاد: حجر صلب له شوك كالإبر.

٣ - مرادا: المراد: مكان رياض الإبل أي: اختلافها في المرعى مقبلة مدبرة.

٤ - التلاد: المال القديم، طارفا: الطارف: المال الحديث المستحدث.

٥ - علياً: علي بن أبي طالب رضي الله عنه زياداً: زياد بن أبيه، أمير من الدهاء والقاده الفاتحين، ولد في الطائف، وولاه معاوية البصرة، والковفة، وسائر العراق حتى توفي.

ويمسح عن لواحظه رقادا
نجاحاً كلما استورى زنادا
القصيدة الثانية: افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي: وهي قصيدة ألقاها
الشيخ رحمه الله في افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة في ٢٦ يناير كانون الثاني
١٩٤١ م^(٢).

وجري بهم طلقاً بغير زمام^(٣)
أمضى بها في الركب فرط هيام
يقظان لم يُرشق بسهم حمام
بكؤوس أثسي لا كؤوس مدام
ذكراهم وأغيب عن آلامي
في نطبق يَعْرُبَ من سنى ووسام^(٧)

نهض القطار فأومأوا بسلام
بانوا فما بالي فقدت حشاشتي^(٤)
عجبأ لروح فارقت جسد أمري
طوت النوى عهداً يطوف سقاته
رُضت^(٥) القرىض لعلني أسلوبه
فصحوت من شجن إلى شغف بما^(٦)

١ - مذروبه: المذروان: طرفا الإلتين واحدهما مذرى، ويقال: جاء ينفض مذروبه، أي: باగياً ومهددا.

٢ - انظر ديوان خواطر الحياة ص ٢١٩-٢٢٢.

٣ - طلقاً: يقال طلق طلقاً: تباعد، والزمام: المقد.

٤ - حشاشتي : الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح، وقيل رمق من حياة النفس.

٥ - رضت : يقال: راض المهر، أي: ذللته

٦ - شجن: الشجن البه وحزن، شغف: الشغف: أقصى الحب.

٧ - سنى: السنى: الضوء، ووسام: الوسام: الحسن.

فيحاءً بين الأَسْنَدِ والآرَامِ^(١)
 وسعتْ حضارة فارسِ والشامِ
 قد لَّئَمُوا إِبْرِيقَهَا بِفَدَامِ^(٢)
 صَوْغَ ابْنِ بُرْزَهُ أو أَبِي تَمَّامِ
 أَنْ يُؤْسِرُوا بِصَبَابَةٍ وَغَرَامِ
 مُتَجَاهِيًّا عَنْ مُطْرِبِ الْأَنْفَامِ
 مِعْطَارَةً مِنْ زَهْرَهَا الْبَسَامِ
 لَلْحَيْنِ زَرِيَابٌ^(٣) وَسَجَعُ حَمَامٍ
 أَهَوتُ بِرَاحِتِهِ إِلَى الصَّمْصَامِ
 لَمْ ثُبَّلْ قَبْلُ بِوْصَمَةِ الْإِفْحَامِ
 شَهْبُ السَّمَاءِ تَشَقُّ بَحْرَ ظَلامٍ
 بَيْنَ السَّيُوفِ الْفُرُّ وَالْأَقْلَامِ
 وَالْمُلْكُ يَعْلُو بِامْتِشَاقِ حُسَامٍ

هِيَ لِهَجَةٌ شَبَّتْ بِأَرْضِ بِداوَةٍ
 لِكَنْهَا وَسَعَتْ عِلْمَ أَرْسَطٍ^(٤) بِلِ
 الْلَّفْظِ أَصْفَى مِنْ حَبَابِ سَلَافَةٍ^(٥)
 لَوْ أَنْ خَوْدَا^(٦) تَسْتَعِيرُ الْحَلْيَ مِنْ
 أَسْرَتَ أَسْوَدًا قَدْ تَحَامَوْا قَبْلَهَا
 وَلَرْبَّ مُتَثَرِّدٍ يُصَاعِرُ خَدَّةَ
 حَيَّثُهُ رُوضَاتُ الْبَيَانِ بِبَاقِيَةَ
 فَصَبَا إِلَى الْأَدَابِ مَنْ لَمْ يُصْبِنَ
 أَذْكَى خَطِيبُ الْجَيْشِ فِيهِ حَمَاسَةَ
 نَطْقِ الْكِتَابِ بِهَا فَأَفْحَمَ الْسَّنَاَ
 وَتَأَلَّقَتْ حِكْمَةُ النَّبِيِّ كَانَهَا
 سَادَ الْهَوَى وَسَمَّا لِوَاءَ الْمُلْكِ مَا
 الدِّينُ يَعْلُو بِإِنْتَضَاءِ يَرَاعَةٍ^(٧)

١- الآرام: جمع الرئم: الظبي المخالص البياض.

٢- أرسط: أرسط: الفيلسوف المشهور.

٣- سلافة: السلافة: الخمر.

٤- فدام: الفدام: المصفاة تجعل على فم الإبريق؛ ليصنف بها ما فيه.

٥- خودا: الخود: الحسنة الخلق.

٦- زرياب: علي بن نافع، مولى المهدي العباسي، كان حسن الصوت، توفي بقرطبة.

٧- يراعة: اليراعة: القصبة، ويريد بها القلم.

وَرَمَتْ صُرُوفَ وَجْهَهَا بِرَغَامٍ^(١)
 مَا لَمْ تَرْضِهُ عُلُومُهَا بِلِجَامٍ
 لِيُحْسَنَ مَا تَشْكُو مِنَ الْأَسْقَامِ
 كَادَتْ تَزِينُ بَهَا إِلَى اعْجَامِ
 أَيْدِي ثَوَارِي شَمَسَةُ بِقَتَامٍ^(٢)
 هِيَ الزُّهْرَ فِي أَفْلَاكِهَا وَثَسَامِي
 أَوْطَانُهَا الْقُصْنُوِي بَعْيَنْ حَذَامٍ^(٣)
 عَرَفَتْ وَجْوهَ الْتَّقْضِيِّ وَالْإِبْرَامِ
 قَدْفَ الْهَجَيرُ غَصُونَهَا بِضِرَامٍ
 إِذْ كَانَ لَا يُسْقَى عَصِيرَ غَمَامِ
 عَزْمَ بِأَضْفَاثِ مِنَ الْأَحْلَامِ
 ثَنَةً إِدَارَاءُ بِغَسِيرِ خَصَامٍ

بَعْدًا لِيَوْمٍ نَامَ فِيهِ حُمَائِهَا
 مُنْيَتْ بِلْحَنِ وَاللِّسَانُ مُلْحَنٌ
 لَوْ جَسْ جَالِينُوسُ^(٤) مُنْبِضٌ قَلْبَهَا
 الْفَسْ دُبُولُ الظَّامِنَاتِ وَأَحْرَفَا
 مَنْ ذَا يَفَارُ عَلَى بِيَانِ الْعَرْبِ مِنْ
 يَا مَجْمَعًا نَيْطَتْ بِهِ هَمْ ثَبَا
 هَذِي شُعُوبُ الْشَّرْقِ تَنْظَرُوهُ يَ فِي
 تَرْثِ وَإِلَيْكَ بِمُقَالَةٍ نَقْدَادَةٍ
 فَلَتَقْضِي لِلْفَصْحِي لِبَانَة^(٥) دُوْحَةٍ
 وَلَنْسَقِ ظَامِنَهَا عَصِيرَ دِرَايَةٍ
 مَا أَشْبَهَ الْأَمْسَالَ يَوْمَ يَخْوَنُهَا
 يَحْلُو النَّضَالُ وَلَا نَضَالُ إِلَّا مِنْ

١- برغام: الرغام: التراب.

٢- جالينوس: طبيب يوناني.

٣- قتام: القتام: الغبار الأسود.

٤- حذام: حذام بنت الريان، جاهلية ميالية، يضرب بها المثل في صدق الخبر، وينسب لزوجها قوله:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

٥- اللبانة: الحاجة.

هي كالسحائب هذه وطفاء^(١) إن سَنَحَتْ وَتَلَكَ تَمُرُّ مِرْ جَهَامٍ
والرأي يخلص بالنقاشِ الحرِّ منْ صَدَا الْخُمُولِ وَبُنْسَةِ الْإِبَهَامِ
وَجَآذِرُ الْأَفْكَارِ لَا تَرِدُ الْحِمَى مَا لَمْ تُسَسِّنْ بِرَوْيَةِ وَنَظَامِ

١ - وطفاء: السحابة الوطفاء: المستrixية لكثره مائتها.

٢ - جهان: الجهان: السحاب لا ماء فيه.

المبحث الرابع: أسرار النّظام اللّغوي^(١)

لنظام العربية اللغوي أسرار لطيفة، بدعة، تشبه النظام النفيس من حيث تعلقه بالحكمة التي تضبط عواطف النفس وخطراتها - كما يقول الرافعي بِحَمْلِ اللَّهِ. وليس المقصود من النظام في هذه الفقرة الأحكام الظاهرة كالإعراب، والتصريف، والقواعد اللسانية، وإنما هو أمر آخر سيتضح بعد قليل.. وقد رأى الرافعي أن ذلك النظام في اللغة على ثلاثة أضرب:

١- نظام الألفاظ بالمعاني.

٢- نظام المعاني بالألفاظ.

٣- النظام المطلق، وهو نظام القرينة، أو الحس النفسي.

ويرى بِحَمْلِ اللَّهِ : «أن ابن جني أول من ناهض هذا البحث إتقاناً، وتخلى بأمره افتاناً، وإنما كان العلماء قبله يسترون حون إلى أشياء منه عند الضرورة، ويتعللون به؛ وأكثرهم لزوماً لذلك شيخه أبو علي الفارسي» ^(٢).

واليك شيئاً من الإيضاح من ذلك النظام البديع:

أولاً: نظام الألفاظ بالمعاني: والمراد به مقاربة الصيغة اللفظية للمعاني الموضوعة لها.

أو ما يسميه ابن جني (تصاقب^(٣) الألفاظ لتصاقب المعاني).

١- انظر تفاصيل ذلك في المزهر ١/٣٣٠-٣٤٢، و تاريخ آداب العرب ١/٢٢٢-٢٣٣.

٢- تاريخ آداب العرب ١/٢٢٢-٢٢٣.

٣- تصاقب: تقارب.

حيث أورد باباً في الخصائص تحت هذا المسمى، وقال تحته: «هذا غُورٌ من العربية لا يتصف منه، ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غُفلاً مسهوأً عنه»^(١).

كما أنه أورد أبواباً قريبة من هذا، وسيرد ذكر لبعضها.

ومما حاول إثباته في كتابه مما يتعلق بغررضاً ستة أمور:

١- أن العرب كانت تقارب حروف الألفاظ حتى تقارب معانيها:

قال ابن جنبي: «ومن ذلك قول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْرُّهُمْ أَزَّاً﴾.

أي: تزعجهم وتقلقهم؛ فهذا من معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء.

وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك.

ومنه العسف والأسف: والعين أخت الهمزة^(٢)، كما أن الأسف يعصف بالنفس، وينال منها.

والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغليظ من التردد بالعسف؛ فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين»^(٣).

١- الخصائص ٤٩٩/١.

٢- يعني في المخرج فالعين والهمزة حرفان حلقيان.

٣- الخصائص ٤٩٩/١.

٢- أن هذه المقاربة بين الحروف تقع فيها المراعة حتى في الحروف البعيدة التي لا تتشابه إلا بالتأويل: قال ابن جني مثلاً لذلك: «ومثله تركيب (ع ل م) في العلامة والعلم.

وقالوا مع ذلك: بيضة عرماء، وقطيع أعمرم إذا كان فيما سواد وبياض، وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه؛ فكان كل واحد منهم علماً لصاحبها^(١).

٣- أن المقاربة قد تكون في الأصل الواحد بالحروفين: وقد مثل له ابن جني بقوله: «وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحروفين، نحو قولهم: السحيل، والصهيل...»

وذاك من (س ح ل) وهذا من (ص ه ل) والصاد أخت السين كما أن الهاء أخت الحاء.

ونحو منه قولهم: (سحل) في الصوت، و(زحر) والسين أخت الزاي كما أن اللام أخت الراء^(٢).

٤- قد تكون المقاربة بالأصول الثلاثية في الفعل (الفاء والعين واللام): «قالوا: عصر الشيء، وقالوا: أرَّله إذا حبسه، والعصر نوع من الحبس، وذاك من (ع ص ر) وهذا من (أ ز ل) والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام»^(٣).

١- الخصائص ٥٠٠/١.

٢- الخصائص ٥٠٢/١.

٣- الخصائص ٥٠٢/١.

ومعنى قوله أخت كذا وكذا: أي في الخارج فالصاد والزاي - على سبيل المثال- من أحرف الصغير، وهكذا...

٥- أن العرب يصوروون اللفظ على هيئة المعنى: وهذا ما عبر عنه ابن جنی في الخصائص في باب سماء: (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني).

وقال تحته: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبویه، وتلقته الجماعة بالقبول.

قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجنديب استطالهً ومدّا فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر.

وقال سيبویه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النَّقَرَانُ، والغليان، والغثيان؛ فقابلوا بتوالي حركات المثال توالياً حركات الأفعال.

ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سُمْت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه^(١).

وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضّعفة تأتي للتكرير نحو الزععة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقة، والصعصعة، والجرحة، والقرفة. ووجدت - أيضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو: البشكي والجمزى والولقى^(٢).

١- يعني الخليل وسيبویه.

٢- الخصائص ٥٠٥/١.

٦- مقابلة الألفاظ بما يشاكِلُ أصواتها من الأحداث: وهذا من نظام الألفاظ بالمعاني عند العرب، قال عنه ابن جنبي: «باب عظيم واسع، ونهج مُتَّبِعٌ عند عارفهِ مأمور».

وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمة الأحداث المُعبر عنها؛ فيعدلونها بها، ويختذلونها عليها، وذلك أكثر مما نقدر، وأضعف ما نستشعره. ومن ذلك قولهم: خضم وقضم: فالخضم لأكل الرَّطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الْرَّطب.

والقضم للصلب اليابس، نحو قَضَمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا، ونحو ذلك. وفي الخبر: «قد يدرك الخضم بالقضم».

أي: قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف.

وعليه قول أبي الدرداء: «يُخْضِمُونَ وَنَقْضُمُونَ، وَالْمُوَعْدُ اللَّهُ».

فاختاروا الحاء لرخاوتها للرطب، والكاف لصلابتها لليابس؛ حذو لسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى، قال الله- سبحانه-: «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ».

فجعلوا الحاء؛ لرقّتها للماء الضعيف، والخاء؛ لغلوظتها لما هو أقوى منه»^(١).

ثانياً: نظام المعاني بالألفاظ:

قال الراافي بِحَمْلِ اللَّهِ: عن هذا النظام: «والألفاظ في هذا النوع هي التي تسوس

المعاني وتنزلها منازلها، وتضعها على أقدارها، لا من حيث إن اللفظ هو الذي يوجد المعنى، فذلك ظاهر الاستحالـة، ولكن على أنه هو الذي يخصـص المعنى إذا كان جنساً، وهو الذي يؤكد مبالغـة في تلوين صورـته النفسـية حتى تـنطق أجزاءـه، حتى يقوم كل جـزء منها فيـ البيان اللغـوي مقـام الكلـ الذي هو مـادة الشـعور الطـبـيعـي»^(١).

وقـال بـحـمـدـهـ: «والـعـرـبـيةـ تـعـتـبـرـ أحـكـمـ الـلـغـاتـ نـظـامـاًـ فيـ أـوـضـاعـ الـمـعـانـيـ وـسـيـاسـتـهاـ بـالـأـلـفـاظـ،ـ وـهـيـ مـنـ هـذـاـ القـبـيلـ أـعـظـمـهـاـ ثـرـوـةـ،ـ وـأـبـلـغـهـاـ مـنـ حـقـيقـةـ التـمـدـنـ بـحـيثـ لـاـ تـدـانـيـهـاـ فـيـ ذـلـكـ لـغـةـ أـخـرـىـ كـائـنـةـ مـاـ كـانـتـ؛ـ فـالـعـرـبـ لمـ يـدـعـواـ مـعـنـىـ مـنـ الـمـعـانـيـ الـطـبـيـعـيـةـ الـتـيـ تـعـلـقـ بـالـحـيـاـةـ الـرـوـحـيـةـ أـوـ الـبـدـنـيـةـ مـاـ تـهـيـأـ لـهـمـ إـلـاـ رـتـبـواـ أـجـزـاءـهـ،ـ وـأـبـانـوـ عـنـ صـفـاتـهـ بـالـفـاظـ مـتـبـاـيـنـةـ تـعـيـنـ تـلـكـ الـأـجـزـاءـ وـالـصـفـاتـ عـلـىـ مـقـادـيرـهـاـ؛ـ فـأـوـلـ مـعـانـيـ الـحـيـاـةـ الـرـوـحـيـةـ الـحـبـ،ـ وـهـذـهـ مـرـاتـبـهـ عـنـهـمـ:ـ الـهـوـيـ،ـ ثـمـ الـعـلـاقـةـ،ـ وـهـيـ الـحـبـ الـلـازـمـ لـلـقـلـبـ،ـ ثـمـ الـكـلـفـ،ـ وـهـوـ شـدـةـ الـحـبـ،ـ ثـمـ الـعـشـقـ وـهـوـ اـسـمـ لـاـ فـضـلـ عـلـىـ الـمـقـدـارـ الـذـيـ اـسـمـهـ الـحـبـ،ـ ثـمـ الـشـعـفـ،ـ وـهـوـ إـحـرـاقـ الـحـبـ لـلـقـلـبـ مـعـ لـذـةـ يـمـدـهـاـ،ـ وـكـذـلـكـ الـلـوـعـةـ وـالـلـاعـجـ؛ـ إـنـ تـلـكـ حـرـقـةـ الـهـوـيـ وـهـذـاـ هـوـ الـهـوـيـ الـمـرـقـ،ـ ثـمـ الـشـغـفـ،ـ وـهـوـ أـنـ يـلـغـ الـحـبـ شـغـافـ الـقـلـبـ وـهـيـ جـلـدـةـ دـونـهـ،ـ ثـمـ الـجـوـيـ،ـ وـهـوـ الـهـوـيـ الـبـاطـنـ،ـ ثـمـ التـيـمـ،ـ وـهـوـ أـنـ يـسـتـعـبـدـهـ الـحـبـ،ـ ثـمـ التـبـلـ،ـ وـهـوـ أـنـ يـسـقـمـهـ الـهـوـيـ،ـ ثـمـ التـدـلـيـهـ،ـ وـهـوـ ذـهـابـ الـعـقـلـ مـنـ الـهـوـيـ،ـ ثـمـ الـبـيـوـمـ،ـ وـهـوـ أـنـ يـذـهـبـ عـلـىـ وـجـهـهـ لـاـ يـسـتـقـرـ؛ـ وـذـلـكـ لـغـلـبـةـ الـهـوـيـ عـلـيـهـ،ـ وـمـنـهـ رـجـلـ هـائـمـ.

وكذلك فعلوا في معاني السرور، والعداوة، والغضب، والحزن، والسرعة، وغيرها.

ومن معاني الحياة البدنية أصول المعاش الطبيعية التي هي قوام أمرهم: كاللبن، فإن له نحو سبعين اسمًا باعتبار اختلاف أحواله، وقد ذكرها السيوطي في المزهر (الفصل ١٥ - النوع ٢٩) وكذلك الخيل والإبل والشاء، ثم صفاتها، وتسمية أجزائها، ونحو ذلك مما نكتفي لشهرته بالإشارة إليه.

وعلى أكثر هذا النوع من نظام المعاني بالألفاظ بني الشعاليبي كتابه (فقه اللغة) وهو أشهر من أن ينبه عليه؛ ولذا أوجزنا في أمثلته اكتفاءً بالدلالة على مظنتها، والحقيقة تنهض بها الكلمة الواحدة^(١).

ثالثاً: نظام القرينة:

قال الرافعي عن هذا النظام: «وهو ما نسميه بالنظام البديع؛ لأنه في ظاهره نوع من الفوضى؛ وذلك أنهم يعتمدون في ضرب من كلامهم على اللمحات الدالة، والإشارة التي تقع موقع الوحي، وعلى أضعف أثر يشير إلى وجه الكلام ومذهبه، ويؤدي إلى طريق المعنى فيه، ثم يطلقون الكلام إطلاقاً غير مقيد بنظام، ولا متبع لطريق غيره من سائر الكلام؛ وذلك نظم ينفردون به، ولا تجد القليل منه في لغة غيرهم إلا حيث تصيب أدلة النبوغ في أشهر الشعر وأمثاله المنشور.

وقد سماه علماؤنا (*سنن العرب*) وعقد الشعاليبي على أمثلة منه القسم الثاني من كتابه (فقه اللغة) وسماه (سر العربية).

ونحن نرى أن هذا النوع لم يكن في اللغة إلا بعد أن انصرف العرب إلى صنعة الكلام، وهذبوا حواشيه، وبلغوا الغاية في تنميق الشعر وإجادته، وذلك قبل الإسلام بما لا يتجاوز مائة سنة على الأكثر؛ لأن التفنن في العبارات لا يأتي إلا من كمال صنعة الألفاظ، ولأن ما عرف للعرب من ذلك قليل في جنب ما أتى به القرآن الكريم، وهذا معنى إعجازه؛ إذ جعل من عبارته أزمة لعقولهم، فكان يلفتها فجأة عن المعنى الظاهر، ثم يبعثتها بروح الكلام، فتكون لها بينهما هزةٌ من الطرب الذي ينشأ عن إدراك العقل لما ليس في مقدوره مع رغبته فيه»^(١):

ومن الأمثلة مما ذكره العلماء من سنن العرب التي يتحقق فيها نظام القرينة ما يلي^(٤):

١- مخالفة ظاهر اللفظ: قولهِم عند المدح: قاتله الله ما أشعره! فهم يقولون
هذا ولا يريدون وقوعه، وكذلك قولهِم: هَلْتَهُ أَمَهُ، وثكلته، وهذا يكون عند
التعجب من إصابة الرجل، فيرميه، أو في فعل يفعله.

٢- الحذف والاختصار، فقلوْن: وَاللَّهُ أَفْعَلُ ذَاكَ، وَيَرِيدُونَ لَا أَفْعَلُ،

فيحذفون حرف النفي.

٣- ذكر الواحد والمراد الجمع: كقوله -تعالى-: «هَوْلَاءِ ضَيْفِي» وقوله:
«فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» والمراد الجماعة.

١- تاريخ أداب العرب .٢٢٩

^٢- انظر المزهر ٣٢١/١، ٣٤٢-٣٤٣، والصاحبي، ص ١٥٦-٢٠٦، وتأريخ أداب العرب ٢٢٩/١-٢٣١.

- ٤- ذكر الجمع والمراد واحد أو اثنان: قوله: ﴿إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ﴾ وهو يريد واحداً، قوله في خطاب موسى وأخيه: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ والخطاب لاثنين، قوله في خطاب زوجتي النبي ﷺ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وهمما قلبان.
- ٥- صفة الجمع بصفة الواحد: قوله -تعالى-: ﴿وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.
- ٦- صفة الواحد أو الاثنين بصفة الجمع: قول العرب: ثوب أهدام، وجاء الشتاء وقميصي أخلاق.
- ٧- الالتفات المعروف في البديع: وهو أن تناطح العرب الشاهد، ثم تحول الخطاب إلى الغائب، وتناطب الغائب ثم تحوله إلى الشاهد، وأن تناطب المخاطب ثم ترجع الخطاب إلى غيره، نحو قوله -تعالى-: ﴿فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ عِلْمٌ اللَّهُ﴾ الخطاب الأول للنبي ﷺ وصحابته، والثاني للمشركين.
- ٨- الرجوع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب بدون تغيير في المعنى: قوله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ أراد بكم، قوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء﴾ ومعناه: كان لهم.

وقد جاء ذلك في الشعر -أيضاً- كما في كتاب (الأضداد) لابن الأباري.

- ٩- أن يتبدئ بشيء ثم يخبر عن غيره: قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصُنَ» فَخَبَرَ عن الأزواج بلفظ «يَتَرَبَّصُنَ» وترك «الذين».

١٠- نسبة الفعل إلى الاثنين وهو لأحدهما: كقوله: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» إلى قوله: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» وإنما يخرج من الملح لا العذب.

١١- نسبة الفعل إلى الجماعة وهو لأحدهم: كقوله: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارُ أَنْتُمْ فِيهَا» والقاتل واحد.

١٢- نسبة الفعل إلى أحد اثنين وهو لهما: كقوله: «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوَهُ».

١٣- أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين: كقول العرب: افعلا ذلك، ويكون المخاطب واحداً، وكان الفراء يرى في أصل ذلك أن الرفقة عند العرب أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فيجري كلام الواحد على صاحبيه، ولذا كان شعراً لهم أكثر الناس قولًا: يا صاحبي، ويا خليلي.

١٤- أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضر، أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ، كقوله - تعالى -: «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ» أي: يأتي «وَاتَّبَعُوا مَا تَنَّلُ الشَّيَاطِينُ» أي: ما تلت الشياطين.

١٥- أن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل: نحو: سر كاتم، أي: مكتوم، وأمر عارف، أي: معروف، وبالفاعل على لفظ المفعول، كقولهم: بيع مغبون، ويكون المعنى غابنا.

١٦- وصف الشيء بما يقع فيه: كقولهم: ليلهم نائم، إذا ناموا فيه، وليلهم

ساهر، إذا سهروا.

١٧- البسط ، بالزيادة في حروف الاسم والفعل متى أمن اللبس بقرينة تقتضي ذلك : كإقامة وزن الشعر ، وتسوية قوافيه ، وعلى هذا قول بعضهم في صفة الظلماء :

وليلة خامدة خموداً
طخياء تخشى الجدي والفرقوداً
 يجعل الفرقد كما ترى ، ثم قال فيها : لو أن عمراً هم أن يرقدوا.
يريد يرقد.

١٨- القبض محاذاة لذلك البسط ، وهو النقصان من عدد الحروف : كقولهم :
لاه ابن عمك ، أي : لله ، ودرس المنا ، أي : المنازل ، ومنه الشاهد النحوي :
درس المنا بمثالع فأبان فتقادمت فالحبس فالسوبران

١٩- الإضمار للأسماء والأفعال والحرروف : كقولهم : ألا يا إسلامي ، أي : يا
هذه ، وقولهم : أتعلباً وتفرّ ؟ أي : أترى ثعلباً وتفرّ ؟ .
وال الأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

الباب الثاني

دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة

وتحتة ستة فصول:

الفصل الأول : المَعْرَب.

الفصل الثاني : المشترك ، والمتضاد ، والمترادف.

الفصل الثالث : الاشتقاد ، والقياس.

الفصل الرابع : الإبدال ، والقلب المكاني.

الفصل الخامس : الشجر ، والإتباع ، والنحت.

الفصل السادس : المجاز.

الفصل الأول: المُعَرَّب

الفصل الأول: المَعْرَب

أحد الموضوعات التي تبحث في فقه اللغة وغيرها من العلوم، والكلام عليه سيكون في المسائل التالية:

أولاً: تعريفه:

أ - **المَعْرَب** لغة: اسم مفعول من الفعل **عَرَبَ**، يُعرَبُ، والمصدر **عَرِيباً**.
والمَعْرَبُ: هو الذي **جَعَلَ** **عَرِيباً**.

ب - **المَعْرَبُ** في الاصطلاح: عرفه السيوطي **رحمه الله** بقوله: «هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضعية لمعانٍ في غير لغتها».^(١)
وقال الجوهرى **رحمه الله** في الصاحح: «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها».^(٢)

ثانياً: أسماؤه: يُعرف بعدة أسماء تدل عليه، منها:

١- **المَعْرَبُ** ٢- **التعريب** ٣- **الدخل** ٤- **المولد**

يقول د. علي عبد الواحد وافي في معرض حديث له عن الدخيل في اللغة العربية: «الدخل الأجنبي، المَعْرَبُ، والمولد».

يراد بالدخل الأجنبي ما دخل العربية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم

١- المزهر ٦٨/١.

٢- الصاحح ٢٧١/١.

من المولدين.

وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري ، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري - ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج ... وأن المولدين هم من عداهؤلاء ولو كانوا من أصول عربية.

ويطلق على القسم الأول من الدخيل الأجنبي وهو ما استعمله فصحاء العرب اسم (المعرب) وعلى القسم الثاني منه وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعرّبها فصحاء العرب اسم (الأعجمي المولد) «^(١)».

ثالثاً: الخلاف في المعرب^(٢): اختلف العلماء في وقوع المعرب في القرآن، على ثلاثة أقوال :

القول الأول: قول القائلين بالمنع :

وهذا قول الإمام الشافعي ، وأبي عبيدة ، وابن فارس وغيرهم - رحمهم الله - وقد استدلوا على المنع بقوله - تعالى - : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا » قوله : « وَلَوْ جَعَلْنَا قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ».

« وقد شدد الشافعي بخت الله النكير على القائل بذلك»^(٣).

١- فقه اللغة د. وفي ص ١٥٣.

٢- انظر الصاحبي ص ٣٢-٣٣ ، والمعرب للجواليقي ص ٦-٥ ، والإتقان للسيوطى ١٠٥/٢ ، والزهرى ٢٦٨-٢٦٩.

٣- الإتقان ١٠٥/٢

وقال أبو عبيدة بْنِ جَلَالِ اللَّهِ : «إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينًا؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنْ فِيهِ
غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْقَوْلَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنْ كَذَا بِالْبَنْطِيَّةِ فَقَدْ أَكْبَرَ الْقَوْلَ»^(١) .
وقال ابن فارس بْنِ جَلَالِ اللَّهِ معلقاً على قول أبي عبيدة: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَمَا تَأْوِيلُ
قَوْلِ أَبِي عَبِيدَةِ فَقَدْ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ؟
قِيلَ لَهُ: تَأْوِيلُهُ أَنَّهُ أَتَى بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَكَبِيرٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَوْ كَانَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ
لِغَةِ الْعَرَبِ شَيْءٌ لَتَوَهَّمُ أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا عَجَزَتْ عَنِ الْإِتِيَانِ بِمُثْلِهِ؛ لِأَنَّهُ أَتَى
بِلِغَاتٍ لَا يَعْرِفُونَهَا، وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ»^(٢) .

وقال آخرون: «كُلُّ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ عَرَبِيَّةٌ صِرْفَةٌ، وَلَكِنْ لِغَةُ الْعَرَبِ مُتَسْعَةٌ
جَدَّاً، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَخْفَى عَلَى الْأَكَابِرِ الْجَلَةُ، وَقَدْ خَفِيَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَى
(فَاطِر) وَ(فَاتِح)»^(٣) .

القول الثاني: قول القائلين بوقوعه: وقد استدلوا على ذلك - كما قال أبو
عبيد القاسم بن سلام - بما «روي عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير،
وعكرمة، وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة: إنها بلغات
العجم، ومنها قولهم: طه، واليم، والطور، والربانيون فيقال: إنها بالسريانية.
والصراط، والقسطاس، والفردوس يقال: إنها بالرومية.
ومشكاة، وكفلين يقال: إنها بالحبشية.
وهيئت لك إنها بالحورانية؛ فهذا قول أهل العلم من الفقهاء»^(٤) .

١- الإتقان ٢/١٠٥.

٢- الصاحبي ص ٣٣.

٣- الإتقان ٢/١٠٥-١٠٦.

٤- المزهر ٢/٢٦٨.

وأجاب المجيزون لوقوع المُرَبِّ عن قوله - تعالى -: «**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**» بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، وأن القصيدة بالفارسية لا تخرج عنها بلفظة عربية تكون فيها.

وأجابوا عن قوله - تعالى -: «**أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**» بأن المعنى من السياق «أكلام أعمامي ومخاطب عربي».

القول الثالث: التوفيق بين الرأيين والجمع بين القولين: قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القولين السابقين:

«والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعمامية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب؛ فعرَبَتها بأسنتها، وحوَّلَتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها؛ فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: أعمامية فصادق»^(١).

ومال إلى هذا القول الجواليلي، وابن الجوزي وغيرهما.

قال الجواليلي: «وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بأسنتها، فعرَبَته؛ فصار عربياً بتعربيها؛ فهي عربية في هذه الحال، أعمامية الأصل؛ فهذا القول يصدق الفريقين جمِيعاً»^(٢).

١- الإتقان ٢/١٠٨ وانظر العرب للجواليقي ص ٦.

٢- العرب ص ٦.

ولعل هذا الرأي هو الأقرب للصواب؛ فمن قال في كلمة سرادق -على سبيل المثال-: إنها فارسية؛ بمعنى أنها انحدرت إلى العرب من الفرس فهو مصيبة، ومن قال: إنها عربية؛ بمعنى أن العرب كانت تعرفها، وتستعملها قبل نزول القرآن الكريم، والقرآن نزل بلغة تفهمها العرب - فهو مصيبة كذلك.

رابعاً: المؤلفات في المغرب: من العلماء من أفرد هذا الموضوع بمؤلف خاص، ومن الكتب المؤلفة في هذا ما يلي :

١- المُعَرَّب: لأبي منصور الجواليقي ت ٤٥٠ هـ فهذا الكتاب أقدم وأشهر مؤلف في هذا الباب.

وكان الغرض من تأليفه جمع الألفاظ المعربة؛ حيث ساق فيه مؤلفه جملة من الألفاظ التي يرى أنها معربة، وتحدث في المقدمة عن الخلاف في المغرب، وعن مذاهب العرب فيه، وعن العلامات التي يعرف بها الأعجمي من الألفاظ.

وقد قال عنه السيوطي رحمه الله: «وقد ألف في هذا النوع الإمام أبو منصور الجواليقي كتابه (المغرب) في مجلد واحد، وهو حسن مفيد، وقد رأيت عليه تعقباً في عدة كراريس»^(١).

والكتاب مطبوع، ولعل من أفضل طبعاته طبعة دار الكتب العلمية بيروت تعليق: خليل عمران المنصور، ويقع في ١٧٦ صفحة، وهو مرتب على حروف المعجم.

٢- في التعرير والمغرب: وهو المعروف بـ(حاشية ابن بري على كتاب

(المغرب) لابن الجواليقي.

وهذا الكتاب مصنف صغير عَرَض فيه ابن بري لكتاب (المغرب) للجواليقي، فتعقب أقواله، فأورد حواشيه عليه منسوبة على حروف المعجم؛ حيث درج فيها على إيراد قول الجواليقي، ثم يعقبها مصححاً تارة، ومضيفاً تارة أخرى.

وقد قدم لهذه الحواشي بنبذة يسيرة في طرائق التعريب عند العرب، وكيف تصرفوا في الأعجمي.

والمؤلف من أهل القرن الخامس حيث توفي سنة ٤٩٩ هـ.

والكتاب خرج بعنابة وتعليق د. إبراهيم السامرائي.

٣- المذهب فيما وقع في القرآن من المغرب : للسيوطى جملته .

وقد لخص فوائده في كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

هذه أشهر الكتب في المغرب، وأما الكتب التي تكلمت عليه ضمن موضوعات أخرى فكثيرة، ككتاب الصاحبي لابن فارس؛ حيث تكلم على المغرب في عدة أبواب خصوصاً في (باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن). وكذلك السيوطى في كتابه المزهر، والإتقان؛ فقد أفرد النوع التاسع عشر من المزهر في (معرفة المغرب).

وعقد باباً من كتابه (الإتقان في علوم القرآن)؛ وهو (الباب الثامن والثلاثون : فيما وقع بغير لغة العرب).

- خامساً: علامات العجمة أو المعرب^(١):** قال أئمة العربية تعرف عجمة الاسم بوجود علامات منها:
- ١- **النقل:** وذلك بأن ينسل عن أحد أئمة العربية كالأصمسي أو غيره بأن هذه الكلمة ليست عربية.
 - ٢- **مخالفـة الكلمة للأوزان العربية:** وذلك بأن يخرج الاسم عن أوزان الأسماء العربية، نحو إبريسـم؛ فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي.
 - ٣- أن يكون أوله نون ثم راء: نحو: نرجـس؛ فإن ذلك لا يكون في الكلمة عـربية، وكذلك (نرسـ) و (نورـجـ) و (نرسـيـانـ) و (نـرـجـهـ).
 - ٤- أن يكون آخره زاياً بعد دال: نحو: مهندـزـ؛ فإن ذلك لا يكون في الكلمة عـربية.
 - ٥- أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم: نحو: الصوـلـجانـ، والـجـصـ، والـصـنـجـقـ.
 - ٦- أن يجتمع في الكلمة الجيم والقاف: نحو: المنـجـنيـقـ.
 - ٧- خلو الكلمة الرباعية أو الخامسة من أحـرـفـ الذلاـقةـ: وسميت بذلك - كما مر في الحديث عن صفات الحروف ومحارجـها - خروـجـ بعضـهاـ منـ ذـلـقـ اللـسـانـ - أي طـرفـهـ - وخرـوجـ بعضـهاـ منـ ذـلـقـ الشـفـةـ.
- وهي مجموعة في قولـكـ: (مـُرـّـبـنـفـلـ)؛ فإـنهـ متـىـ كانـ الـلـفـظـ عـرـبـيـاـ فلاـ بدـ أنـ

١- انظر المـعـربـ صـ ١١-١٠ ، والمـهـرـ ١٢٧١-٢٧٠ / ٢٠٠٠-٢٠٧ـ ، وتـارـيخـ آدـابـ الـعـربـ ١

يكون فيه شيء منها نحو: سفرجل، وقدعمل، وقرطع، وجحمرش؛ فإذا جاءك مثل خماسي، أو رباعي بغير حرف أو حرفين من أحرف الذلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم - أي العرب - مثل: (عفجش) و(خطائج).

٨- اجتماع الباء، والتاء، والسين: مثل: بستان.

٩- اجتماع الجيم والطاء: نحو: الطاجن، والطيجن.

١٠- يندر اجتماع الراء مع اللام إلا في ألفاظ ممحورة: مثل: ورل.

١١- لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليل: ولذلك أبي البصريون أن يقال بغداد.

١٢- مجيء الشين بعد اللام: قال ابن سيده في الحكم: ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة؛ الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات.

١٣- الدراسات التاريخية والبحوث العلمية: فبذلك يمكن القول: إن هذا الحيوان، أو النبات، أو الدواء ليس موجوداً في جزيرة العرب، وبذلك نعرف أن الكلمة ليست بعربية.

هذا وقد وجد الباحثون بعد الاستقصاء أن أكثر ما دخل العربية من أسماء المعبودات والمصطلحات فهو من الهيروغليفية، والحبشية، والعبرانية، وذلك كألفاظ الحج، والكافن، وعاشوراء من العبرانية.

وأما أسماء العقاقير والأطیاب فأكثرها هندي كالمسك؛ فإنه في اللغة السنسكريتية (مشكا) والزنجيل فهو فيها (زنجابير).

وأكثر ما يكون من أسماء الأطعمة والثياب والفرش، والأسلحة،

والأدوات، والملابس، والأواني فهو من الفارسية.

سادساً: دوافع التعریب: أشار بعض العلماء إلى ذلك دون ذكر مباشر له، وذلك كصنیع السیوطی في المزہر^(١).

ومن خلال ذلك يمكن أن تُلمس الأسباب التي دفعت العرب إلى التعریب، والتي منها:

١- الحاجة أو الضرورة: وذلك كالأسماء التي تفرد بها غير العرب كالفرس من دون العرب؛ فاضطررت العرب إلى تعریبها أو تركها كما هي.

وذلك كثير، ومن أمثلته ما يلي:

أ - من الأواني: الكوز، الجرة، الإبريق، الطشت، الخوان، الطبق، القصعة، السُّكْرَجَة.

ب - من الملابس: الخز، الديباج، السنديس.

ج - من الجواهر: الياقوت، الفيروزج، البُلُور.

د - من ألوان الخبز: الكعك، الجردق، السميد، أو السميد.

ه - من الرياحين وما يناسبها: النرجس، البنفسج، النُّسرين، الياسمين.

و - من الطيب: المسک، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل.

٢- الإلغاز والإغراب: قال السیوطی: «قال ابن درید في الجمهرة: باب ما تكلمت به العرب من کلام العجم حتى صار كاللغز، وفي نسخة حتى صار كاللغة»^(٢).

١- انظر المزہر ٢٧٥/١، ٢٨٥، وانظر فقه اللغة د. واپی ص ١٥٤-١٦٠.

٢- المزہر ٢٧٩.

ثم ساق لذلك أمثلة، منها: الدَّشت: وهي الصحراء، والبُوسي: السفينة، والأرندَح: الجلود التي تدبغ بالعُفص، والقِبْرُوانُ: الجماعة، وأصلها كاروان^(١).
٣- الإعجاب وخفة اللُّفْظ الأعجمي: وذلك بأن يعجب العرب بلفظة أعمجية، ثم يعمدون إلى تعربيها.

وربما كان اللُّفْظ الأعجمي خفيفاً، فلهذا يستعمله العرب، وربما تناسوا اللُّفْظة العربية أو أهملوها.

مثل: الباذنجان كان يسمى الحَدْج، ومع ذلك غالب؛ للإعجاب بما هو غريب.
وكذلك اللوبيا شاعت وأهمل: الدَّجَرَ.
وكذلك الإبريق في لغة العرب يسمى التأمورة.
والتوت يسمى: الفُرْصاد، والأترج يسمى: المُثْك، والياسمين كان يسمى بالعربية: السُّمسق.

سابعاً: الألفاظ المعربة في القرآن: ذكر السيوطي رحمه الله في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) ألفاظاً عديدة، وذكر من قال بأنها معربة من العلماء، وقال في نهاية الحديث عنها بعد أن رتبها ترتيباً ألقائياً: «فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين، ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا»^(٢).

١- انظر المزهر ٢٧٩/١

٢- الإتقان ١١٩/٢

ثم قال : « وقد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في أبيات ، وذيل عليها الحافظ أبو الفضل بن حجر أبيات فيها أربعة وعشرون لفظاً وذيلت عليها بالباقي ، وهو بضع وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة ، فقال ابن السبكي :

روم وطوبى وسجىل وكافور
استبرق صلوات سندس طور
ق دينار والقطاس مشهور
ويؤت كفلين مذكور ومسطور
فيما حكى ابن دريد منه ثئور

السلسبيل وطه ك ورت بيئ
والزنجبيل ومشكاة سرادق مع
كذا قراطيس رئانبيهم وغسا
كذاك قسنورة واليم ناشئة
له مقاليد فردوس يُعد كذا

السرى والأب ثم الجبت مذكور
دارست يصهر منه فهو مصهور
وأوسي معه والطاغوت مسطور
ثم الرقيم مناصن والنسنا النور

وزدت حرم ومهل والسجل كذا
وقطنا وإناء ثم متئتا
وهيت والسكر الأواه مع حصب
صرهن إصري وغيض الماء مع وزير
وقلت أيضاً :

ت ثم سينين شطر البيت مشهور
جان ويم مع القنطرار مذكور
ء والأرائك والأكواب ماثور
هون يصدون والثسأة مسطور

وزدت يس والرحمن مع ملكو
ثم الصراط ودرى يحور ومرز
وراعنا طفقا هدنا ابلعي وورا
هود وقسط وكم رمز سقر

رِئُونَ كَثْرَ وَسَجِينَ وَتَبِيرَ
 إِلَّا مَنْ تَحْتَهَا عَبَدَتْ وَالصُّورَ
 جَاهَ وَسَيِّدَهَا الْقِيَوْمُ مُوقَوْرَ
 وَسَجَدَ أَشْمَ رِئِيونَ تَكْثِيرَ
 عَدَنَ وَمَنْفَطِرُ الْأَسْبَاطِ مَذْكُورَ
 مَا فَاتَ مِنْ عَدَدِ الْأَلْفَاظِ مَحْصُورَ
 وَالآخِرَةُ لِعَانِي الْضَّدِّ مَقْصُورٌ^(١)

شَهْرُ مَجْوَسٍ وَاقْفَالِ يَهُودٍ حَوا
 بَعِيرٌ آزْرُ حُوبٌ وَرَدَّةُ عَرِمَ
 وَلِيَنَةُ فُومُهَا رَهْفُوا وَأَخْلَدَ مَنْ
 وَقْمَلٌ ثُمَّ أَسْفَارُ عَنِي كَتَبَأَ
 وَحْطَةُ وَطْوَى وَالرَّسُّونُ كَذَا
 مَسْكُ أَبَارِيقَ يَا قَوْتُ رُووَا فَهَنَا
 وَبَعْضُهُمْ عَدَ الْأُولَى مَعَ بَطَانَهَا

ثامناً: طريقة العرب في التعامل مع الألفاظ الأعجمية: للعرب طريقة في التعامل مع الألفاظ الأعجمية، وقد بين ذلك العلماء الذين تكلموا على العرب، ويأتي على رأس أولئك أبو منصور الجواليقي رحمه الله حيث عقد في كتابه باباً تحت عنوان: (باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي). وتحت هذا العنوان بين هذه المذاهب بقوله: «اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها.

فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا.
 وربما أبدلوا ما بعد مخرجـه - أيضـاً-.
 والإبدال لازم؛ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس من حروفهم.
 وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب.

وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف ، أو زيادة حرف ، أو نقصان حرف ، أو لإبدال حركة بحركة ، أو إسكان متحرك ، أو تحريك ساكن . وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه .

فمما غيروه من الحرف ما كان بين الجيم والكاف ، وربما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً ، وربما جعلوه قافاً ، لقرب القاف من الكاف ، قالوا : (كُرْبَج) وبعضهم يقول : (قربق) .

قال أبو عمرو : سمعت الأصممي يقول : هو موضع يقال له : (كُرْبَك) قال : يريدون (كربيج) .

قال سالم بن قحفان في (قربق) :

ما شربت بعد طوى القريق من شربة غير النباء الأدفق
وكذلك يقولون : (كيلجة) و(كيلقة) و(وقيلقة) و(جريز) للكربيز و(حورب)
وأصله : (كورب) و(موزج) وأصله (موزة).
وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً.

وربما أبدلوه باءً ، قالوا : (فالود) و (فرند) وقد قال بعضهم (برند) .
وأبدلوا السين من الشين ، فقالوا للصحراء : (دست) وهي بالفارسية :
(دشت) .

وقالوا : (سراويل) و (إسماعيل) وأصلها (شروال) و (إشماعيل) وذلك
لقرب السين من الشين في الهمس .

وأبدلوا اللام من الزاي في (قفشليل) وهي المغرفة ، وأصلها (كفلجلاز)

وجعلوا الكاف منها قافاً، والجيم شيئاً، والفتحة كسرة، والألف ياء.

وما أبدلوا حركته (زور) و (آشوب).

وما أحقوه بأبنائهم: (درهم) أحقوه بـ (هجرع) و (بهرج) أحقوه بـ (سلهب)
و (دينار) أحقوه بـ (دياس) و (إسحاق) بـ (إيهام)، و (يعقوب) بـ (يربوع)،
و (جورب) بـ (كوب)، و (شبارق) بـ (عدافر)، و (رُزداق) بـ (قرطاس).

وما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا (إيرسم) و (إرافيل) و (فيروزو)
و (قهرمان) وأصله (قرمان).

وما تركوه على حاله فلم يغيروه (خرسان) و (خرم) و (كركم).

قال أبو عمر الجرمي: وربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها.

وأنشد عن أبي المهدى :

طوال الليالي أو يزول ظبيـرـ	يقولون لي شـبـيدـ وـلـسـتـ مشـبـنـداـ
وـبـسـتـانـ في صـدـري عـلـيـ كـبـيرـ	وـلـاـ قـائـلاـ رـوـذاـ لـيـعـجـلـ صـاحـبـيـ
وـلـوـ دـارـ صـرـفـ الدـهـرـ حـينـ يـدـوـرـ	وـلـاـ تـارـكـاـ لـخـنـيـ لـأـخـسـنـ لـخـنـيـمـ

(شبند) يريدون (شون بوذى)

(زود) (اعجل) و (ستان) (خذ).

قال: وإذا كان حكى لك في الأعجمية خلاف ما العلامة عليه فلا ترنه
تخليطاً؛ فإن العرب تخلط فيه، وتتكلم به مخلطاً؛ لأنه ليس من كلامهم، فلما
اعتنتوه وتكلموا به خلطاً.

وكان الفراء يقول: يبني الاسم الفارسي أي بناءً كان، إذا لم يخرج عن أبنية

العرب.

وذكر أبو حاتم: أن رؤبة بن العجاج والفصاء، كالأشعى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية؛ ل تستطرف، ولكن لا يستعملون المستطرف، وربما يُصرّفونه، ولا يشتقون منه الأفعال، ولا يرمون بالأصلبي، ويستعملون المستطرف، وربما أضحكوا منه، كقول العدوي:

أنا العربيُ البَلَكُ

أي: النقي من العيوب.

وقال العجاج:

كما رأيتَ في الملاِءِ البرْدَجاً

وهم السبي، ويقال لهم بالفرسية (بَرْدَه) فأراد القافية^(١).

تاسعاً: التعريب عند المحدثين^(٢): بحث المحدثون موضوع التعريب،

وكانوا في ذلك على فريقين:

الأول: منعوا فتح باب التعريب؛ بحججة المحافظة على العربية.

والفريق الآخر: أجازوا ذلك، وقالوا: إنه لا بد من مواجهة الحديث، وبهذا تكون المحافظة الحقة على العربية؛ إذ ترك التعريب فيه حجر على اللغة، ومن ثم يصدق عليها قول من يصيّها بأنها ميتة.

وقالوا - أيضاً: إن التعريب من أساليب تنمية اللغة، ودلالة سعتها،

واستيعابها.

١- العرب ص ٩-٧.

٢- انظر من أسرار اللغة ص ١٣١ ، وفقه اللغة د. وفي ص ١٥٩ و ١٦٠-١٨٤ ، وفقه اللغة د.

إميل يعقوب ص ٢٢٠-٢٣٠.

وبعد دراسات طويلة توصل مجتمع اللغة العربية في مصر إلى جواز التعريب، وأجمعوا على أن العربيّ أولى وأفضل من المُعَرب، ووضعوا للتعريب شروطاً منها:

- ١- أن يكون اللفظ المُعَرب مما تحتاج إليه تمام الاحتياج.
- ٢- أن يكون على مقاييس العرب، فلا بد من إخضاعه على العربية من الناحية الصوتية والصرفية.

وإليك نص قرار المجمع بهذا الصدد: «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»^(١).

عاشرًا: معوقات التعريب: لا ريب أن للتعريب حسناً، ولكن يقف دونها عقبات ، منها :

- ١- تشتبث الجهد: وذلك كتعدد المجامع؛ فقد تختلف بعض المصطلحات من مجمع إلى مجمع ومن باحث إلى آخر.
- ٢- فقدان التطبيق: فقد تتفق المجامع على شيء، ثم لا يلتزم به، ولا يستعمل في الكتابة ، والتأليف.
- ٣- التأخر في تعريب المصطلحات: وذلك عندما يفكرون في تعريب مصطلح شاع منذ عشرات السنين، مثل: كمبيوتر، وليموزين، ونحوها؛ فالمتعين أن يفكرون في المصطلح قبل شيوخه ، أو في بداية استعماله ، فيوجد له اسم مناسب ، قبل أن يسبق عليه الاسم الجديد.

١- انظر مجلة المجمع ٣٢/١ و ١٩٩-٢٠٢ ، وانتظر فقه اللغة د. وفي ص ١٥٩.

٤- نقل المصطلحات الجديدة دون تحري الدقة: فقد تُعرَّب بعض الألفاظ من قبل بعض الكتاب دون أن ينظر إلى معناها الحقيقي؛ فتشيع في الناس، ويكون له أثر فكري.

وذلك مثل (العلمانية) فمعناها الحقيقي (اللادينية) لأن أوربا إبان إطلاق هذا المصطلح كانت تفرق بين العلم والدين؛ فالدين - في نظرهم - يقف أمام العلم. وهذا يصدق على دين الكنيسة المنحرف.

أما بالنسبة للإسلام فإنه دين العلم حقاً؛ فلما نقل هذا المصطلح اكتسب مدحأً بصفته يدعو إلى العلم.

وكذلك كلمة (إرهاب) حيث شاعت في الناس، ولم يحدد معناها المراد؛ فصار يُلبس على من يشاؤه القوي، ويتزع عنمن يشاوئه؛ بغض النظر عن مصداقية ذلك.

الفصل الثاني: المشترك، والمتضاد، والمترادف

وتحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المشترك.

المبحث الثاني : المتضاد.

المبحث الثالث : المترادف.

الفصل الثاني

المشترك، والمتضاد، والمترادف

المبحث الأول: المشترك

ويقال له الاشتراك -أيضاً- والبحث فيه سيكون في المسائل التالية:
أولاً: تعريفه:

في اللغة: من الفعل اشتراك يشترك ، والمصدر اشتراك ، والمشترك اسم المفعول.
وفي الاصطلاح: عرف بعدة تعاريفات قريبة من بعض :

- أ - عرفه الجرجاني رحمه الله بقوله: «المشترك ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير»^(١).
- ب - وقال عنه ابن فارس رحمه الله: «تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: (عين الماء) و (عين المال) و (عين السحاب)»^(٢).

ج - وعرفه ابن تيمية رحمه الله بقوله: «أن يكون اللفظ دالاً على معنيين من غير
أن يدل على معنى مشترك بينهما»^(٣).

د - وقال السيوطي رحمه الله: «وقد حدد أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال
على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»^(٤).

١- التعريفات ص ٢١٥.

٢- الصاحبي ص ٥٩.

٣- مجموع الفتاوى ٢٢٧/٢٠ ولو قال على معنيين أو أكثر لكان أولى.

٤- المزهر ٣٦٩/١.

هـ - وي يكن أن يعرف بتعريف مختصر فيقال: هو ما اتحد لفظه ، و اختلف معناه.

ثانياً: الخلاف في وقوعه: اختلف الناس في اللفظ المشترك ، هل له وجود في اللغة؟ فأثبته قوم ، ونفاه آخرون ، ولكل منهم أدلة .

وقد نقل هذا الاختلاف جمع من أهل العلم ، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال بعد أن ذكر حد المشترك: « فمن الناس من ينazuء في وجود معنى هذا في اللغة الواحدة التي تستند إلى وضع واحد ، ويقول : إنما يقع هذا في وضعين كما يسمى هذا ابنه باسمٍ ، ويسمى آخر ابنه بذلك الاسم »^(١) .

ونصه هذا يوحى بأنه قائل بواقع المشترك ، وهذا ما يؤكده قوله في موضع آخر : أن « الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متبائناً وهي المشتركة اشتراكاً لفظياً ، كلفظ سهيل المقول على الكوكب وعلى الرجل »^(٢) .

وقال السيوطي رحمه الله : « و اختلف الناس فيه؛ فالأكثرون على أنه ممكن الوجود؛ لجواز أن يقع إما من واضحين؛ بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنىًّا ، ثم يضعه الآخر لمعنىًّا آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنين ، وهذا على أن اللغات غير توقيفية .

وإما من واضح واحد؛ لغرض الإبهام على السامع؛ حيث يكون التصريح سبيلاً للمفسدة ، كما روي عن أبي بكر رضي الله عنه وقد سأله رجل عن النبي صلوات الله عليه وسلم وقت ذهابهما إلى الغار : من هذا؟ قال : هذا رجل يهديني السبيل .

١- مجموع الفتاوى ٢٠/٢٢٧ .

٢- مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣٤ .

والأكثرُونَ -أيضاً- على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ.
ومن الناس من أوجب وقوعه - قال: لأن المعاني غير متناهية والألفاظ
متناهية، فإذا وزع لزم الاشتراك.

وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب، قال: لأن الحروف بأسرها مشتركة
بشهادة النحاة، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاة، والمضارع كذلك،
وهو -أيضاً- مشترك بين الحال والمستقبل، والأسماء كثيرة فيها الاشتراك؛ فإذا
ضممناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب.

ورد بأن أغلب الألفاظ الأسماء، والاشتراك فيها قليل بالاستقراء، ولا
خلاف أن الاشتراك على خلاف الأصل^(١).

والمتأمل للخلاف في المشترك يجد أنه ما كان ينبغي أن يتسع فيه، ويشقق
القول؛ لأنهم جميعاً متفقون على وجود ألفاظ في اللغة قد استعملتها العرب في
الدلالة على معانٍ مختلفة بغض النظر عن كيفية وجودها مثل لفظ (العين) فهي
بلغظتها قد استعملت لمعانٍ كثيرة، وكذلك غيرها من الألفاظ التي سأأتي ذكر
بعضها.

وهذا الاستعمال كافٍ في إثبات المشترك؛ لذلك فإن الذي عليه أكثر المتقدمين
من اللغويين - هو القول بالاشراك.

أما نقل الكلام إلى الحديث عن النشأة الأولى للمشترك، وهل يكون أصلاً في
الوضع أو لا؟ وما يتربّع على ذلك من أن المخاطبة باللفظ المشترك لا تفيد فهم

١- المزهر ٣٦٩/١، ٣٧٠-٣٦٩، وانظر الصاحبي ص ٥٩-٦٠، وفقه اللغة د. وافي ص ١٤٥-١٤٨.

المقصود على التمام، وما كان كذلك يكون منشأً للمفاسد - فهو خروج من الواقع اللغوي، وخوض في مسألة نشأة اللغة التي لم يتوصل فيها إلى رأي علمي قاطع^(١). ثالثاً: أمثلة من المشترك: أورد السيوطي رحمه الله في المزهر أمثلة كثيرة من المشترك^(٢)، ومنها:

- ١- **العم**: أخو الأب، والعم: الجمع الكثير، قال الراجز:
يا عامر بن مالك يا عمما
أفنيت عمما وجبرت عمما
فالعم الأول: أراد به عمه، والعم الثاني: أراد أفنيت قوماً، وجبرت آخرين.
- ٢- **النوى**: يطلق على الدار، والنية، والبعد.
- ٣- **الأرض**: وتطلق على الأرض المعروفة، وعلى كل ما سفل، وعلى أسفل قوائم الدابة، وعلى النفقة، والرّعدة، وغيرها.
- ٤- **الهلال**: هلال السماء، وهلال الصيد، وهلال النعل وهو النؤابة، والهلال: الحية إذا سلخت، والهلال: باقي الماء في الخوض، والهلال: الجمل الذي أكثر الضّراب حتى هزل.
- ٥- **العين**: وتطلق على معانٍ كثير جداً، تكاد تكون أكثر ما في هذا الباب؛ فتطلق على: النقد من الدرّاهم والدنانير، وعلى مطر أيام لا يقلع يقال: أصاب أرض بني فلان عين، وعلى عين الماء، وعين البركة، والعين التي تصيب الإنسان، وعلى فم القرية، وعلى عين الشمس، وعلى الجاسوس، وعلى الباصرة.

١- انظر الدراسات اللغوية وال نحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٩.

٢- انظر المزهر ١/٣٧٠-٣٨٦، وانظر معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية لعبدالحليم محمد قنبرس.

٦- الحال: يطلق على أخي الأم، والمكان الخالي، والعصر الماضي، والدابة، والخيلاء، والشامة في الوجه، والسحاب، والظن، والتوهם، والرجل المتكبر، والرجل الججاد.

رابعاً: لطائف من المشترك: هناك أبيات من الشعر تضمنت الفاظاً من المشترك.

قال السيوطي: «قال أبو الطيب اللغوي: أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنسدنبي أبو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحِرماني للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها، ويختلف معناها:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب	أتبعُهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كضيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاخي الغروب	

فالغروب الأول غروب الشمس، والثاني جمع غرب: وهو الدلو العظيمة الملوءة، والثالث جمع غرب: وهي الوهاد المنخفضة.

وأنشد سلامة الأنباري في شرح المقامات:

لقد رأيت هذريا جلسا يقود من بطن قدید جلسا	ثم رقى من بعد ذاك جلسا يشرب فيه لبناً وجلسا
ولا يؤمّون لهم جلسا مع رفقة لا يشربون جلسا	

جلس الأول: رجل طويل، والثاني: جبل عالٍ، والثالث: جبل، والرابع: عسل، والخامس: خمر، والسادس: نجد»^(١).

ومن لطائف المشترك أنه داخل عند البلاغيين في علم البديع في باب الجناس التام ، كما في الآيات السابقة ، وهو داخل - كذلك - في باب التورية .

خامساً: العلاقة بين المشترك والمتواطئ: من الحديث عن المشترك ، وأنه ما اتحد لفظه ، واحتل مختلف معناه .

والمشترك يوافق المتواطئ في شقه الأول من جهة كونه لفظاً واحداً يطلق على معان ، ويختلف في شقه الثاني وهو كون هذه المعاني مرتبطة بمعنى عام . ولمزيد من إيضاح العلاقة والفرق بين المشترك والمتواطئ هذا عرض يسير لتعريف المتواطئ ، وبيان الفرق الدقيق بينه وبين المشترك .

فالاسم المتواطئ يُعرف بأنه : هو الاسم الواحد الذي يقال من أول ما وضع له على أشياء كثيرة ، ويدل على معنى واحد يعمها^(١) .

ويعرفه الجرجاني بقوله : «المتواطئ : هو الكلي الذي يكون حصول معناه ، وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية كالإنسان والشمس ؛ فإن الإنسان له أفراد في الخارج ، وصدقه عليها بالسوية ، والشمس لها أفراد في الذهن وصدقه عليها - أيضاً - بالسوية»^(٢) .

ويقول ابن تيمية بخت الله معرفاً بهذا القسم من الألفاظ : «الأسماء المتواطئة : وهي جمهور الأسماء الموجودة في اللغات ، وهي أسماء الأجناس اللغوية ،

١- البحث الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي لرجاء الرفاعي رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ص ١٨٤ ، وانظر الدراسات اللغوية ص ١٦٥ .

٢- التعريفات ص ١٩٩ .

وهي الاسم المطلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين ، أو اسم صفة جامدةً أو مشتقاً...

كلها أسماء متواطئة ، وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة»^(١).

ويقول : «الأسماء المتفقة في اللفظ... قد يكون معناها متفقاً وهي المتواطئة»^(٢).

وقال في محاورته لابن المرحل^(٣) - رحمهما الله - عندما بين جواز إطلاق لفظ (المتواطئ) و (المشترك) على اللفظ الواحد ، ولكن من جهتين مختلفتين ، فتساءل ابن المرحل كيف يكون هذا؟

فأجابه ابن تيمية بقوله : «المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر؛ وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك ، وقدر مميز ، واللفظ يطلق على كل منهما - فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كُلُّ ماهيَّة عن الأخرى؛ فيكون مشتركاً كالاشتراك اللفظي ، وقد يكون مطلقاً باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين؛ فيكون لفظاً متواطئاً.

مثال ذلك (اسم الجنس) إذا غالب في العرف على بعض أنواعه كلفظ (الدابة) إذا غالب على (الفرس) قد نطلقه على الفرس باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب ، فيكون متواطئاً ، وقد نطلقه باعتبار خصوصية الفرس؛ فيكون مشتركاً بين خصوصية الفرس وعموم سائر الدواب ، ويصير استعماله في

١- انظر مجموع الفتاوى ١٢٣/٣-١٢٩.

٢- مجموع الفتاوى ٢٠/٢٤٢.

٣- من كبار فقهاء الشافعية ت ٧٣٨.

الفرس تارة بطريق التواطؤ ، وتارة بطريق الاشتراك»^(١).

ولعل التمييز بين التواطئ والمشترك قد لاح ، وهو أن الأسماء المتواطئة تشترك في اللفظ والمعنى.

أما المشتركة فإنها متفقة اللفظ مختلفة المعنى ، وهذا ما يؤكده ابن تيمية بقوله : «الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متفقاً وهي المتواطئة ، وقد يكون معناها متباعدة وهي المشتركة اشتراكاً لفظياً كلفظ سهيل المقول على الكوكب ، وعلى الرجل»^(٢).

ولزيادة الإيضاح ولأجل أن يُميز بين المشترك والتواطئ فهذان مثالان على ذلك ، الأول : العين تطلق على عدة معانٍ مختلفة ، فهذا مثال للمشترك ، وقد مرت أمثلة عديدة من ذلك.

والمثال الثاني : لفظ (الوجود) فهو يطلق على وجود الخالق وعلى وجود المخلوق ، فمعنى الوجود - بمفهومه العام - واحد من جهة كونه ضد عدم ، ولكنه يختلف من جهة إضافته فهذا مثال للتواتط.

وبناءً على ذلك يمكن أن يقال : إن المشترك ما اتحد لفظه وخالف معناه ، والتواتط هو ما اتحد لفظه ومعناه ، ولكنه يختلف باختلاف السياق والإضافة.

١- مجموع الفتاوى ١١/٨٣.

٢- مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣٤ ، وانظر الدراسات اللغوية وال نحوية ١٦٥-١٦٧ ففيها تفصيل جيد.

المبحث الثاني: المتضاد

المتضاد نوع من المشترك، ويقال له: الأضداد، والتضاد.

أولاً: تعريفه:

أ - المتضاد في اللغة: أصل المادة: ضَدَّ: وضد الشيء خلافه، والجمع أضداد، وقد ضاده فهما متضادان، والتضاد مصدر^(١).

ب - وفي الاصطلاح: ١- هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين.
مثاله: الجنون: يطلق على الأسود، والأبيض.

٢- وهناك تعريف آخر وهو: الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد.

٣- وقال ابن فارس رحمه الله: «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد»^(٢).

٤- وقيل: هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده^(٣).

ثانياً: الفرق بين المشترك والمتضاد: ١- أن المشترك أعم من المتضاد؛ فالمتضاد نوع منه، فكل متضاد مشترك، ولاعكس.

٢- أن المشترك يدل على عدة معان، ولا يلزم أن تكون متضادة.
أما المتضاد فيدل على معنيين، ولا بد أن يكونا متضادين.

١- انظر لسان العرب مادة ضدد ٢٦٣/٣-٢٦٤.

٢- الصحابي ص ٦٠.

٣- انظر فقه اللغة د. وافي ص ١٤٨.

فمثلاً: كلمة (العين) تدل على معانٍ عديدة، ولا يلزم منها التضاد؛ فهي بهذا الاعتبار مشتركة، لا متضادة.

وكلمة الغابر: تطلق على الماضي وتطلق على الباقي؛ فهي بهذا الاعتبار متضاد؛ لأنها دلت على معنيين متضادين.

ثالثاً: **كيف يفهم المراد من اللفظ إذا كان متضاداً؟**
يفهم من خلال السياق، مثال ذلك كلمة: (جلل) فهي تدل على الشيء العسير الحquier، وتدل على الشيء العظيم.

فمن الأول: قول لبيد رضي الله عنه:

كل شيء ما خلا الله جل جلاله
والفتى يسعى ويلهيه الأمل

ومن الثاني قول الشاعر:

فبما رميته يصيبني سهمي
قومي هُم قتلوا أميمَ أخي
ولئن سطوت لأوهمن عظمي

فلئن عفوت لأعفون جللاً

فمن خلال سياق الكلام في البيت الأول نعلم أن المقصود بـ: (الجلل) : الأمر العسير الحquier، ومن خلال السياق في البيتين الآخرين نعلم أن المقصود بقوله: (جللاً) أنه الأمر العظيم؛ لأن الإنسان لا يفخر بصفحة عن ذنب حquier يسير وهكذا...^(١)

وهذا ما أجاب به ابن الأباري عن اعتراض من اعترض على وجود الأضداد؛ حيث قال رحمه الله: «ويظن أهل البدع والزيغ، والإزراء بالعرب أن ذلك

١ - انظر الأضداد لابن الأباري ص ١-٢.

كان منهم؛ لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم؛ فيسألون عن ذلك، ويحتاجون بأن الاسم منبئٌ عن المعنى الذي تحته، ودالٌّ عليه، وموضحٌ تأويلاً، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى.

فأجibوا عن هذا الذي ظنوه وسائلوا عنه بضرورب من الأجوية :

أحدُهنْ : أن كلام العرب يصح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بأخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه؛ فجاز وقوع اللفظة على المعنين المتضادين؛ لأنها يتقدمها، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنىًّا واحداً^(١).

ثم ضرب مثالاً لذلك، وهو من الأبيات الآنفة الذكر.

وضرب أمثلة أخرى من القرآن الكريم فقال: «وقال الله -عز وجل- وهو أصدق قيل: ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ أراد الذين يتيقنون ذلك؛ فلم يذهب وهم عاقلٍ إلى أن الله -عز وجل- يمدح قوماً بالشك في لقائه»^(٢).

رابعاً: الخلاف في وقوع الأضداد:

اختلاف العلماء في وقوع الأضداد:

١- الأضداد ص ٣

٢- الأضداد ص ٣

- ١- فمنهم من قال بإمكان وقوعها، وعداً وضعاً في مأثور القوانين اللغوية، والمواضيع الاصطلاحية؛ وذلك لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية. وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير.
- ومن هؤلاء: الأصمسي، وأبو عبيدة، وابن السكري، وقطرب، وابن فارس، وابن الأنباري وغيرهم - رحمهم الله - .
- ٢- ومنهم من أنكر الأضداد، وتأنول ما ورد منها في اللغة، ونصوص العربية. وأشهر هؤلاء: ابن درستويه رحمه الله فإن له مصنفاً في إبطال الأضداد.
- قال السيوطي رحمه الله: «قال ابن درستويه في شرح الفصيح: النوع: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء: إذا طلع.
- وزعم قوم من اللغويين أن النوع السقوط - أيضاً - وأنه من الأضداد.
- وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد. انتهى.
- فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه من ذهب إلى إنكار الأضداد، وأن له في ذلك تأليفاً ^(١).
- ٣- ومنهم من قال بوجود الأضداد إلا أنهم عدوها من جهة للعرب، ومثلية من مثالهم، واتخذوها دليلاً على نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم، وزعموا أن ورودها في كلامهم كان سبباً في كثرة الالتباس عند المخاطبات.
- وهؤلاء هم الشعوبية، أو من يسمونهم ابن الأنباري (أهل البدع والزيف والإزراء بالعرب).

وقد مر في الفقرة الماضية رده عليهم.

ومن رد على هؤلاء ابن فارس حيث قال: « وأنكر ناس هذا المذهب ، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضنه .

وهذا ليس بشيء؛ وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهندأ ، والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد .

وقد جرّدنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ، ونقشه؛ فلذلك لم نكرره »^(١) .

٤ - ومنهم من قال بوقوعه ، وأنكر على من تعسف في إنكاره ، غير أنه يرى أن وروده لم يكن بتلك الكثرة التي ذهب إليها من يراه بإطلاق؛ ذلك أن كثيراً من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب .

ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللفظ في ضد ما وضع له مجرد التفاؤل كالمجازة في المكان الذي تغلب فيه الهرولة؛ فقد سميت بذلك تفاؤلاً ، وكالسليم للملدوغ ، وكالربان والنائل للعطشان .

وفي بعضها قد استعمل اللفظ في ضده مجرد التهكم ، أو لانتقاء التلفظ بما يُكره التلفظ به ، أو بما يمجه الذوق ، أو بما يؤلم المخاطب .

وذلك كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق ، والخفيف على الثقيل ،

وهكذا ...

وقد مال إلى هذا الرأي بعض المحدثين كالدكتور علي عبدالواحد وافي^(١). خامساً: المؤلفات في الأضداد: حاول العلماء حصر كلمات الأضداد، وجمعها من كلام العرب في شعرهم وترثهم، وفيما ورد منها في القرآن، والحديث، ثم أفردوها بالتأليف والتصنيف، وأصبحت مصدرًا أصيلاً من مصادر المعجمات.

ومن ألف في الأضداد - كما ذكر السيوطي^١ - قطرب^٢، والتوزي^٣، وأبو البركات ابن الأنباري، وابن الدهان، والصفاني^(٤).

هذا عدا الفصول التي وردت في كتاب الجمهرة لابن دريد، والغريب المصنف لأبي عبيد، والصاحباني لابن فارس، والمخصص لابن سиде، وفقه اللغة للشعالي^٥، وديوان الأدب للفارابي^٦، والمزهر للسيوطى^(٧). ولكن أعظم هذه الكتب خطراً، وأوسعها كلماً، وأحفلها بالشواهد، وأشملها للعلل هو كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المعروف بابن الأنباري^(٨) ت ٣٢٧ هـ.

حتى قيل: إن كتاب أبي بكر بن الأنباري لم يؤلف مثله في الأضداد.

١- انظر كتابه فقه اللغة ص ١٤٩-١٥٠.

٢- انظر المزهر ٣٩٧/١.

٣- انظر مقدمة محقق الأضداد ص ب - ج، وتاريخ أدب العرب ١٩٨/١-١٩٩.

٤- أبو بكر بن الأنباري غير أبي البركات بن الأنباري، وكلاهما ألف في الأضداد إلا أن الأخير لم يصل إلينا كتابه.

وقد اشتمل الكتاب على ٣٥٧ لفظاً من الأضداد؛ فأتى على جميع ما ألف قبله، وأربى عليه، وجاء بالعجب من أراجيز العرب، وشواهد القرآن والحديث والشعر في كثرة بالغة، وإسهاب كثير، مع عنوبة المورد، ووضوح التعبير، وإشراق الدلالة، واطراد التنسيق.

وقد أعاذه على ذلك كثرة محفوظه، ووفرة روايته، ووضوح الفكرة في عقله مع دقة التعليل، وقوة الحاجاج.

وقد قدم لكتابه ببحثٍ ضافٍ شامل انتصر فيه للعرب فيما أورد على المستهم من ألفاظ الأضداد، وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا، وعلل ذلك تعليلاً دقيقاً أميناً، فجاء كتابه أشمل كتاب، وأوفاه في هذا الموضوع^(١).

والكتاب يقع في مجلد واحد وفي ٥١٧ صفحة، وبتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ومن مطبوعات المكتبة العصرية بيروت.

سادساً: أمثلة وشواهد للأضداد: هذه أمثلة للأضداد مختارة باختصار دون تفصيل من كتاب الأضداد لابن الأنباري رحمه الله.

١- القرء: حرف من الأضداد، يقال: القرء للطهر وهو مذهب أهل الحجاز، والقرء للحيض، وهو مذهب أهل العراق.

٢- عسус: يقال: عسус الليل إذا أدبر، وعسус إذا أقبل.

٣- المولى: المُتَعِّمُ المُعْتَقُ، والمولى: المُتَعَمٌ عليه المُعْتَقُ.

٤- بسل: للحلال، وللحرام.

١- انظر مقدمة الأضداد ص ج.

- ٥- اشتريت: بمعنى قبضته وأعطيت ثمنه، وبمعنى بعثه.
- ٦- بعث: على المعنى المعروف عند الناس، وبعث الشيء إذا بعثته أي اشتريته.
- ٧- السارب: المواري والظاهر.
- ٨- عنوة: إذا أخذ الشيء غصباً وغلبة، ويطلق على ما إذا أخذه بمحنة ورضاً.
- ٩- الصریخ والصارخ: للمغیث، وللمستغيث.
- ١٠- الدائم: يقال للساكن دائم، وللمنتزه دائم.
- ١١- الصریم: يقال لللیل: صریم، وللنہار: صریم؛ لأن كل واحد منهما يصرم صاحبه.
- ١٢- طرب: إذا فرح، وطرب إذا حزن.
- ١٣- السليم: يقال: سليم للسالم، وسلمي: للمملود.
- ١٤- السُّدْفَة: بنو تميم يذهبون إلى أنها الظلمة، وقيس يذهبون إلى أنها: الضوء.
- ١٥- الناھل: للعطشان، وللمریان.
- ١٦- أمم: يقال: أمر أمم إذا كان عظيماً، وأمر أمم إذا كان صغيراً.
- ١٧- خائف: يقال: رجل خائف إذا كان يخاف غيره، وسبيل خائف إذا كان مخوفاً.
- ١٨- الحميم: للحار، والحميم للبارد.
- ١٩- عَزَّرَتْ: يقال: عزرت الرجل إذا أكرمه، وعزرته إذا لمته وعنفته.

- ٢٠ - **قلص**: يقال : قلص الشيء إذا قصر وقل ، وقلص الماء إذا جمّ وزاد.
- ٢١ - **الغريم**: الذي له الدين ، والغريم : الذي عليه الدين.
- ٢٢ - **الحزور**: يقال للغلام اليافع الذي قارب الاحتلال: حزور ، ويقال للشيخ: حزور.
- ٢٣ - **التلعة**: يقال لما ارتفع من الوادي وغيرها: تلعة ، ويقال لما تسفل وجرى الماء فيه: لأنخاضه: تلعة.
- ٢٤ - **البعل**: يقال لما تسقيه السماء: بعل ، ويقال لما يشرب بعروقه: بعل.
- ٢٥ - **بلهاء**: يقال: امرأة بلهاء: إذا كانت ناقصة العقل ، فاسدة الاختيار.
- وامرأة بلهاء: إذا كانت كاملة العقل عفيفة صالحة لا تعرف الشر ، ولا تعلم الريب.
- ٢٦ - **الخابط**: النائم ، والخابط الذي ينحيط بيده ورجليه.
- ٢٧ - **نسيت**: يكون بمعنى غفلت عن الشيء ، ويكون بمعنى: تركت متعمداً من غير غفلة لحقتنـي فيه ، فيكون بمعنى الغفلة فلا يحتاج فيه إلى شاهد. وكونه بمعنى الترك شاهده قول الله -عز وجل-: (نسوا الله فنسيهم) معناه: ترك إثابتهم ورحمتهم؛ لأنـه قد جـلـ وعلا عن الغـفلـةـ والسـهـوـ.
- ٢٨ - **أفاد**: يقال: أفاد الرجل مالاً إذا استفادـهـ هوـ ، وقد أفاد مالـاـ: إذا كسبـهـ غيرـهـ فهوـ مـفـيدـ فيـ المعـيـنـينـ.

المبحث الثالث: المترادف

ويسمى: المترادف ، ويسمى: المرادف - أيضاً.

أولاً تعريفه:

أ - تعريفه في اللغة: قال ابن فارس رحمه الله : « الراء والدال والفاء أصلٌ واحدٌ مطردٌ، يدل على اتباع الشيء؛ فالترادف التتابع ، والرديف الذي يرافقك » ^(١).

ب- وفي الاصطلاح: عرف بعدة تعاريف متقاربة: منها ما عرفه به الجرجاني حيث قال :

١ - « المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة » ^(٢).

٢ - وعرفه بتعريف آخر فقال: « الترادف : هو عبارة عن الاتخاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد » ^(٣).

٣ - وعرفه - أيضاً - بقوله: « المرادف : ما كان مسماه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو خلاف المشترك » ^(٤).

٤ - وقال السيوطي: « قال الإمام فخر الدين: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد » ^(٥).

١ - معجم مقاييس اللغة .٥٠٣/٢.

٢ - التعريفات ص ١٩٩.

٣ - التعريفات ص ٥٦.

٤ - التعريفات ص ٢٠٨.

٥ - المزهر ٤٠٢/١.

٥- وقيل : هو ما اتحد معناه ، واختلف لفظه.

ومن أمثلة ذلك : السيف ، والباتر ، والمهند وغيرها كلها ألفاظ تدل على مسمى واحد.

ثانياً: سبب التسمية: قال الجرجاني عن سبب التسمية: «المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك؛ أخذنا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، لأن المعنى مركوب، واللقطين راكبان عليه كالليث والأسد»^(١).

ثالثاً: الخلاف في وقوعه^(٢): ذهب بعض العلماء إلى إنكار المترادف.

قال السيوطي : «قال التاج السبكي في شرح المنهاج : ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتبادرات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر؛ فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يُؤْنس .

والثاني -يعني البشر- باعتبار أنه بادي البشرة.

وكذا الخندريس : العقار^(٣)؛ فإن الأول؛ باعتبار العنق ، والثاني باعتبار عقر الدن؛ لشدّتها.

وتتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب»^(٤).

١- التعريفات ص ١٩٩.

٢- انظر الصاحبي ٥٩-٦١ ، والمزهر ٤٠٣/٤٠٥.

٣- الخندريس والعقار : من أسماء الخمر.

٤- المزهر ٤٠٣/١.

ومن قال بهذا القول ابن فارس، ونقله عن شيخه ثعلب.

ومن قال بهذا القول أبو علي الفارسي^(١):

وقال ابن فارس في الصاحبي في (باب الأسماء وكيف تقع على المسميات): «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف، والمهند، والحسام. والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى».

وقد خالف في ذلك قوم فرعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: (سيف، وعصب، وحسام).

وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو: مضى، وذهب، وانطلق، وقعد، وجلس، ورقد، ونام، وهجع.

قالوا: ففي (قعد) معنى ليس في (جلس) وكذا القول فيما سواه.

وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

واحتاج أصحاب المقالة الأولى بأنه: لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته.

وذلك أنا نقول في (لا ريب فيه): (لا شك فيه) فلو كان (الريب) غير (الشك) ل كانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا: وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغاً، كقولهم:

وهند أتى من دونها النَّائِيُّ وَالْبَعْدُ
فقالوا: فالنَّائِيُّ هو الْبَعْدُ، قالوا: وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الإِصْرُ.

ونحن نقول: إن في قعد معنىًّا ليس في جلس، ألا ترى أنا نقول (قام ثم قعد) و(أخذه المقيم والمُقْعِدُ) و(قعدت المرأة عن الحِيْضُر) ونقول لناس من الخارج (قَعَدْ) ثم نقول: (كان مضطجعاً فجلس) فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس؛ لأن (الجلْسَ: المرتفع) فالجلوس ارتفاع عما هو دونه، وعلى هذا يجري الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء - فإنما نقول: إنما عبر عنه من طريق المشاكلة، ولستنا نقول إن اللفظتين مختلفتان، فيلزم مما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منها معنىًّا ليس في الأخرى^(١).

وقال آخرون: إن الترادف واقع، وله فوائد، وهو قول كثير من ألف في هذا الباب كابن خالويه، والفيروزآبادي، وغيرهم.

والحاصل - كما قال العلامة عز الدين بن جماعة - : «أن من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبيه المترادفة في الذات، والمتباينة في الصفات»^(٢).

١- الصاحبي ص ٥٩٦٠.

٢- المزهر ٤٠٥/١.

إذا قلنا - على سبيل المثال - إن الله هو السميع، العليم، البصير، الخالق، الباري، المصور، فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على ذات واحدة وسمى واحد هو الله - عز وجل - .

وهي متباعدة باعتبار أن في السميع معنىًّا غير المعنى الذي في البصير، وهكذا... وكذلك أسماء الرسول ﷺ الحasher، والعاقب، وغيرها؛ فهي مترادفة باعتبار أنها دلت على مسمى واحد وهو الرسول ﷺ .

وهي متباعدة لاختلاف معنى الحasher عن العاقب وهكذا. وإلى هذا الرأي مال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرسالة التدميرية وغيرها^(١).

رابعاً: أسباب وقوع الترادف: قال السيوطي رحمه الله : «قال أهل الأصول: لوقع الألفاظ المترادفة سببان:

أحدهما: أن يكون من واضعيَّنِ، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الأسمين، والأخرى الاسم الآخر للسمى الواحد من غير أن تشعر بإدراهما بالآخر، ثم يستهر الوضاعان، ويختفي الواضعان، أو يتبس وضع أحدهما بوضع الآخر؛ وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية.

والثاني: أن يكون من واضح واحد وهو الأقل»^(٢).

خامساً: فوائد المترادف: لوقع المترادف - عند القائلين به فوائد عديدة

١- التدميرية ص ١٠٢.

٢- المزهر ٤٠٥-٤٠٦.

ترجح ما ذهبوا إليه ، وترد على من يقول بمنع وقوعه ، ومن تلك الفوائد ما يلي^(١) :

١- أن تكثُر الوسائل إلى الإِخْبَار عما في النَّفْس؛ فإنَّه ربما نسي أحد اللفظين ، أو عسر عليه النطق به.

وكان واصل بن عطاء أَلْثَغ ، فلم يُحْفَظْ عنْهُ أَنَّهْ نَطَقَ بِالرَّاءِ ، وَلَوْلَا الْمُتَرَادُفَاتُ تعينه على قصده لما قدر على ذلك .

٢- التوسيع في سلوك طرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النظم والنشر؛ وذلك لأنَّ اللفظ الواحد قد يتَّأْتِي -باستعماله مع لفظ آخر- السجع ، والقافية ، والتجنيس ، والترصيع ، وغير ذلك من أصناف البديع ، ولا يتَّأْتِي ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ .

٣- المراوحة في الأسلوب ، وطرد الملل والسامة؛ لأنَّ ذكر اللفظ بعينه مكرراً قد لا يسوغ ، وقد يُمْجَحُ ، ولا يخفى أنَّ النقوس موكلة بمعاداة المعادات .

٤- قد يكون أحد المترادفين أَجْلَى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي . وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين .

سادساً: المؤلفات في المترادف^(٢): ألف في المترادف مجموعة من العلماء ، منهم العلامة مجَد الدين الفيروز أبادي صاحب القاموس ، حيث ألف كتاباً سماه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى أَلْوَفْ).

١- انظر المزهر ٤٠٦/١.

٢- انظر المزهر ٤٠٧/١.

وأفرد خلق من الأئمة كتاباً في أشياء مخصوصة؛ فألف ابن خالويه كتاباً في أسماء الأسد، وكتاباً في أسماء الجنة.

أما الكتب التي تحدثت عن المترادف ضمناً فكثيرة، ومنها المزهر للسيوطى، حيث خصص النوع السابع والعشرين منه في معرفة المترادف.

سابعاً: أمثلة من المترادف^(١):

١- العسل: له ثمانون اسماً أوردها صاحب القاموس في كتابه الذي سماه (ترقيق الأسل لتصفيق العسل).

ومن تلك الأسماء: العسل، والضرّب، والضرّبة، والضرّيب، والشّوب، والذّوب، والحميت، والتحموم، والجلّس، والورس، والشّهد، والشّهد، والماذى، ولعب النحل، والرحيق، وغيرها.

٢- السيف: ومن أسمائه مما ذكره ابن خالويه في شرح الدريدية: الصارم، والرّداء، والخليل، والقضيب، والصفيحة، والمُفتر، والصمصامة، والكمام، والمشري، والحسام، والغضب، والمذكّر، والمهند، والصقيل، والأبيض، وغيرها.

٣- يقال: أخذه بأجمعِه، وأجمِعه، وبجذافِه، وجذاميره، وجذاميره، وجراميزه، وبجملته.

٤- العمامة: ويقال: الشوذ، والسبّ، والعصابة، والتاج، والمكورة.

٥- وقال ابن السكّيت: العرب تقول: لأقيمِن ميلك، وجنفك، ودرأك، وصفاك، وصدّاك، وقدَّاك، وضلّاك كله بمعنى واحد.

١- انظر المزهر ٤٠٧-٤١٣.

- ٦- ويقال: قُطعت يده، وجُذِّمت، وبُرْت، وبُتَكَت، وبُصِّكت، وصُرِّمت،
وئَرَت، وجُدَّت.
- ٧- ويقال: وقع ذلك في رُوعي، وخَلْدي، وَوَهْمِي، بمعنى واحد.
- ٨- وفي أمالٍ ثعلبٌ يقال: سوِيداء قلبه، وحَبَّة قلبه، وسُواد قلبه، وسُوادة
قلبه، وجُلْجُلان قلبه، وسوداء قلبه بمعنى واحد.
- ٩- وفي الجمهرة: قال أبو زيد: قلت لأعرابي: ما المُحبِنْطِي^(١)? قال:
المتكاكي، قلت: ما المتكاكي؟ قال: المتأرف، قلت ما المتأرف؟ قال: أنت أحمق.

١- المحبنطي: السمين الضخم، ويقال: هو المتملي غيظاً.

الفصل الثالث: الاشتقاد، والقياس

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الاشتقاد.

المبحث الثاني: القياس.

الفصل الثالث

الاشتقاق، والقياس

المبحث الأول: الاشتقاق

أولاً: تعريف الاشتقاق:

أ - تعريفه في اللغة: الاشتقاق في اللغة أخذ شيء من شيء.

قال ابن منظور رحمه الله: «اشتقاق الشيء: بنيانه من المرجح، واشتقاق الكلام: الأخذ به يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه»^(١).

ب - تعريفه في الاصطلاح: عرف الاشتقاق بعدة تعاريفات منها:

- ١- هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىًّا ومادةً أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليُدلل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفوا حروفًا أو هيئة^(٢).
- ٢- وعرف بأنه: عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من صيغة أخرى^(٣).
- ٣- وعرف بأنه: استخراج لفظ من لفظ آخر متافق معه في المعنى والحرروف الأصلية^(٤).

- ٤- وعرف بأنه: أخذ الكلمة من الكلمة أخرى أو أكثر مع تناسبٍ بينهما في اللفظ والمعنى^(٥).

١- لسان العرب ١٨٤/١.

٢- المزهر ٣٤٦/١ وقد نقله السيوطي عن صاحب شرح التسهيل أبي حيان.

٣- انظر من أسرار اللغة ص ٦٢.

٤- انظر من أسرار اللغة ص ٦٢.

٥- هذا تعريف للأستاذ عبدالسلام هارون. انظر مقدمته لكتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦.

ج - أمثلة على الاشتقاد: ضارب من ضرب، وحَذِّرْ من حَذِير، وهكذا...
 د - طريقة معرفة الاشتقاد: أما طريقة معرفته ف تكون من خلال تقليل
 تصريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراً، أو
 حروفًا غالباً، كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط.
 أما ضارب ومضروب، ويضرب، واضْرُبْ فكلها أكثر دلالة، وأكثر حروفاً.
 وضرَب الماضي مساوٍ حروفاً، وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ضرَب) وفي
 هيئة تركيبها.

هذا هو الاشتقاد الصرفي المعروف المحتاج به الذي ينصرف الذهن إليه عند
 إطلاق الاشتقاد، وهو ما يعرف عند بعض اللغويين كابن جني بالاشتقاق
 الصغير أو الأصغر، حيث قال: «فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم لأن تأخذ
 أصلًا من الأصول، فتتقرأه، فتجمع بين معانيه، وإن اختللت صيغه ومبانيه.
 وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو:
 سلم، وسلام، وسلامان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديع؛
 أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة.

وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره كـ: تركيب (ضرَب)
 و(ج ل س) و(ز ب ل) على ما في أيدي الناس من ذلك؛ فهذا هو الاشتقاد
 الأصغر»^(١).

ثانياً: أقوال العلماء في وقوع الاشتقاد في اللغة:

قال السيوطي رحمه الله: «وأختلفوا في الاشتقاد الأصغر؛ فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصممي، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيباني، وطائفة: بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق. وقالت طائفة من التأرخين اللغويين: كل الكلم مشتق؛ ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج.

وقالت طائفة من النظار: الكلم كله أصل، والقول الأوسط تخليط لا يعد قوله؛ لأنَّه لو كان كله فرعاً لآخر لدار أو تسلسل، وكلاهما محال؛ بل يلزم الدور علينا؛ لأنَّه يثبت لكل منها أنه فرع، وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل؛ ضرورة أنَّ المشتق كله راجع إليه - أيضاً.

لا يقال: هو أصل وفرع بوجهين؛ لأنَّ الشرط اتحاد المعنى، والمادة، وهيئة التركيب؛ مع أنَّ كل منها مفرَّع عن الآخر بذلك المعنى»^(١).

وقال ابن فارس رحمه الله: «باب القول على لغة العرب هل لها قياس، وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟

أجمع أهل اللغة -إلا من شذ منهم- أنَّ لغة العرب قياساً، وأنَّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأنَّ اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأنَّ الجيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَاحَة، وأجْنَاحَ الليل، وهذا جنин، أي هو في بطنه أمها أو مقبور، وأنَّ الإنس من الظهور؛ يقولون: آتَسْتُ الشيءَ أبصْرَته.

وعلى هذا سائر كلام العرب ، علم ذلك من علم وجده من جهل .
 قلنا : وهذا - أيضاً - مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف؛ فإن الذي وقفنا
 على أن الاجتنان التستر هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه .
 وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقتبس قياساً لم
 يقيسوا؛ لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها .
 ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن »^(١) .

وقال ابن دحية في التنوير : « الاشتقاء من أغرب كلام العرب ، وهو ثابت عن
 الله - تعالى - بنقل العدول عن الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لأنَّه
 أُوتِيَ جوامع الكلم ، وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة؛ فمن ذلك قوله
 فيما صَحَّ عنه : « يقول الله : أنا الرحمن خلقت الرحمن ، وشققت لها من اسمي »
 وغير ذلك من الأحاديث »^(٢) .

أما أكثر العلماء كلاماً على الاشتقاء فهو ابن جني - كما مضى النقل عنه ،
 وكما سيأتي - .

ثالثاً: التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق:
 قال السيوطي : « ثم التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة
 عشر :

الأول - زيادة حركة ، كعلم وعلم.

١- الصحابي ص ٣٥-٣٦.

٢- المزهر ١/٣٤٦.

- الثاني - زيادة مادة، كطالب وطلب.
- الثالث - زيادتهما، كضارب وضرَب.
- الرابع - نقصان حركة، كالفرس من الفرس.
- الخامس - نقصان مادة، كثبت وثبات.
- السادس - نقصانهما، كنَّزاً ونَزْواناً.
- السابع - نقصان حركة وزيادة مادة، كغضبي وغضب.
- الثامن - نقص مادة وزيادة حركة، كحرم وحرمان.
- التاسع - زيادتهما مع نقصانهما، كاستنونق من الناقفة.
- العاشر - تغایر الحركتين، كبَطْر بَطْرًا.
- الحادي عشر - نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف، كاضرب من الضرب.
- الثاني عشر - نقصان مادة وزيادة أخرى، كراضع من الرضاعة.
- الثالث عشر - نقص مادة بزيادة أخرى وحركة، كخاف من الخوف؛ لأن الفاء ساكنة في خوف؛ لعدم التركيب.
- الرابع عشر - نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط، كعِدُّ من الْوَعْدِ؛ فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة.
- الخامس عشر - نقصان حركة وحرف وزيادة حرف، كفاخر من الفخار، نقصت ألف، وزادت ألف وفتحة^(١).
- رابعاً: المؤلفات في الاشتقاد: قال السيوطي رحمه الله: «أفرد الاشتقاد بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمسي، وقطرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر

الباهلي، والمفضل بن سلمة، والبرد، وابن دريد، والزجاج، وابن السراج، والرمانى، والنحاس، وابن خالويه^(١).

ومن كتب في الاستئقاد العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله حيث ألف كتاباً اسمه (نزهة الأحذاق).

ومن كتب في الاستئقاد صديق خان رحمه الله في كتابه (العلم الخفاف من علم الاستئقاد).

ومن المحدثين عبد القادر المغربي في كتابه (الاستئقاد والتعريب).

ومنهم عبد الله أمين في كتابه (الاستئقاد) وقد بلغ فيه الغاية القصوى - كما قال الأستاذ عبدالسلام هارون^(٢).

وأما الذين أودعوه مؤلفاتهم من المحدثين فكثير منهم د. إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة) ود. علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة) ود. إميل يعقوب في كتابه (فقه اللغة العربية وخصائصها) وغيرهم كثير.

خامساً: أقسام الاستئقاد:

١- الاستئقاد الصرفي: وهو ما يسميه ابن جنى بالصغر أو الأصغر وقد مضى الحديث عنه.

٢- الاستئقاد الأكبر: وأول من قال به ابن جنى؛ حيث قال في الخصائص:

باب في الاستئقاد الأكبر

١- المزهر للسيوطى ٣٥١/١

٢- انظر مقدمته لكتاب الاستئقاد لابن دريد ص ٣٠

هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي^(١) بِسْمِ اللَّهِ كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاستفاق الأصغر، لكنه - مع هذا - لم يسمّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويتروح إليه، ويتعلّل به.

وإنما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه، فتعلم أنه لقب مستحسن؛ وذلك أن الاستفاق عندي على ضربين: كبير وصغير^(٢).

ثم عرف الصغير - كما مر - وعرف الكبير، وسماه الأكبر حيث قال: «وأما الاستفاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، وتختمع عليه التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه».

وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه»^(٣).

ثم ذكر أمثلة لذلك؛ وأحال إلى ما ذكره في أول الكتاب؛ حيث كان يذكر الكلمة، وتقليلياتها ثم يجعل بينهما معنى عاماً مشتركاً تدور حول هذه المادة وسائر تقليلياتها، وما ذكره من أمثلة ما يلي^(٤):

أ - (كلم) : وتقليلياتها: كمل، مكل، ملك، لكم، ملك، - وتفيد كلها معنى (القوة والشدة).

١ - يعني شيخه أبا علي الفارسي.

٢ - الخصائص ٤٩٠/١.

٣ - الخصائص ٤٩٠/١.

٤ - انظر الخصائص ٤٩٣-٤٩٠/١ و ٦٨-٦٧/١.

- ب - (قول): وتقليلياتها: قلو، وَقَلْ، ولَقَ، لقو، لوق - وتفيد كلها معنى: (الإسراع والخفة).
- ج - (جبر): وتقليلياتها: جرب، بَجَرْ، بَرَجَ، رجب، رِبَعْ - وتفيد كلها معنى (القوة والشدة).
- د - (قسو): وتقليلياتها: قَوَسْ، وَقَسَ، وَسَقْ، سوق، سقو - وتفيد كلها معنى (القوة والاجتماع).
- ه - (سلم): وتقليلياتها: سلم، مسل، ملس، لس، لسم - وتفيد كلها معنى (الإصحاب والملاينة).

هذان هما القسمان المشهوران للاشتراق، والأخر منهما من صنيع ابن جني.
وهما عنده صغير ويسميه أصغر، وكبير ويسميه أكبر.
وهناك تقسيمات أخرى لبعض المحدثين كعبد الله أمين في كتابه الاشتراق، وغيره من كتبوا في الاشتراق، حيث يقسمون الاشتراق تقسيماً آخر على نحو ما يأتي^(١):

- ١- الاشتراق الصريفي الصغير -كما مر-. وعرفه بأنه: انتزاع الكلمة من الكلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الأصلية، وفي ترتيبها..

- ٢- الاشتراق الكبير: ويقصد به انتزاع الكلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة وفي مخارج الأحرف المغيرة.
ويعرف هذا عند بعض العلماء بـ (القلب المكاني)^(٢).

١- انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لكتاب الاشتراق لابن دريد ص ٢٨.

٢- انظر المزهر ٣٧٦/١-٣٨١.

ومن أمثلته قولهم: جب وجدب، وما أطيه وما أيطه، وريض، ورضب، وصاعقة، وصاقعة، ولعمري، ورعملي، واض محل، وامض محل، وعميق، ومعيق، وأسير مكَلْبٌ، ومكَلْبٌ، وسبب وسبس: القفر، وشرخ الشباب وشخره: أوله، وعاث ويعيث، وعثا يعيث: إذا أفسد، وأحجمت عن الأمر وأجحتمت وهكذا...

وسيأتي مزيد كلام عن هذا عند الحديث عن القلب المكاني.

٣- الاشتاقاق الكبار، أو مسماه ابن جني: الاشتاقاق الكبير أو الأكبر: وهو أن تتحد الكلمات في بعض الحروف، وتختلف في باقيها مع اتحادها في المخرج.

مثل: نع ونهق: العين والهاء حرفان حلقيان.

ومثل: هتن، وهتل، وهطل.

٤- الاشتاقاق الكبار: وهو أن يؤخذ من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة، وهو ما يعرف بالنحت.

مثاله قولهم في: أَدَمُ اللَّهُ عَزُوكَ: دَمْعَةً، وَفِي: لَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ: حوقلة، وفي بسم الله: بسمة.

كما قال الشاعر:

لقد بسملت ليلى غادة لقيتها فيها حبذا ذاك الحبيب المبسم

وفي قولهم: في عبدشمس: عبشمي كما في قول الشاعر:
وتضحك مني شيخة عبشمية كان لم تر قبلى أسيراً يمانيا

وسيأتي مزيد حديث عن النحت بخصوصه.

سادساً: من آراء ابن جني في الاشتقاد:

يعد ابن جني رحمه الله من أعظم وأقدم من توسيع في الاشتقاد من علماء العربية إن لم يكن أعظمهم، وفيما يلي خلاصات بعض آرائه في الاشتقاد في كتابه *الخصائص*:

- ١- لا ندعى أن الاشتقاد الأكبر مستمر في جميع اللغة؛ فهو لا يطرد ولا ينقايس في كل أصل، على أنك إذا أنعمت النظر ولاطفته، وتركض الضجر وتحاميته - لم ت عدم قرب بعض من بعض. ٤٩٣/١ ٦٧/١
- ٢- منفعة الاشتقاد لصاحبه: أن يسمع الرجل اللفظة، فيشك فيها، فإذا رأى الاشتقاد قابلاً لها أنس بها، وزال استيحاشه منها. ٣٦٧/١
- ٣- العرب إذا استقنت من الأعجمي خلعت فيه. ٣٥٨/١
- ٤- الحروف يشتق منها، ولا تشتق هي أبداً. ٤١٩/١
- ٥- الألفاتُ التي في الحروف والأصوات غير منقلبة عن شيء، نحو ألف (لا) و(ما) و(قاف) فإذا استقنت منها استحالت تلك الألف وصارت كالمقلبة، ويعتقد فيها حينئذ أنها عن واو، عملاً بالأكثر في الألفات، فتقول: مَوْيَتْ وَلَوْيَتْ وَقَوْفَتْ. ٢٨٥/١
- ٦- كثراً اشتقاد الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف، نحو هاهيت، وسَاسَاتُ، وشَاشَاتُ، وحَاحَاتُ، وحَاحِيتُ، وعَاعِيتُ، وهذا كثير في الزجر. ٤٢١، ٥١٤/١
- ٧- اشتقوا أسماء للأشياء من أصواتها، نحو: المخازِبِازِ، والبَطْ، والوَاقِ،

٥١٤/١ وغَاقِ، وحَاءِ، وعَاءِ، وهَاءِ.

٨- اشتقوا أفعالاً من المركبات، نحو: بَسْمَلْتُ، وَهَيْلَتُ، وَحَوْقَلْتُ.

٥٥١٤/١

٩- المصدر يشتق من الجوهر، كالنبات من النبت، ومن الحرف نحو: اللألة

واللؤلؤة. ٤١٧/١

١٠- كثير من الأفعال مشتق من الحروف، نحو: لَوْلَيْتَ لِي، وَلَالَّيْتَ لِي،
وَسَوْفَ، وجميع تصرفات (ن ع م) إنما هو من حرف الجواب (نعم) وجميع
تصرفات (ب ج ل) إنما هو من (بَجَلْ) بمعنى حسبك. ٤١٧/١ - ٤١٩

١١- لو اشتققت من الجار والمجرور (بأبي أنت) بعد أن تعتقد تركيه - اشتقاقة
صوتياً لقلت: بأبأت به بِئْباءً وبِيَباءً، وصار نحو زلزل زِلزاً وزِلزلة، بل اشتق منه
(بَيْب) على وزن عَنْب. ٢٨٥-٢٨٦/١

١٢- (الناقة) من التنوق في الشيء وتحسينه، و (الجمل) فعل من الجمال، و
(الوشاء) فعل من الوشى، وما بالدار (دِيَّج) فِعْيل من الديجاج، و (إنسان)
فعلان من الإنسان.

وكلها ألفاظ متلاقيه المعنى في الاشتقاء مما أخذت منه. ١٥٩/١ - ١٦٠

١٣- اشتقوا اسماء للناقة من لفظ (الجمل) فقالوا: جُمَالِيَّة، تشبيهاً لها به في
شدته وعلوها خلقه. ٣٠٨/١

١٤- (هَلْمَمْتُ) مشتق من (هَلْمَمَ) التي أصلها: ها ولُمَّ. ٢٨٧/١

١٥- لا يستتر أن يكون في الأسماء غير الجارية على الأفعال معاني

الأفعال، نحو: مفتاح ومنتسب، ومُسْعَط، ومنديل، ودار، وحائش، وحائط، وعاشر؛ فهي من: الفتح، والنسيج، والإسماط، والنَّدْلُ، والدَّوْرُ، والخوش، والحوط، والعور - وفيها كلها معانٍ الأفعال الملائية لها في الاستفادة. ١٥٨/١

المبحث الثاني: القياس

أولاً: تعريفه:

أ - تعريفه في اللغة والشرع: القياس مصدر الفعل قاس.

قال ابن منظور رحمه الله: «قاس الشيء يقيسه، قياساً، وقياساً، واقتاسه، وقيسه: إذا قدر على مثاله»^(١).

وقال: «ويقال: قايسْتْ بين شيئاً وبينهما»^(٢).

وقال الجرجاني رحمه الله: «القياس في اللغة: عبارة عن التقدير، يقال: قست النعل بالنعل إذا قدرته وسوّيتها، وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره».

ثم بين رحمه الله: تعريفه في الشرع فقال: «وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص؛ لتعديه الحكم من المقصوص عليه إلى غيره، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم»^(٣).

وحده ابن حزم رحمه الله بقوله: «هو أن تحكم للثاني المختلف فيه الذي لا نص فيه بمثل الحكم في المقصوص عليه»^(٤).

ب - مفهوم القياس عند علماء النحو واللغة: القياس عند علماء النحو واللغة

١ - لسان العرب ٦/١٨٦.

٢ - لسان العرب ٦/١٨٧.

٣ - التعريفات ص ١٨١.

٤ - ملخص إبطال القياس لابن حزم ص ٣٤، وانظر ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية د. عبدالفتاح

البجة ص ٧٠.

قريب من القياس الفقهي؛ لأن بينهما -كما يقول ابن الأنباري- : «من المناسب ما لا خفاء فيه؛ لأن النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول»^(١). فالقياس عند النحويين يعني : التعقيد، أو استخراج القواعد بعد تتبع كلام العرب؛ حيث كانوا يقيسون كلاماً على آخر من كلام العرب. وبعد ذلك صار القياس بمعنى الإضافة، أي إضافة كلام إلى لغة العرب بعد قياس على لغة العرب.

هذا هو معنى القياس الذي تدور تعريفاته حوله. قال أبو البركات ابن الأنباري بِحَمْلِ اللَّهِ : «القياس هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه»^(٢).

وقيل : « هو رد الشيء إلى نظيره، واكتشاف المجهول من المعلوم»^(٣). كما عُرِّف بأنه «محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة، وفروعها، وضبط الحركات، وتركيب الكلمات، وما يتبع ذلك من إعالن، وإبدال، وإدغام، وحذف وزيادة»^(٤). ج - أركان القياس^(٥) : من خلال ما مضى يتبين أن للقياس أربعة أركان:

- ١- الاقتراح للسيوطني ص ٢٢ ، ونزهة الأدباء لابن الأنباري ص ٧٦ ، وانظر ظاهرة الحمل ص ١٠١ .
- ٢- الإغراب في جدل الإعراب ص ٤٥ ، وانظر ظاهرة قياس الحمل ص ٧١ .
- ٣- من أسرار اللغة ص ٨ .
- ٤- معجم المصطلحات النحوية د. محمد نجيب اللبيدي ص ١٩١-١٩٢ ، وانظر ظاهرة قياس الحمل ص ٧٢ .
- ٥- انظر تفصيل ذلك في ظاهرة الحمل ص ٨٠-٨١ .

- ١- المقىس عليه وهو الأصل المعلوم، ويعنون به شيئاً: أحدهما المادة اللغوية المنقوله من العرب بطريق السماع، والرواية بالمشافهة، أو التدوين.
- واثانياً: القواعد النحوية التي صاغها النحاة من استقراء تلك المادة.
- ٢- المقىس: وهو الفرع المجهول، وهو ما كان محمولاً على كلام العرب.
- ٣- الشبه أو العلاقة أو العلة الجامعة: وهو ما قدره النحويون من أسباب استحق بوجبه المقىس حكم المقىس عليه.
- ٤- الحكم: وهو ما يسري على المقىس مما هو في المقىس عليه.

ثانياً: أنواع القياس^(١): تجري كلمة القياس عند البحث في معانٍ الألفاظ العربية، وأحكامها فترد على أربعة أوجه:

أحدها: حمل العرب أنفسهم بعض الكلمات على أخرى، وإعطاؤها حكمها لوجه يجمع بينهما، كما يقال: أُعرب الفعل المضارع قياساً على الاسم لمشابهته له في احتماله؛ لمعان لا يتبيّن المراد منها إلا بالإعراب.

والقياس بهذا المعنى واقع من العرب أنفسهم، ويدركه النحوي؛ تنبئها على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح.

وليس هذا الضرب من القياس داخلاً في ما نحن بصدده.

ثانيها: أن تعمد إلى اسم وضع لمعنى يشتمل على وصف يدور معه الاسم وجوداً وعدماً؛ فتعدي هذا الاسم إلى معنى آخر تتحقق فيه ذلك الوصف، وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغة.

١- انظر القياس في اللغة العربية للشيخ محمد الخضر حسين ص ٣٥-٣٨.

ومثال هذا اسم الخمر عند من يراه موضوعاً للمعتصر من العنب خاصة ، وما وضع للمعتصر من العنب إلا لوصف هو مخامرته للعقل وستره ، فإذا وجد عصير من غير العنب يشارك المعتصر من العنب في الشدة المطرية المخمرة للعقل ، فإن من يقول بصححة هذا القياس يجعل هذا العصير من أفراد الخمر ويسميه خمراً تسمية حقيقة لغوية .

وإن شئت مثلاً آخر فانظر في اسم السارق عند من يقول : إنه موضوع لمن يأخذ مال الأحياء خفية ؛ فإنك تجد من ينش القبور لأخذ ما على الموتى من أكفان - قد شارك من يأخذ أموال الأحياء في وصف أخذ المال خفية ، ومقتضى صحة هذا الضرب من القياس أن تجعل اسم السارق متداولاً للتباش على وجه الحقيقة اللغوية ، وتكون هذه الحقيقة قد تقررت من طريق القياس لا من طريق السماع . وهذا الضرب من القياس هو الذي ينظر إليه علماء أصول الفقه عندما يتعرضون لمسألة : (هل ثبتت اللغة بالقياس) .

ثالثها : إلحاد اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغ التصغير والنسب والجمع .

وأصل هذا أن الكلمات الواردة في كلام العرب على حالة خاصة ، يستتبع منها علماء العربية قاعدة تخول المتكلم الحق في أن يقيس على تلك الكلمات الواردة ، ما ينطق به من أمثالها .

رابعها : إعطاء الكلمة حُكْمَ ما ثبت لغيرها من الكلمات المخالفة لها في نوعها ، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه ، كما أجاز الجمهور ترخيص

المركب المزجي قياساً على الأسماء المنتهية بباء التأنيث، وكما أجاز طائفة حذف الضمير المجرور العائد من الصلة إلى الموصول متى تعيين حرف الجر، قياساً على حذف الضمير العائد من جملة الخبر إلى المبتدأ، فتقول: قضيت الليلة التي ولدت في سرور، أي ولدت فيها، جاز لك أن تقول: هذا الكتاب الورقة تساوي درهماً، أي الورقة منه بدرهم.

ثالثاً: آراء العلماء في القياس: يرى ابن فارس رحمه الله أنه يجب الوقوف عند المسموع من كلام العرب، وأنه لا يصح لنا أن نقيس قياساً لم يقسها العرب؛ فهو يرى أن العرب قالوا ولكن لا يسوغ لنا أن نقيس على ما قالوا شيئاً، بل نعتقد أن اللغة وقف.

وقد عقد في كتابه الصاحبي باباً عنوانه : (باب القول على لغة العرب : هل لها قياس ، وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟).

ثم قال : «أجمع أهل اللغة - إلا من شذ - أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض» ^(١).

إلى أن قال : «وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا نقيس قياساً لم يقيسوه؛ لأن في ذلك فساد اللغة ، وبطلان حقائقها. ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن» ^(٢).

أما ابن جني رحمه الله وهو ممثل مدرسة أبي علي الفارسي ، وأبي عثمان المازني-

١- الصاحبي ص ٣٥

٢- الصاحبي ص ٣٦

فإنه يرى القياس، وقد عقد في كتابه (الخصائص) باباً عنوانه: (باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب).
وقال تحته: «هذا موضع شريف، وأكثر الناس يضعف عن احتماله: لغموصه ولطفه.

والمنفعة به عامة ، والتساند إليه مقوٌّ مُجْدٌ .

وقد نص أبو عثمان -يعني المازني- فقال: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، وإنما سمعت البعض فقِست عليه غيره؛ فإذا سمعت (قام زيد) أجزٌ : ظَرْفَ ِشَرْ ، وَكَرْمَ خَالِدٌ .

قال أبو علي -يعني الفارسي- : إذا قلت : (طاب الحُشْكُنَان) فهذا من كلام العرب؛ لأنك يا عرابك إيه قد دخلته كلام العرب.

ويؤكـد هذا عندكـ أنـ ما أـعـربـ مـنـ أـجـنـاسـ الأـعـجمـيـةـ قدـ أـجـرـتـهـ العـرـبـ مـجـرـىـ أـصـوـلـ كـلـامـهـ؛ـ أـلـاـ تـراـهـمـ يـصـرـفـونـ فـيـ الـعـلـمـ نـخـوـ آـجـرـ،ـ وـإـبـرـيـسـيمـ،ـ وـفـرـنـدـ،ـ وـفـيـرـوزـجـ،ـ وـجـمـيـعـ مـاـ تـدـخـلـهـ لـامـ التـعـرـيفـ.

وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديجاج ، والفرند ، والسيهريز^(١) ، والأجرـ .ـ أـشـبـهـ أـصـوـلـ كـلـامـهـ،ـ أـعـنـيـ النـكـراتـ؛ـ فـجـرـىـ فـيـ الصـرـفـ وـمـنـعـ مـجـرـاـهــ .ـ

قال أبو علي : ويؤكـد ذلكـ أنـ العـرـبـ اـشـتـقـتـ مـنـ الـأـعـجمـيـ الـنـكـرةـ،ـ كـمـاـ تـشـتـقـ مـنـ أـصـوـلـ كـلـامـهــ .ـ قـالـ رـؤـبـةـ :

١- السـهـريـزـ: ضـربـ مـنـ التـمـرـ،ـ مـعـرـبــ .ـ

هل يُنجيَّنِي حلف سِخْتِيت^(١) أو فَضْهَةُ أو ذَهَبُ كَبْرِيَّت

قال : ف (سِخْتِيت) من السُخت ، ك (زَحْلِيل) من الزحل .
وحكى لنا أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال : يقال دَرْهَمَتُ الْخَبَازِي ، أي
صارت كالدرهم ، فاشتق من الدرهم وهو اسم أجمي .

وحكى أبو زيد : رجل مُدَرْهَم ، قال : ولم يقولوا منه : دُرْهِم ؛ إلا أنه إذا جاء
اسم المفعول فال فعل نفسه حاصل في الكف ، ولهذا أشباه ». .
إلى آخر ما قاله ابن جنني في ذلك الباب^(٢) .

رابعاً: طريقة العلماء في استنباط قواعد القياس^(٣) :

من الجلي أن العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أحوال الكلم أو
نظم الكلام ، ولكن علماء اللسان يتبعون موارد كلامهم ، ويعرفون أحواله ؛
إذا وجدوا في الكلم نفسها ، أو تأليفها حالاً جرى عليها العرب بحيث يصح أن
تكون موضع قدوة استنبطوا منها قاعدة ؛ ليقاس على تلك الألفاظ المسموعة
أشباهها ونظائرها .

وقد يختلفون في صحة القياس لأسباب سيأتي ذكرها في الفقرة التالية .

خامساً: أسباب اختلاف العلماء في القياس^(٤) : هناك أسباب لاختلاف

١ - سِخْتِيت : شديد .

٢ - انظر الخصائص ٣٥٦-٣٦٧ .

٣ - انظر القياس في اللغة العربية ص ٦٩ .

٤ - انظر القياس ص ٦٩-٧٠ ، وظاهرة قياس الحمل ص ١٠١-١٣٤ .

العلماء في صحة القياس منها:

- ١ - أن يتوافر لدى العالم من استقراء كلام العرب ما يكفي لتركيب قاعدة؛ فيجيز القياس، ولا يبلغ الآخر بتبعه مقدار ما يؤخذ منه حكمٌ كليٌّ؛ فيُقصُّرُ الأمر على السمع.
- ٢ - قد يستوي الفريقيان، أو يتقاربان فيما عرفوه من الشواهد، ويكتفي به أحدهما في فتح باب القياس، ويستقله الآخر؛ فلا يتخطى به حد السمع.
- ٣ - قد يختلفون في القياس؛ نظراً إلى ما يقف لهم من الأحوال التي تعارض السمع؛ فالكوفيون الذين يكتفون في بعض الأقise بالشاهد والشهدين - قالوا: إن صيغ المبالغة: (فعَال وِمِفْعَال وَفَعُول) لا تعمل اسم الفاعل، وأخذوا يؤولون الشواهد التي سردها البصريون مثل:
 أخو الحرب لباساً إليها جلَّ لها وليس بولاج الخوالف أعقلا
 واعتذروا عن عدم قبولها والتمسك بظاهرها بأن اسم الفاعل إنما عمل لشبيه بالفعل المضارع في وزنه، والصيغة المذكورة لم تنجي على الوزن الذي قرب اسم الفاعل من أصله الذي هو المضارع.
 وأما البصريون فقد جعلوا هذه الصيغ تعمل اسم الفاعل أخذًا بتلك الشواهد، وأبطلوا ما اعتذر به الكوفيون؛ فقالوا في جوابهم: إن المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الأبنية جبرت ما نقصها من الشبه في اللفظ؛ فتقابل مشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به أبنية المبالغة؛ فتحصل الموازنة، والتساوي في طلب العمل من غير تفاضل.

٤- اختلاف أنظارهم في الشاهد أو الشواهد التي تذكر؛ ليقاس عليها؛ فيختلفون في أمانة نقلها، أو في صحة عربية قائلها، أو في وجوه فهمها وإعرابها. ومن لا يثق بأمانة الناقل للكلام، أو لا يسلم أن الكلام صادر من ينطق بالعربية الصحيحة لا يقيم لذلك الكلام وزناً، ولا يعوّل عليه شيء من أحكام اللسان. وإذا تبادر إلى ذهن عالم في فهم الكلام، وإعرابه وجّه يفتح له السبيل لأن يستتبّط منه حكماً، ويقيّم منه قاعدة - فقد يتبادر إلى ذهن غيره في فهمه وإعرابه وجّه يطابق أصلاً من الأصول الثابتة من قبل؛ فيخالف في ذلك الحكم، ويراه خارجاً عن سنن القياس، ومبنياً على غير أساس.

سادساً: تقسيم اللغة من حيث القياس والاستعمال: قسم ابن جني اللغة من حيث القياس والاستعمال، وكون الكلام في ذلك مطرداً أو شاذًا إلى أربعة أقسام، وهي^(١):

١- مطرد في القياس والاستعمال جميعاً: وهذا هو الغاية المطلوبة، وذلك نحو: قام زيد، وضررت عمراً، ومررت بسعيد.

فالفاعل يطرد رفعه قياساً واستعمالاً، والمفعول به يطرد نصبه قياساً واستعمالاً، والمحرر يطرد جره قياساً واستعمالاً.

٢- مطرد في القياس شاذ في الاستعمال: وذلك نحو الماضي من الفعل: يَذَر ويدع.

وهذا تتحامى ما تحامت العرب من ذلك، وتجري في نظيره على الواجب في

١- انظر الخصائص ١٣٨/١-١٤١ و ١٥٥ و ١٦٠ و ١٦٢-١٧٦ و ١٧٧.

أمثاله من ذلك: وذر، وودع؛ لأنهم لم يقولوها.

٣- المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس: نحو قولهم: استصوبي الشيء، ولا يقال: استصبت، وكذلك استحوذ، واستنطوق الجمل.

٤- الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً: وذلك كثُميم مفعول فيما عينه واو نحو: ثوب مصون، ومسك مَدْفُونٌ^(١).

وحكى البغداديون: فرس مقود، ورجل معوود من مرضه.

وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال؛ فلا يسوغ القياس عليه، ولا رد غيره إليه، ولا يحسن -أيضاً- استعماله فيما استعملته فيه إلا على وجه الحكاية.

قال ابن جني بعد ذلك: «واعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال، وشذ عن القياس فلا بد من اتباع السمع الوارد فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره.

ألا ترى أنك إذا سمعت: استحوذ، واستصوب أَدِيَّهُما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد السمع فيهما إلى غيرهما؟

ألا تراك لا تقول في استقام: استقوم، ولا في استساغ: استسوغ، ولا في استباع: استبع، ولا في أعاد: أَعْوَد^(٢)».

سابعاً: الكتب المؤلفة في القياس: اعتنى العلماء في القياس، ولعل أظهر وأكثر من اهتم به في القديم أبو الفتح ابن جني في كتابه الخصائص، حيث ضمنه

١- أي مخلوط، أو مبلول.

٢- الخصائص ١٤٠/١.

آراءه في القياس، وذلك في مواضع متفرقة من الكتاب^(١). وكذلك السيوطي في المزهر حيث تكلم على القياس في مواضع ومنها ما ذكره في النوع الثاني عشر: معرفة المطرد والشاذ. وكذلك المحدثون تكلموا على القياس، ويأتي في مقدمة أولئك الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (القياس في اللغة العربية). ويقاد يكون أهم كتاب مفرد في هذا الباب على صغر حجمه. ومن أعظم الكتب المعاصرة كذلك كتاب: (ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية د. عبدالفتاح البحجه).

ثامناً: الحاجة إلى القياس في اللغة: يقول الشيخ العلامة محمد الخضر حسين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مبيناً الحاجة إلى القياس في اللغة: «وضعت اللغة ليعبر بها الإنسان عمما يدلو له من المأرب، ويتרדد في نفسه من المعاني». ومن البين جلياً أن المعاني تبلغ في الكثرة أن تضيق عليها دائرة الخصر، وتنتهي دونها أرقام الحاسبين، فلم يكن من حكمة الواضع سوى أن وضع جانب كبير من المعاني ألفاظاً عينها كالسماء والمطر والنبات والعلم والعقل، وتوسل للدلالة على بقيتها بمقاييس قدرها.

والكلم التي تصاغ على مثال هذه المقاييس معدودة في جملة ما هو عربي فصيح.

١- انظر على سبيل المثال: ١٤١-١٣٧/١ و ١٤٢-١٧٧ و ٣٦٠-٣٧٠ و ٣٨٨ و ٣٩١-٣٩٢ و ٧/٢ و ٣٠٢ و ٤٦٨ و ١١-٧/٣.

ولولا هذه المقاييس لضاقت اللغة على الناطق بها، فيقع في نقية العي والفهادة، ويُكثِّر من الإشارات التي تخرج به عن حسن السمت والرزانة، ويرتكب التشابيه محاولاً بها إفادة أصل المعنى، لا كما يستعملها اليوم حلية للمنطق، ومظهراً من مظاهر البلاغة.

ولو صح أن يضع الواضح لكل معنىًّا لفظاً يختص به لكان الخرج الذي تقع فيه اللغة أن تضيق المجلدات الضخمة عن تدوينها، ويتعدَّر على البشر حفظ ما يكفي للمحاورات على اختلاف فنونها، وتبالين وجهاتها.

فالقياس طريق يسهل به القيام على اللغة، ووسيلة تمكِّن الإنسان من النطق بآلاف من الكلم والجمل دون أن تقرع سمعه من قبل، أو يحتاج في الوثوق من صحة عريتها إلى مطالعة كتب اللغة أو الدواوين الجامدة لنشرور العرب ومنظومها. وقد يخطر على بالك أن في اللغة العربية ألفاظاً متزادفات باللغات في الكثرة أن يكون للمعنى الواحد عشرات أو مئات من الأسماء، وتؤودُ لو صرف الواضح هذه المتزادفات إلى جانب من المعاني التي تركها لحكم القياس.

وجواب هذا أن للمتزادفات في بلاغة القول، ورصانة تأليف الكلم، وإقامة وزن الشعر، وتمكين القافية - فضلاً لا يغني غيرها فيه غناها؛ فهي من مفاخر اللغة، ودلائل سعة بيانها؛ فالمتزادفات تسد وجوهاً من الحاجة غير الوجوه التي يسدُها القياس، ولا ننسى أن الكثير من هذه المتزادفات قد نشأ من تعدد اللغات، أو من ملاحظة اختلاف دقيق في الأحوال والصفات. هذا وجّه الحاجة إلى القياس في صيغ الكلم واشتقاقها.

ولا يخفى عليك بعد هذا وجه الحاجة إلى فتح باب القياس في نظم الكلام، وما يعرض من الكلم نحو التقديم والتأخير، والاتصال والانفصال، والإعراب والبناء، والمحذف والذكر؛ فإن تبادل الأغراض، وتشعب العلوم، وتفاوت عقول المخاطبين، واختلاف أذواقهم - مما يستدعي إطلاق العنان للمتكلمين، يذهبون في البيان كل مذهب قيم، ويتعلقون منه بكل أسلوب مقبول، حتى يظهر فيهم الخطيب المتصفع، والشاعر المفلق، والكاتب المبدع، والمناظر المفحوم، والمحااضر الغواص على الدرر، والعلامة الجلبي للمعاني الغامضة في أجمل الصور^(١).

تاسعاً: المحدثون والقياس: واجهت العربية مشكلات كثيرة بسبب ما جدّ في العصر الحديث من علوم ومصطلحات، ومذاهب ثقافية وفكرية، ومظاهر حضارية لا حصر لها؛ فعاد المحدثون من علماء العربية إلى السؤال القديم: هل يجوز أن نقيس على كلام العرب؟

فمنهم من منع ذلك، ولم يأخذ به، ومنهم -وهم الأكثريـةـ من رأى القياس باباً جائزاً، وطريقاً حسناً من طرق تنمية اللغة، بل إن القياس يفوق التعرير، والارتجال، والترجمة.

وبعد نقاش طويل توصل المحدثون إلى قبول القياس بالشروط التي ارتاؤها والتي منها:

١- وجود الضرورة أو الحاجة الملحة: فاتفقوا على أن القياس للضرورة أو الحاجة الملحة، ولما وجهة الجديد؛ فتلك دوافع مقنعة تدعو إلى القياس؛ فليست

المسألة ترفاً، ولا لعباً.

٢- أن يكون القياس على المطرد لا النادر.

٣- أن يقوم به المجامع اللغوية، وأن يكون تحت نظر العلماء.

٤- ألا يكون القياس في الأساليب؛ لأننا لسنا بحاجة إليها، وإنما يكون القياس في الصيغ كالمصادر، وأسماء الآلة وغيرهما في حدود الكلمات المفردة.

وفي الدلالات، كالتوسيع في المدلول؛ ليعم، ويستوعب أشياء أخرى، كالخمر عندما توسعوا في مدلولها، والسيارة التي كانت تعني القافلة في القديم؛ فكان هناك خيارات أمام المجامع اللغوية، إما أن نقل معنى قريباً إلى قريب، فيتوسع في السيارة -مثلاً- فُطلق على كل شيء يسير، وإما أن تؤخذ اللفظة الأجنبية؟ ومثال ذلك يقال في قياس قطار.

هذا وقد اقتصر المجمع في بعض دوراته على الأخذ بالقياس في مسائل معينة رأى مسيس الحاجة إليها؛ فكان من قراراته:

١- جعل المصدر الصناعي -وهو ما ختم بياء مشددة بعدها تاء لغير الفاعلة كالجاهلية والرهبانية- مصدرًا قياسيًا.

وذلك لشدة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق العلوم والفنون؛ فبناءً على ذلك قرر المجمع الإتيان بأي مصدر صناعي بإضافة البياء المشددة مثل: اشتراكية، جمهورية.

٢- صياغة (فعالة) للحرفة مثل: جزارة، برادة، نحاته.

٣- كذلك (فعال) للمرض: زِكَام، صُداع، فأي مرض يجوز أن يصاغ على

فعال كما صاغت العرب ما كانت تعرفه.

٤- (تَفْعَل) للدلالة على المبالغة في الشيء والكثرة: ترحال، تجوال.

٥- (مَفْعَلَة): مثل: مأسدة، ومنحلا.

الفصل الرابع: الإبدال، والقلب المكاني

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الإبدال.

المبحث الثاني: القلب المكاني.

الفصل الرابع

الإبدال، والقلب المكاني

المبحث الأول: الإبدال

أولاً: تعريف الإبدال:

- أ - تعريفه في الأصل : الإبدال - في الأصل - جعل الشيء مكان شيء آخر^(١).
- ب - التعريف الصرف للإبدال : هو جعل حرف مكان حرف آخر ، سواء كان الحرفان صحيحين مثل : اصطبر واصتبر ، أو معتلين : قال وباع أصلها : قول وبيع ، أو مختلفين : دينار وقيراط أصلها : دنار وقرّاط.
- والأحرف التي تبدل من غيرها إبدالاً شائعاً مطرداً لغير إدغام تسعة يجمعها : قول ابن مالك : (هدأت موطيأ).

وجمعها بـ بِعْلَةَ في التسهيل في (طوبت قائماً)^(٢).

- ج - التعريف اللغوي للإبدال : يُعرف الإبدال في اصطلاح فقه اللغة بتعريفات أشهرها تعريفان :

- ١ - تعريف الموسعين في الإبدال : حيث يعرفونه بأنه : وضع حرف مكان حرف في الكلمة مع الاتفاق بين الكلمتين في المعنى ، أو تقاربهما.

قال ابن فارس بِعْلَةَ : « ومن سنن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام

١ - انظر لسان العرب ٤٨/١١.

٢ - انظر ضياء السالك إلى أوضاع المسالك لابن هشام شرح محمد النجاشي ٤٨٩-٢٤٨/٤.

بعض، ويقولون: مَدَحَهُ وَمَدَاهُ، وَفِرْسٌ رِّفْلٌ وَرِفْنٌ»^(١).

٢- تعريف غير المتوسعين: كابن جني وغيره من يقيدونه هو: إبدال حرف مكان حرف مع تقاربهما في المخرج، واتحاد الكلمتين في المعنى والمكان، وألا يتصرف أحدهما تصرفاً كاملاً.

ومعنى اتحادهما في المكان: أي أن يكونا في بيئة واحدة^(٢).

مثال ذلك: جداً وجثاً؛ فمعناهما واحد، ومخرجهما واحد، ولكن العرب أبدلوا إحداهما من الأخرى؛ فإن حدى الكلمتين هي الأصل.

أما جاس وحاس فهاتان ليس بينهما اتحاد تام في المعنى والمخرج؛ فليسما داخلين ضمن الإبدال عند غير المتوسعين.

أما المتسعون فيه فيرون أنهما داخلان في الإبدال.

ثانياً: أمثلة أخرى للإبدال: نقل السيوطي رحمه الله في المزهر أمثلة كثيرة للإبدال نقلها عن أئمة اللغة، ومن تلك الأمثلة:^(٣)

١- استأديت عليه، مثل: استعديت.

٢- الأيم والأين: الحياة.

٣- طانه الله على الخير وطامه: يعني جبله.

٤- فِنَاءُ الدار وثُنَاءُ الدار.

١- الصاحبي ص ١٥٤

٢- انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١ و ١٨٠ و ٢١٠ و ٢٨٨ و ٢٥١.

٣- انظر المزهر ٤٦٩-٤٦١/١

- ٥- جَدَثُ وَجَدْفُ لِلْقَبْرِ.
- ٦- وجذوتُ وجثوتُ : والجذو أن تقوم على أطراف الأصابع.
- ٧- نبض العِرق ونبذ.
- ٨- أيا وهيا ، وإياك وهياك.
- ٩- أَرَخْ وورَخْ.
- ١٠- وُشَاحْ وإشاحْ.
- ١١- وسادة وإسادة.
- ١٢- رجل المعي ويلمعي.
- ١٣- الناس والنات ، وأكياس وأكيات.
- ١٤- الأقطار والأقتار : النواحي.
- ١٥- تلعثم ، وتلعدم.
- ١٦- الحثالة والحفالة : الرديء من كل شيء.
- ١٧- الثوم والفوم : الحنطة.
- ١٨- اللثام والللام.
- ١٩- يرتج ويرتك : إذا ترجرج.
- ٢٠- ضباحت الخيل وضبعت.
- ٢١- كدحه وكدهه.
- ٢٢- اطْرَخَمْ واطْرَهُمْ : إذا كان طويلاً مشرفاً.
- ٢٣- وصخرته الشمس وصهرته إذا اشتد وقعها عليه.

٢٤- نزغه ونسفه : إذا طعنه.

٢٥- الشَّرْزُ والشَّرْصُ : الغلظ من الأرض.

٢٦- أملصت الناقة وأملطت : ألت ولدها ولم يشعر.

٢٧- في صدره علي حَسِيفَة وحَسِيْكَة ، أي غل وعداوة.

٢٨- الغيم والغين : السحاب.

ثالثاً: الفروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي: هناك فروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي ومنها :

١- أن الصرفي له قواعد منضبطة ثابتة كما أنه مطرد من قاسم مثل إبدال الواو أو الياء همزة في اسم الفاعل : نحو : قائل ، وبائع.

أما اللغوي فهو سمعي لا ينقاس ولا يطرد.

٢- الإبدال الصرفي ضروري في الاستعمال؛ فالإبدال واجب في مثل : قاول ، وسماو ، فلا بد أن يقال : قائل ، وسماء.

أما الإبدال اللغوي فليس ضرورياً، وإنما هو للتوسيع ، أو الميل إلى اليسر والسهولة.

٣- الإبدال الصرفي لا يجوز فيه استعمال الصيغة الأصلية مثل : قاول وإنما يقال : قائل - كما مر - فالصيغة الأولى لا تستعمل؛ لأنها لا وجود لها في اللغة ، وإنما يؤتى بها للتوضيح والتعليم.

أما الإبدال اللغوي فالصيغتان تستعملان لأن ينطق العرب بالذال أو الثاء مثل : جدا ، وجثا.

٤- الإبدال الصرفي يقع في حروف محدودة فابن مالك - كما مر - يراها تسعه. جمعها في قوله: (هدأت موطياً) وفي التسهيل يراها ثانية جمعها في قوله: (طويت دائمًا).

وعلى اختلاف عدتها فهي محصورة.

إما الإبدال اللغوي فليس له حروف محصورة؛ لأنها سمعي واللهجة كلها مجال لها.
رابعاً: التأليف في الإبدال^(١): تنبه علماء العربية للإبدال، وعنوا بجمع الألفاظ المبدلية والتأليف فيها.

ومن أشهر من ألف في هذا ابن السكّيت في كتابه (القلب والإبدال). وهو من الذين ينظرون إليه بالمعنى العام، ويعني بالقلب: الإبدال نفسه؛ فهو تفسير له.

ومن ألف في الإبدال: الزجاجي وهو من علماء القرن الرابع؛ حيث ألف رسالة صغيرة سماها: (الإبدال والمعاقبة والنظائر).

وهي أصغر من كتاب ابن السكّيت.

وكذلك أبو الطيب اللغوي جمع كتاباً سماه (الإبدال). وهو أوسع كتاب في العربية في الإبدال، ويقع في مجلدين، ويظهر فيه أنه يمثل أوسع تعريف للإبدال؛ حيث لم يشترط الاتفاق بين الكلمتين في المعنى فحسب، وإنما يجعل التقارب بين الكلمتين داخلاً في الإبدال.

كذلك ابن مالك له كتاب مطبوع اسمه (وافق المفهوم في اختلاف المقول

والرسوم) وقد حققه بدر الزمان النبالي (ط ١٤٠٩ هـ) مكتبة الإيمان في المدينة المنورة.

أما الكتب التي تكلمت على الإبدال ضمناً فكثيرة؛ فابن فارس أشار إليه في الصاحبي، وكذلك ابن جني؛ حيث ذكره في مواضع متعددة في الخصائص، وكذلك السيوطي في المزهر؛ حيث أفرد النوع الثاني والثلاثين في معرفة الإبدال، وكذلك أورده في مواضع أخرى من المزهر.

وأما أوسع الكتب التي تكلمت على الإبدال ضمناً وأعظمها فهو كتاب (سر صناعة الإعراب) لا بن جني؛ حيث أودعه خلاصة أرائه وأراء شيخه أبي علي الفارسي في الإبدال، فمن ضمن ما أورده ابن جني في ذلك الكتاب أنه أفرد لكل حرف من حروف العربية باباً ذكر فيه أحواله، وتصرفة في الكلام من أصليته، وزيادته، وصحته، وعلته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه، فهو - بحق - لم يؤلف مثله بعده في بابه.

وكما اعنى القدماء بالإبدال فكذلك اعنى به المحدثون، ومن الكتب التي تكلمت عليه ضمناً كتاب (من أسرار اللغة) لإبراهيم أنيس، و(الاشتقاق) لعبد الله أمين، وغيرهما.

خامساً: أسباب حدوث الإبدال: بين علماء العربية - وخصوصاً من ألف منهم في الإبدال - أسباب حدوثه، وأشهر تلك الأسباب ما يلي :

- ١- اختلاف اللهجات العربية : فيرون - على سبيل المثال - أن قبيلة تقول : ثوم، وجذف ، والأخرى تقول : فوم ، وجذف مما يدل على أنه ليس مطرداً .
- قال السيوطي : « قال أبو الطيب في كتابه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد

تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة؛ تتقرب اللفظتان في لغتين معنىً واحداً، حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد.

قال : والدليل على أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى .

وكذلك إيدال لام التعريف ميماً ، والهمزة عيناً كقولهم في أن : عن؛ لاشتراك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون «^(١)».

٢- التقارب الصوتي : فحلول صوت مكان صوت يؤدي إلى البدل؛ فكثير من الكلمات التي بينها تقارب صوتي وقع فيها إيدال؛ للتغيير الصوتي؛ وذلك لأن تكون قبيلة تميل إلى الترقيق فتبدل الصاد سيناً، أو العكس كأن تميل بعض القبائل إلى التفخيم فتبدل السين صاداً.

مثال ذلك : قول : صَرْقُ وسَقْرُ ، ويساقون ، ويصاقون ، وصَرْخُ وسَخْرُ : مصدر سخرت منه إذا هزأت.

وصماخ وسماخ : ثقب الأذن.

قال السيوطي : «قال ابن خالويه في شرح الفصيح : أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصممي قال : اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما بالسین وقال الآخر بالصاد؛ فتحاكما إلى أعرابي ثالث ، فقال : أما أنا فأقول : الزَّقَرُ بالزَّاي ، قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاثة لغات» ^(٢).

١- المهر ٤٦٠/١.

٢- المهر ٤٦٠/١.

٣- التحريف والتصحيف: وهي الأخطاء التي ترد أحياناً إما عن طريق القراءة، أو السمع.
وذلك لأن ترد كلمة بالدال واللام؛ فيعزى ذلك إلى التصحيف أو التحريف؛
لأنه لا يمكن أن يحدث بين هذين الحرفين إبدال.

هذا وقد كتب أبو أحمد العسكري - وهو عم أبي هلال العسكري صاحب الصناعتين- كتيباً سماه (التصحيف والتحريف) ولم يدع أحداً من مشهوري اللغويين إلا جرمه وعابه ببعض التصحيف أو التحريف.

ومن نسب إليهم التصحيف في هذا الكتاب أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنباري، والأصممي؛ فقد روى عنه أنه كان ينشد بيت الحطينة:

وَغَرِّتْنِي وَزَعْمَتْ أَنْ
كَلَّابِنْ بِالصِّيفِ تَامِرْ
فَقَالَ :

وَغَرِّتْنِي وَزَعْمَتْ أَنْ
كَلَّا تَنِي بِالصِّيفِ تَامِرْ
وكان في مجلس فيه أبو عمرو بن العلاء فقال أبو عمرو: أنت - والله - في تصحيفك أشعر من الحطينة.

ومهما يك من شيء فإنه ليس من اليسير أن يحكم بصفة قاطعة على وقوع التصحيف في كلمة بعينها^(١).

سادساً: الإبدال بين المتشعين فيه والمضيقين له: مر بنا في بداية الحديث

١- انظر من أسرار اللغة ص ٨٤-٨٥.

عن الإبدال عند اللغويين أن له تعرفيين أحدهما تعريف الموسعين فيه ، والآخر تعريف المضيقين له.

والحديث هنا بيان لبعض الفروق بين هذين المذهبين في الإبدال؛ فأكثر القدامى يتسعون فيه -كما مر- .

أما بعض القدامى كابن جني وجميع المحدثين فإنهم يضيقون فيه ، ويضيفون إلى التعريف العام شيئاً من القيود ومنها :^(١)

١- التقارب الصوتي : فهو شرط أساس عند المحدثين وابن جني؛ فهو لا يرى الإبدال إلا إذا كان بين حرفين متقاربين في المخرج كالذال والثاء ، والراء واللام . ويمثلون لما ليس من الإبدال به : نصنص ونضنض : أي حرك لسانه ، فيرى ابن جني أن هاتين الكلمتين أصلان ، وليسوا من الإبدال؛ لأن الصاد ليست أخت الصاد في المخرج ، وإن اتفقا في المعنى.

يقول بخت الله : «فاما قولهم : نضنض لسانه ، ونصنصه : إذا حرکه فأصلان ، وليست الصاد أخت الصاد فتبدل منها.

وأخرني أبو علي -يعني الفارسي- يرفعه إلى الأصممي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : سألت ذا الرمة عن النضاض فأخرج لسانه ، فحركه ، وأنشد :

تبيت الحية النضاض منه مكان الحب يسمع السرارا»^(٢)

وكذلك قال في حثثوا وحثثوا؛ فهو يرى أنهما أصلان.

١- انظر سر صناعة الإعراب ١٨٠/١ و ٢١٠ و ٢٢٨ و ٢٥١ .

٢- سر صناعة الإعراب ٢١٣/١ .

ونقل عن شيخه أبي علي الفارسي أنه قال مبينا العلة في ذلك: «فاما الحاء
فبعيدة من الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع قلب إحداهما إلى أختها»^(١).

وقد اتخذ ابن جني في هذه القضية المقياس الذي همس به في أذنه شيخه أبو علي الفارسي، وجعله قانوناً للإبدال، ويتلخص هذا الأصل في أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك كـ: الدال، والطاء، والتاء، والذال، والظاء، والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه^(٢).

٢- قلة التصرف لأحد اللفظين: وذلك بـألا يتصرف أحد اللفظين تصرفًا كاملاً، أما إذا تصرف كـلُّ منهما تصرفًا تاماً من ناحية الأفعال، أو المستقىات فلا يكونان من الإبدال؛ بل يكون كـلُّ واحد منهما أصلًا بـذاته.

فلو وجد التقارب الصوتي كما بين الذال ، والثاء ولكن التصرف كامل في كلام اللقطين لم يعد ذلك من الإبدال عند ابن جنى .

مثال ذلك: جَدَثٌ وَجَدَفُ: والجمع أجداث وأجداف وهي القبور.
يرى ابن جني أن ذلك من الإبدال؛ لعدم اكتمال التصرف في أحد اللفظين؛
فال الأول منها يتصرف تصرفًا تاماً بحيث يقال: جدث، وأجداث، وأجداث،
وما جرى مجرى ذلك.

ولا يقال مثل هذا في : جدف؛ إذ لم يسمع أجدفت...
وكذلك : بل ، وبين :

١- سر صناعة الإعراب ١٨٠/١

^٢- انظر سر صناعة الإعراب ٣٦١ و ١٨٠.

أما مثل : هن وهن فلا يرى أنهم من الإبدال وإن كان بينهما تقارب صوتي؛ لأنهما أصلان لتساويهما في التصرف . وبهذا يخرج ألفاظاً كثيرة في اللغة من الإبدال .

قال ابن جنني رحمه الله : «فمتى أمكن أن يكون الحرفان جمِيعاً أصلين كل واحد منها قائم برأسه لم يُسْعِ العدول عن الحكم بذلك؛ فإن دلَّ دالٌّ، أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما عن صاحبه عَمِيل بموجب الدلالة، وصير إلى مقتضى الصنعة .

ومن ذلك : سُكُر طرزل وطبرزن : هما متساويان في الاستعمال؛ فلست بأن تجعل أحدهما أصلاً لصاحب أولى منك بحمله على ضنه .

ومن ذلك قولهم : هلت السماء وهنت : هما أصلان؛ ألا تراهما متساوين في التصرف؛ يقولون : هنت السماء تهنت تهتانَا، وهلت تهلت تهتالَا، وهي سحائب هُنَّ وهَنَّ، قال امرؤ القيس :

كُلَّىٰ مِنْ شَعِيبٍ ذَاتٍ سَحْ وَهَنَّا
فَسَحَتْ دَمْوَعِي فِي الرَّدَاءِ كَانَهَا

وقال العجاج :

عَزَّرْ مِنْهُ وَهُوَ مُغْطَى الإِسْهَالِ
ضرب السواري متنه بالتهتان»^(١)

إلى أن قال : «فاما قولهم : ما قام زيد بل عمرو وبَنْ عمر فالنون بدل اللام؛ ألا ترى كثرة استعمال بل، وقلة استعمال بن، والحكم على الأكثر لا على الأقل ، هذا هو الظاهر من أمره ، ولست - مع هذا - أدفع أن يكون (بن) لغة

قائمة برأسها^(١).

ويقر هذا المعنى في سر صناعة الإعراب قائلاً: «وإذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان - فالوجه وصحيح القضاء أن نحكم بأنهما كليهما أصلان منفردان، ليس واحداً منهما أولى بالأصلية من صاحبه؛ فلا تزال على هذا معتقداً له حتى تقوم الدلالة على إيدال أحد الحرفين من صاحبه.

وهذا عيارٌ في جميع ما يرد عليك من هذا؛ فاعرفه، وقس عليه تُصب - إن شاء الله -»^(٢).

٣- اتحاد المكان: ومعنى ذلك أن تكون الكلمتان مستعملتين في بيئه واحدة؛ لذلك فإن ابن جني يرى أن كثيراً من الألفاظ ليست من الإبدال؛ لأن إدراهما لجماعة، والأخرى لجماعة أخرى.

ومن أمثلة ذلك: أن قريشاً تقول: كشطت، وتماماً تقول: قشطت؛ فالكاف ليست بدلاً من القاف؛ لأن الكلمتين اجتمعتا في قبيلتين؛ فيكون ذلك من اختلاف اللهجات لا من الإبدال.

٤- الاتفاق التام في المعنى: فإذا أمكن إيجاد فارق بين الكلمتين أخرجاها من الإبدال.

مثال ذلك: هز وأز؛ فالذين يتسعون في الإبدال يجعلون هذين اللفظين من الإبدال، والذين يقيدونه ببعض القيود يخرجونه من الإبدال؛ فيرون أن بينها

١- الخصائص ٤٥٢/١.

٢- سر صناعة الإعراب ١/٢١٠.

فارقًا؛ فالهز للشيء الضعيف، والأذ للشيء القوي.

سابعاً: كييفية معرفة الأصل في الإبدال: إذا اتفق على وجود الإبدال في لفظين سواء عند المتسعين فيه أو عند غيرهم كابن جني، فكيف يُعرف الأصل منهما؟

والجواب أن ذلك صعب؛ وصعوبته تتفاوت من كلمات إلى أخرى، ويحتاج إلى كثرة اطلاع، ورجوع إلى كتب العربية.

ومهما يك من شيء فيمكن أن يتوصل إلى ذلك بأمور مرت الإشارة إليها فيما مضى، ويمكن أن تلخص في أمور ثلاثة:

١- **كثرة الاستعمال:** فقد يكون أحد اللفظين أكثر استعمالاً من الآخر؛ فيحكم على الكثير بأنه هو الأصل - كما مر التمثيل به: بل وبن.
ومن ذلك - أيضًا - ثم وفم.

قال ابن جني رحمه الله : «وكذلك قولهم: قام زيد فم عمرة: الفاء بدل الثاء في ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالاً»^(١).

٢- **كثرة التصرف:** بحيث يكون أحد اللفظين أكثر تصرفًا من الآخر - كما مر - .
فيحكم على كثير التصرف بأنه الأصل، وقد مر أمثلة على ذلك.

ومنها ما ذكره ابن جني حيث قال: «وكذلك قولهم: رجل خامل، وخامن،
اللون فيه بدل اللام؛ ألا ترى أنه أكثر، وأن الفعل عليه تصرف، وذلك قولهم:

يَحْمُلُ خَمْوَلًا^(١).

٣- أن ينص أحد العلماء على الأصل: لأن يقول الخليل، أو الأصمعي أو غيرهما: إن هذه الكلمة هي الأصل.

قال ابن فارس رحمه الله: «وذكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله -جل ثناؤه-: ﴿فَجَاسُوا﴾ إنما أراد: (فحاسوا) فقامت الجيم مقام الحاء، وما أحسب الخليل قال هذا، وما أحّقّه عنه»^(٢).

قال ابن جنني: «قال الأصمعي: يقال: جُعْشوش^(٣)، وجُعْسوس، وكل ذلك إلى قمأة وقلة وصغر.

ويقال: هم من جعاسيس الناس، ولا يقال بالشين في هذا؛ فضيق الشين مع سعة الشين يؤذن بأن الشين بدل من السين»^(٤).

ثامناً: آثار التوسيع في الإبدال: مما سبق تبين أن ابن جنني والمحدثين يضيقون في الإبدال، وأن بعض علماء العربية وخصوصاً الأوائل يتسعون فيه. وقد نتج عن ذلك التوسيع عرض عرض مسائل عديدة تبين ارتباط الإبدال بغierre من موضوعات فقه اللغة، ومن ذلك ما يلي:

١- علاقة الإبدال بالترادف: فبعض الذين تحدثوا عن الإبدال عمدوا إلى بعض الألفاظ المترادفة وعدوها من قبيل الإبدال.

١- الخصائص ٤٥٢/١.

٢- الصاحبي ص ١٥٤.

٣- جعشوش وجسس: هو القصیر الثیم.

٤- الخصائص ٤٥٣/١.

ومن ذلك صنيع صاحب كتاب (الجاسوس على القاموس) أحمد بن فارس الشدياق؛ حيث جمع أربعين صفحة من ذلك، وإن كان صاحب القاموس لم يقصد كونها من الإبدال.

مثلاً كلمة : الأَمْدُ بمعنى الأجل والأمد؛ فيأخذ الأمد ويعدها من الإبدال.
ومثل كلمة : مُحَقٌّ ، وَمَحَا ، يرى الشدياق أن هذا من الإبدال؛ لأن بينهما معنى عاماً.

فمن يأخذ كل كلمة من هاتين الكلمتين بمعناها الدقيق لا يجد إبدالاً ، وإنما على سبيل التقرير؛ إذ ليس من الضروري عندما تفسر الكلمة بكلمة أن تأتي بمثلها ، بل على سبيل التقرير ، ولا يعني أن تكون مبدلة منها.

٢- مسألة الفروق الدلالية : فإن جندي يتشرط في الإبدال أن يكون المعنى دقيقاً ، وبينهما اتفاق تام.

أما المتوسعون فيهملون الفروق الدلالية أحياناً ، ويدخلون في الإبدال ما كان معناه عاماً أو ليس دقيقاً.

ومن ذلك : أومأـت ، وأوبـأـت ، فهـاتـانـ الـلـفـظـاتـ بـيـنـهـمـاـ اختـلـافـ؛ فـكـلـ وـاحـدةـ مـنـهـمـاـ لـهـاـ معـنـىـ خـاصـ.

ولكن المتوسعين يتـركـونـ هـذـهـ الـأـمـورـ، وـيـجـعـلـونـ بـيـنـهـمـاـ معـنـىـ عامـاًـ، وـهـوـ الإـشـارـةـ، وـيـعـدـونـ ذـلـكـ مـنـ الإـبـدـالـ.

ومثـلـ ذـلـكـ : اللـثـامـ، وـالـلـفـامـ.
فتـنـاسـيـ الفـروـقـ، وـإـهـمـالـهـاـ يـتـنـجـ الـتـرـادـفـ وـالـإـبـدـالـ.

كذلك كلمة نهش ونهس وردتا في الإبدال والترادف، وإن كان هناك فرق بينهما، ولكن المعنى العام هو العض؛ فجعلوه من الإبدال، مع أن هناك فرقاً من الناحية الدلالية.

فنشأ من التوسع خلط بينها وبين الترادف.

٣- **الألفاظ الأعجمية**: التي ليس لها أصوات في العربية؛ فترتُّدُ على سبيل المثال- في كتب العربية كلمة: التوت، وأصلها بالفارسية: التوت.

ومن العرب من استخدمها بالثاء، على أصلها الفارسي، ومنهم من أبدلها تاء.

٤- **ربط الإبدال بالاشتقاق**: فبعض المحدثين صنع ذلك، حيث قال: إنه من عوامل تنمية اللغة أو الاشتقاد، وعده بعضهم أحد أنواع الاشتقاد، وسماه الاشتقاد الكبير أو الأكبر كما صنع عبدالله أمين^(١) أو الأكبر كما في أصول اللغة والنحو لسعيد الأفغاني^(٢).

وبعض المحدثين -كفؤاد ترزي- لا يرون ذلك، بل يرون أن الإبدال يتنافي وطبيعة الاشتقاد، وحجتهم في ذلك:

- أن الاشتقاد في أساسه لا يهدف إلى الترادف ولا يؤول إليه.

- أن ابن جني الذي توسع في مفهوم الاشتقاد إلى حد أن أدخل فيه القلب اللغوي لم يُعدَّ الإبدال من ضروريه^(٣).

أما القدماء فلم يتعرضوا بذلك، لأنه ليس متعمداً.

١- انظر الاشتقاد لعبدالله أمين ص ٣٣٣.

٢- انظر في أصول اللغة والنحو لسعيد الأفغاني ص ١٢٣.

٣- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢٠٧-٢٠٨.

المبحث الثاني: القلب المكاني

من الحديث عن القلب المكاني عند الكلام على الاستفاق، والحديث عنه هنا سيكون فيما يلي:
أولاً: تعريفه:

أ - في اللغة: القلب في اللغة تحويل الشيء عن وجهه^(١).
ب - في الاصطلاح: هو تقديم وتأخير في بعض حروف اللفظة الواحدة؛ فتنطق على صورتين بمعنى واحد^(٢).

مثاله: جذب، وجذب، وما أطيبه، وما أيطبه.

ثانياً: آراء العلماء في القلب المكاني^(٣): اختلف العلماء في القلب؛ فمنهم من يراه ويوسعه، ومنهم من يضيقه، ومنهم من أنكره، وإليك ذكر أقوالهم بإيجاز:

١ - ذهب اللغويون إلى وجود القلب، وإلى توسيع دائرته؛ فهم يرون أن كل ما جاء من قبل (جذب وجذب) فهو مقلوب، ولا يعد ذلك إلا لغة واحدة من وضع واحد.

وكان هذا التقديم والتأخير إنما هو عارض في المنطق لسبب من الأسباب

١ - انظر لسان العرب ٦٨٥/١.

٢ - تاريخ أداب العرب ص ١٨٦.

٣ - انظر المزهر ٤٧٦-٤٨١، وتاريخ أداب العرب ص ١٨٦-١٨٧.

اللسانية كالخلفة والثقل.

يقول ابن فارس رحمه الله : «ومن سنن العرب القلبُ، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة^(١) .

فأما الكلمة فقولهم : جذب وجبذ ، وبكل ولبك وهو كثير ، وقد صنفه علماء اللغة ، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله - جل ثناؤه - شيء^(٢) .
هذا وقد تابع اللغويين في ذلك النحويون من الكوفيين.

٢- وذهب البصريون إلى أن القلب لا يكون إلا إذا لم يمكن أن يكون اللفظان جمِيعاً أصليين؛ بحيث يقصُّ أحدهما عن صاحبه ، ولا يساويه.

ويرىون أن من أدلة القلب عدم وجود المصدر ، وعدم وجود الإعلال مع وجود موجبه ، وقلة الاستعمال ، وقلة التصرف^(٣) .

ويثنون لذلك بأمثلة منها قولهم : فلان شاكِي السلاح وشائِك ، وجرف هارٍ وهائر.

وحيثئذ يعدون أوسع اللفظين أصلاً للثاني ، ويعدون الثاني مقلوباً عنه ، ويكون ذلك عندهم من قبيل الوضع الواحد.

وكل ما عدا ذلك مما يتصرف فيه اللفظان تصرفاً واحداً كـ: جذب وجبذ
فليس بقلب عندهم ، وإنما هما لغتان من وضعين مختلفين ، وبذا يُعد كلٌّ من

١- يزيد بقوله : القصة : العبارة والكلمات كما مثل على ذلك بقوله : أدخلت الخاتم في أصبعي.

٢- الصاحبي ص ١٥٣.

٣- انظر الخصائص ١/٤٤٢-٤٤٥ و ٢٠٥-٢٠٦.

اللفظين أصلاً مستقلاً.

قال السيوطي: «قال النحاس في شرح المعلقات: القلب الصحيح عند البصريين مثل: شاكي السلاح وشائك، وجرف هار وهائر. وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جبذ وجذب فليس بقلب عند البصريين، وإنما هما لغتان، وليس بمنزلة شاكٍ، وشائك؛ ألا ترى أنك قد أخرت الياء في شاكي السلاح؟

وقال السخاوي في شرح المفصل: إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً؛ لثلا يلتبس بالأصل، بل يُقتصر على مصدر الأصل؛ ليكون شاهداً للأصلية نحو يئس يأساً، وأيس مقلوب منه ولا مصدر له؛ فإذا وجد المصدران حكم النهاة بأن كل واحد من الفعلين أصلٌ وليس بمقلوب من الآخر، نحو جبذ وجذب. وأهل اللغة يقولون: إن ذلك كله مقلوب»^(١).

وقال ابن جني: «اعلم أن كلَّ لفظين وُجِدَ فيهما تقديم وتأخير فامكن أن يكونا جميعاً أصلين ليس أحدهما مقلوباً على صاحبه - فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل، وأيهما الفرع، وسنذكر وجوه ذلك.

فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جَذَبْ، وجَبَذْ؛ ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً، نحو جذب يجذب جذباً فهو جاذب، والمفعول مجنوب، وجذب يجذب جذباً فهو جاذب، والمفعول مجنوب.

فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلًا لصاحبه فسد ذلك؛ لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعده بهذه الحال من الآخر.

فإذا وقفت الحال بينهما ولم يُؤثِّرْ بالمزية أحدهما وجب أن يتوازيا ، وأن يمثلا بصفحتيهما معاً ، وكذلك ما هذه سبيله .

فإن قَصَرَ أحدهما عن تصرف صاحبه ، ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفاً أصلًا لصاحبه .

وذلك كقولهم : أَنِّي الشَّيْءُ يَأْنِي ، وَآنِّي يَئِنْ ، فَآنَ مَقْلُوبٌ عَنِّي .
والدليل على ذلك وجودك مصدرَ أَنِّي يَأْنِي وهو الإِنْي ، ولا تجدر لـ : آن مصدرًا؛ كذا قال الأصمسي»^(١) .

٣ - وذهب بعضهم إلى إنكار القلب : قال السيوطي : «ذهب ابن درستويه إلى إنكار القلب؛ فقال في شرح الفصيح : في البطيخ لغة أخرى طبیخ بتقديم الطاء ، ولنست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون ، وقد بينما الحجة في ذلك في كتاب : إبطال القلب»^(٢) .

ثالثاً: من الأمثلة على القلب: عقد السيوطي في المزهر، النوع الثالث والثلاثين للقلب ، واستقصى كثيراً من أمثلته ، ومنها: نفر الشيطان بينهم لغة في

١- المصادف ٤٤٢/١.

٢- المزهر ٤٨١/١.

نزع ، وكلام حوشى ، ووحشى ، والأوباش من الناس : الأخلاط مثل : الأوشاب ، والمقاط حبل مثل القماط ، وعمج في السير ، ومعج ، وقلقلت الشيء ، ولقلقته . هذا وقد مر ذكر لأمثلة على القلب عند الحديث عن الاشتقاء .

الفصل الخامس: المشجر، والإتباع، والنحت

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المشجر.

المبحث الثاني : الإتباع.

المبحث الثالث : النحت.

الفصل الخامس

المشجر، والإتباع، والنحت

المبحث الأول: المشجر

وهذا مما استخرجه اللغويون من الاشتراك في اللغة ، ومداخلة الكلام للمعاني المختلفة ، والحديث عنه سيكون من خلال ما يلي :

أولاً: تعريفه:

أ- في اللغة: هو اسم مفعول للفعل شَجَر يشجر تشجيراً.

قال ابن فارس رحمه الله في مادة (شجر) : «الشين والجيم والراء أصلان متداخلان يقرب بعضهما من بعض ، ولا يخلو معناهما من تداخل الشيء بعضه في بعض ، ومن علو في شيء وارتفاع» ^(١).

إلى أن قال : «والمشجر سمي مشجر التداخل بعضه في بعض» ^(٢).

ب - وفي الاصطلاح : أن يؤتى بالكلمة المشتركة - كالعين مثلاً - فتعد شجرة يفرع من معانها المختلفة فروعاً، فيُسترسل في تفسير الكلام على الوجه المشترك ، حتى تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر ، وكلها متسلسلة في الكلمة واحدة ، على نحو ما سيأتي من أمثلة ^(٣).

١- معجم مقاييس اللغة ٢٤٦/٣ - ٢٤٧.

٢- معجم مقاييس اللغة ٢٤٦/٣ - ٢٤٧.

٣- انظر تاريخ آداب العرب ص ١٩٤.

ثانياً: التأليف المشجر^(١): أول من وضع كتاباً في ذلك أبو عمر المطرّز الرواية المتوفى سنة ٣٤٥هـ؛ فقد عمل عليه كتاباً سماه (المداخل) في اللغة. وكان يعاصره أبو الطيب اللغوي المتوفى سنة ٣٥١هـ؛ فعل كتاباً سماه (شجر الدر) وقال: «هذا كتاب مُداخلة الكلام للمعاني سميته كتاب (شجر الدر) لأننا ترجمنا كل باب منه بشجرة، وجعلنا لها فروعاً؛ فكل شجرة مائة كلمة، أصلها كلمة واحدة، وكل فرع عشر كلمات إلا شجرة ختمنا بها الكتاب، عدد كلماتها خمسمائة كلمة، أصلها كلمة واحدة»^(٢).

وهكذا ابتدع أبو الطيب هذه التسمية لهذا النوع من اللغة. ثم جاء أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله التميمي المتوفى في قرطبة سنة ٥٣٨هـ، فوضع كتابه الذي سماه (المسلسل). وقد ضمن كتابه خمسين باباً افتتح كل باب منها بشعر عربي، وختمه بمثل ذلك.

ثالثاً: سبب التسمية: سمي بذلك -كما يقول أبو الطيب اللغوي- لاشتجار بعض كلماته بعض، أي تداخله؛ فكل شيء تداخل بعضه بعض فقد تشارج^(٣). **رابعاً: أمثلة للمشجر^(٤):** مثال الشجرة. العين: عين الوجه، والوجه: القصد، والقصد: الكسر، والكسر: جانب الخبراء، والخبراء: مصدر خيّبات

١- انظر المزهر ٤٥٤/١، وتاريخ آداب العرب ص ١٩٤.

٢- المزهر ٤٥٤/١.

٣- انظر المزهر ٤٥٤/١، ومعجم مقاييس اللغة ٣/٢٤٧.

٤- انظر المزهر ٤٥٤/١-٤٥٥.

الرجل إذا اختبأ له خباء، وخبأ لك مثله، والخباء: السحاب، والسحاب: اسم عمامة النبي ﷺ والنبي: التلّ العالي، والتلّ: مصدر التليل وهو المتصروع على وجهه والتليل: صفح العنق، والعنق، الرجل من الجراد، والرجل: العهد، والعهد: المطر المعاود، والمعاود: المريض الذي يعودك في مرضك، وتعوده في مرضه، والمريض: الشاك، والشاك: الطاعن يقال: شَكَهْ إذا طعنه، والطاعن: الداخل في السن إلى آخر ما في المشجر.

- مثال آخر: العين: عين الشمس، والشمس: شamas الخيل، والخيل: الوهم، والوَهْم: الجمل الكبير، والجمل: دابة من دواب البحر، والبحر: الماء الملح، والملح: الحرمة، والحرمة: ما كان للإنسان حراماً على غيره، وحرام: حي من العرب، والحي: ضد الميت.

وفي الكتب المؤلفة من هذا النوع أمثلة كثيرة من ذلك^(١).

- مثال آخر^(٢): الأولى: الأول، وأول: يوم الأحد، والأحد الواحد، والواحد: الفرد: والفرد: الثور، والثور: الظهور، والظهور: الغلبة، والغلبة: جمع غالب، وغالب: أبو لؤي، ولؤي: تصغير لأي، واللائي: الثور، والثور: فحل البقر، والبقر: الفرق، والفرق: تباعد ما بين الثنایا، والثنایا: العقاب، والعقاب: الموالة، والموالة: المظاهرة، والمظاهرة: لبس الثوب على ثوب، والثوب: الرجوع، والرجوع: الكُرُّ، والكر: حبل النخل، والنخل: الخيار،

١- انظر المزهر ٤٥٧/١.

٢- انظر تاريخ آداب العرب ص ١٩٥-١٩٦.

والخيار: الحكم، والحكم: الحكمة، والحكمة: العلم والعدل، والعدل: القيمة، والقيمة: الثمن، والثمن: العوض، والعوض: البدل، والبدل: الخلف، والخلف: الجبر، والجبر: إصلاح الكسر، والكسر: كسر جانب البيت، والبيت: الزوج، والزوج: النمط، والنمط من الناس: الضرب، والضرب من الرجال: المشوق القَدَّ، والقد: قطع السير، والسير: سرعة المشي، والمشي: سعي الواشي، والواشي: الْمُحَسِّنُ: والمُحَسِّنُ: اسم إنسان، والإنسان: صبي العين، والعين: خاصة الملك، والملك: الصَّيْدَنُ، والصَّيْدَنُ: الشعلب، والشعلب: ما يدخل السنان في القناة، والقناة: القامة، والقامة: جمع قائم، والقائم: مقبض السيف، والسيف: الضرب به، والضرب: الذهاب في الأرض، والأرض: الرُّعدة، والرُّعدة: الرُّعش، والرُّعش: سرعة الظليم، والظليم: اللبن قبل الرَّوب، والرَّوب: خثارة النفس من كثرة النوم، والنوم: الكرا، والكرا: طائر، والطائر: عمل العامل، والعامل من الرمح: الصدر، والصدر: الأول.

المبحث الثاني: الإتباع

أولاً: تعريفه:

أ - في اللغة: الإتباع في اللغة هو السير في الأثر^(١).

ب - تعريفه في الاصطلاح: قال ابن فارس رحمه الله: «الإتباع: وهو أن تُتبع الكلمة على وزنها، أو رويها إشباعاً وتأكيداً»^(٢).

ثم مثل للإتباع قائلاً: «وذلك قولهم: ساغبٌ لاغبٌ، وهو خبٌ ضب، وخرابٌ يباب»^(٣).

ثانياً: سبب التسمية: سمي إتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلّم بالثانية منفردة^(٤).

ثالثاً: الفرق بين الإتباع والترادف، والإتباع والتأكيد: قال السيوطي رحمه الله: «قال التاج السبكي في شرح منهاج البيضاوي: ظن الناس أن التابع من قبيل المترادف؛ لشبهه به.

والحقُّ الفرقُ بينهما؛ فإن المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تَقْدُمُ الأول عليه، كذا قاله

١- انظر لسان العرب ٨/٢٩.

٢- الصاحبي ص ٢٠٩.

٣- المزهر ١/٤١٥.

الإمام فخر الدين الرازي.

وقال الأمدي : التابع لا يفيد معنى أصلاً؛ ولهذا قال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم: بَسَن^(١)، قال: لا أدرى ما هو.

قال السبكي : والتحقيق أن التابع يفيد التقوية؛ فإن العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضر، بل مقتضى قوله: (لا أدرى) معناه أن له معنى وهو لا يعرفه.

قال : والفرق بينه وبين التأكيد أن التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز، وأيضاً فالتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبع ، والتأكيد لا يكون كذلك»^(٢).
رابعاً: أمثلة للإتباع^(٣):

نقل السيوطي رحمه الله في المزهر ألفاظاً كثيرة في الإتباع منها:
قسيم وسيم ، ضئيل وبسيل ، عطشان نطشان ، قبيح شقيع ، وخبيث نبيث ، وشيطان ليطان ، وسائع لائع ، وحارٌ يارٌ ، وهو أشِرْ أَفِرْ ، وإنه لَهَذِرْ قَنِيرْ ، وعين حدرة بدرة ، ورجل سدمان ندمان ، ورجل خياب تياب ، وإنه عَجَرَبْ مدرب ، وخائب لائب ، وفرس صلتان فلتان.

١- يعني قولهم: هذا حسن بسن.

٢- المزهر ٤١٥-٤١٦.

٣- انظر المزهر ٤١٥-٤٢٥.

المبحث الثالث: النَّحْتُ

لون من ألوان الاختصار، ونوع من أنواع الاستدراك عند المحدثين، والحديث

عنه سيتناول ما يلي :

أولاً: تعريفه:

أ - تعريفه في اللغة: هو مصدر الفعل نحت ينحت نحتاً، أي شقّه وبراه،
وهذه.

قال ابن فارس بِحَمْلَةِ اللَّهِ: «النون والراء، والتاء كلمة تدل على نحر شيء،
وتسويته بحديدة.

ونحت النجار الخشبة ينحتها نحتاً.

والنحوية: الطبيعة، يريدون الحالة التي نحت عليها الإنسان كالغريزة التي
غرز عليها، وما سقط من المنحوت: *نُحَاطَه*»^(١).

وقال ابن منظور بِحَمْلَةِ اللَّهِ: «ونحت الجبل ينحته: قطعه، وهو من ذلك.

وفي التنزيل: **﴿وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾**^(٢).

ب - تعريفه في الاصطلاح: أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة.

أو هو: استخراج الكلمة واحدة من كلمتين أو أكثر^(٣).

١- معجم مقاييس اللغة ٤٠٤/٥.

٢- لسان العرب ٢/٩٧.

٣- انظر من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ص ٨٦.

ومعنى ذلك: أن يُعمَدَ إلى كلمتين فأكثر، فيجعلَ منها كلمة واحدة تعبَر عن الكلمتين.

مثال ذلك: عبشي: نسبة إلى عبد شمس، وحيَّل نسبة إلى حي على الفلاح، وسيأتي مزيد أمثلة للنحو.

ثانية: شروط النحو: من خلال التعريف الماضي يتبيَّن أنه يشترط للكلمة المنحوتة شروط وهي :

١- أن تكون معبرة عن معنى الكلمات التي أخذت منها.

٢- أن تَجْمِع بين حروف ما أخذت منه خصوصاً إذا كان من كلمتين فقط.

مثَل: عبدري نسبة إلى عبد الدار، حيث جُمِع بين حروف الكلمتين.

أما إذا كان من ثلات كلمات فلا يشترط الأخذ من كل كلمة مثل: جعفدة من قولهم: جعلني الله فداك؛ فلفظ الجلالة لم يؤخذ منه شيء.

ثالثاً: أهم طرق النحو^(١): هناك طرق يتم من خلالها النحو، ومن أهمها ما يلي :

إصاق الكلمة بالأخرى دون تغيير شيء بالحروف والحركات، نحو: برمائي، واللأدرية.

٢- تغيير بعض الحركات دون الحروف نحو: شَقَحَطْب، من: شق حطب.

٣- إبقاء إحدى الكلمتين كما هي، واحتزال الأخرى نحو: مُشْلُوز منحوت من المشمش واللوز، ومُحَبَّرَ من: حب الرمان.

١- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢١٣-٢١٤.

- ٤- إحداث اختزال متساوٍ في الكلمتين؛ فلا يدخل في الكلمة المنحوتة إلا حرفان من كلّ منها، نحو: تَعْبُشُمْ من: عبد شمس.
- ٥- إحداث اختزال غير متساوٍ في الكلمتين، نحو: سَبِحَلْ من قال: سبحان الله.
- ٦- حذف بعض الكلمات حذفاً تماماً دون أن تترك في الكلمة المنحوتة أي أثر، نحو: طَلَبَقْ - أي أطّال الله بقاءك - وَهَلْ - قال: لا إله إلا الله - فإن لفظ الجلالة (الله) حذفت منه الكلمتين، ولم يبق لها أي أثر في الكلمتين المنحوتين، وقد مر ذلك في الفقرة الماضية عند الحديث عن شروط النحو.

رابعاً: النحو عند العلماء: كان النحو معروفاً عند العرب قديماً، ولكنهم لم يعنوا به، ويعد ابنُ فارسٍ رحمه الله فارسًّا هذه الفكرة، وإمامها المتسع فيها. وعلماء العربية قديماً وحديثاً يعدونه رائد هذا المضمار، والمطبق الفعليّ له. وقد بين ابن فارس أن العرب تعرف هذا، ونقل عن الخليل وغيره؛ ليبين أن هذه الفكرة ليست مبتدعة من قِبَلِه.

قال رحمه الله في باب عقده في كتابه الصاحبي عنوانه (باب النحو): «العرب نتحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك: (رجل عبشي) منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل:

أقول لها ودموع العين جارٍ
ألم تحزّنْك حيعلة المنادي
مكان قوله (حي على)

وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد: (ضيطر) من ضبط وضبر. وفي قولهم: (صهصلق) إنه من (صهل) و (صلق) وفي (الصلدم) إنه من

(الصلد) و (الصدم).

وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة^(١).

وبهذا يتبين أن ابن فارس هو إمام هذا الفن، وأنه أول من أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية والخمسية إلى النحت؛ حيث كان ذلك منهجه في كتاب (معجم مقاييس اللغة) في أبواب ما زاد على ثلاثة أحرف من الكلمات، وإن كان -كما سبق- قد ذكر أن الفكرة كانت موجودة عند الخليل^(٢).

ومن أمثلة المنحوت التي أوردها من الرباعي قوله: «ومن ذلك قولهم: (بلطح) الرجل إذا ضرب بنفسه في الأرض؛ فهي منحوتة من بُطْح وأَبْلَط إذا لصق بيلات الأرض.

ومن ذلك قولهم: (يزمخ) الرجل إذا تكبر، وهي منحوتة من قولهم: زَمَخَ إذا شمخ بأنفه، وهو زامخ، ومن قولهم: بزخ إذا تقاعس، ومشى متبازاً إذا تكلف إقامة صُلْبه»^(٣).

وقال: «ومن ذلك (البرِّيش) وهو طائر، وهو من كلمتين: من رقتَ الشيء - وهو النتش - وهو من البرش وهو اختلاف اللونين، وهو معروف»^(٤).

وما أورده من أمثلة الخماسي قوله: «ومن ذلك (الدَّلَّهَمَس): وهو الأسد.

١- الصاحبي ص ٢٠٩-٢١٠، وانظر المزهر ٤٨٢/١.

٢- انظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص ١١١ و ١١٢.

٣- معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٠-٣٣١.

٤- معجم مقاييس اللغة ١/٣٣١.

قال أبو عبيد: سمي بذلك لقوّته وجرأته.

وهي عندنا منحوتة من كلمتين: من دَالْسَ، وَهَمَسَ؛ فَدَالِسٌ: أتى في
الظلام، وقد ذكرناه، وَهَمَسَ: كأنه غمس نفسه فيه، وفي كل ما يريد، يقال:
أَسْدُ هَمُوسٍ»^(١).

وقال: «ومن ذلك (دغمـرـتـ) الحديث: إذا خلـطـتـهـ، قالـ: الأصـمـعـيـ فيـ قـوـلـهـ: ولـمـ يـكـنـ مـؤـشـبـاـ دـغـمـارـاـ
قالـ: المـدـغمـرـ: الـخـفـيـ.

وهذه الكلمة منحوتة من كلمتين: من دغم يقال: أدغمت الحرف في الحرف إذا أخفيته، وقد فسرناه، ومن دغر: إذا دخل على شيءٍ»^(٢).
هذا وسيأتي مزيد أمثلة فيما بعد.

قال السيوطي رحمه الله : « وقد ألف في هذا النوع أبو علي الظهير بن الخطير الفارسي العماني كتاباً سماه (تنبيه البارعين على المحوت من كلام العرب) ولم يقف عليه ، وإنما ذكره ياقوت الحموي في ترجمته في كتابه معجم الأدباء . ومن العلماء الذين ألقوا في النحت الظهير العماني .

قال ياقوت في معجم الأدباء : « سأله الشيخ أبو الفتح عثمان بن عيسى الملطيُّ التحوي الظهير الفارسي عما وقع في ألفاظ العرب ، على مثال شَقْحَطْبَ فقال : هذا يسمى في كلام العرب المحوت ، ومعناه أن الكلمة منحوتة من كلمتين كما

ينحت النجار خشبيتين و يجعلهما واحدة؛ فـ: شقحطب منحوت من شق حَطْب، فسأله الملطي أن يُثبت له ما وقع من هذا المثال إليه؛ ليقول في معرفتها عليه، فأملأها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه، وسماها كتاب (تبنيه البارعين على المنحوت من كلام العرب»^(١).

خامساً: أقسام النحت: يمكن أن يقسم النحت باعتبار كلماته المنحوتة إلى أربعة أقسام وهي^(٢):

١- **النحت النّسبي**: وهو ما يكون لبيان نسبة الشخص إلى قبيلة أو مذهب أو غير ذلك، ومن أمثلته: عبدري نسبة إلى عبدالدار، وع بشمي نسبة إلى عبدالشمس، وعقبسي نسبة إلى عبدالقيس، ومرقسي نسبة إلى أمرئ القيس، وتيلمي: نسبة إلى تيم اللات.

ومن ذلك: شفعني، وحنفلتي نسبة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي رحمة الله.

٢- **النحت الفعلي**: وهو ما يكون في الأفعال، وهو ما ينحت من الجملة دلالة على منطوقها، وتحديداً لضمونها، نحو: بسم من قال: بسم الله، ومن شواهده:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا حبذا ذاك الحبيب المبسم
ومن ذلك قول: حيعل وقد مر، ومن ذلك: حوقل: أي قال: لا حول ولا

١- المزهر ٤٨٢/٤٨٣.

٢- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢١٠-٢١١.

قوة إلا بالله، وهل : أي قال : لا إله إلا الله.

٣- النحت الوصفي : وهو أن تحت من كلمتين كلمة على صفة بمعناها أو بأشد من هذا المعنى ، ومن أمثلته : صهصلق : صفة للرجل الشديد الصوت الصخاب ، يقال : امرأة صهصلق : صخابة.

قال ابن فارس رحمه الله : « وهذا منحوت من كلمتين : من صهل ، وصلق »^(١).

٤- النحت الاسمي : وهو أن تحت من كلمتين فأكثر اسمًا ، وهو أقل هذه الأنواع ، مثل : جلمد من جلد وجمد ، قال ابن فارس : « وهذا من كلمتين : من الجلد : وهي الأرض الصلبة ، ومن الجمود : وهي الأرض اليابسة »^(٢). ومن ذلك : الضرغام : الأسد ، يقول ابن فارس : « فهذا منحوت من كلمتين : من ضغم وضرم ، كأنه يلتهب حتى يضخم »^(٣).

ومن ذلك عقابيل : من عقبي وعلة ، وحقر : من حب وقر .
садساً : أمثلة للنحت : مر فيما مضى ذكر لعدد من الأمثلة ، وفيما يلي ذكر شيء منها^(٤) :

١- الضبّطُ : وهو الشديد ، وهي منحوتة من كلمتين : ضبط وضطر^(٥) .

٢- الحيولة : حكاية عن قول المؤذن : حي على الصلاة حي على الفلاح .

١- معجم مقاييس اللغة العربية .٣٥١/٣

٢- معجم مقاييس اللغة .٥٠٧/١

٣- معجم مقاييس اللغة .٤٠١/٣

٤- انظر المزهر ١/٤٨٢-١٨٥ ، ومن أسرار اللغة ص .٨٧-٨٩

٥- معجم مقاييس اللغة .٤٠١/٣

- ٣- الدَّمْعَةُ: حكاية قوله: أَدَمَ اللَّهُ عَزَّكَ.
- ٤- الْحَمْدَلَهُ: أَيُّ مِنْ الْحَمْدَلَهُ.
- ٥- السَّبْحَلَهُ: مِنْ سَبْحَانَ اللَّهِ.
- ٦- الْحَسْبَلَهُ: قَوْلٌ: حَسْبِيَ اللَّهُ.
- ٧- الْمَشَأَلَهُ: قَوْلٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ.
- ٨- الْحَيْهَلَهُ: قَوْلٌ: حَيْهَلًا بِالشَّيْءِ.
- ٩- السَّمْعَلَهُ: قَوْلٌ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.
- ١٠- الْطَّلْبَقَهُ: أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَكَ.
- ١١- الْجَعْفَلَهُ أَوْ الْجَعْفَدَهُ: مِنْ جَعَلَتْ فَدَاكَ.
- ١٢- مَشْكُنٌ: قَوْلٌ مَا شَاءَ اللَّهُ.
- ١٣- هَيْلَلٌ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
- ١٤- وَيَلَمْ: أَيُّ قَالٌ: وَيَلَمْهُ، وَيَلِّ لَأْمَهُ.
- ١٥- كَبْتُ: قَالٌ: كَبَتِ اللَّهُ عَدْوُكَ.

سابعاً: النحت عند المحدثين^(١): لقد تنبه المحدثون إلى هذا الفن، وربطوه بالاشتقاق، وجعلوه لوناً من ألوانه، ومن عوامل تنمية اللغة.

ولهذا نجد أن أكثر كتب المحدثين التي تناولت عوامل تنمية اللغة والاشتقاق تكلمت عن النحت، حتى سماه بعضهم: الاشتقاد الكبار - كما مر -.

١- محاضرات أ.د. علي الباب على طلاب كلية اللغة العربية، وانظر من أسرار اللغة لأنيس ٩٤-٩٥، وفقه اللغة د. وافي ص ١٤٤-١٤٥.

وبعضهم قال : النحت غير قياسي ، بل هو مسموع نقله ابن فارس عن العرب ، وقد تكون الكلمة رباعية ، أو خماسية .
وما يذكر من الألفاظ كالحوقلة ، والبسملة يعد من الألفاظ المولدة ، وليس بحججة ؛ فزعموا أنه من الألفاظ المركبة ، وأنه غير قياسي .

ومع ذلك فقد أجاز النحت بعضُ العلماء ، وأجازه المجمع اللغوي ، بعد جدل طويل بين أصحابه ؛ حيث توصلوا في نهاية المطاف إلى جوازه ، وحدوده بشروط وهي :

١- **الضرورة** : لأن يمر مصطلح من العلوم ، أو الفنون ، أو المختبرات وما إلى ذلك ، فحيثئذ يلْجأُ إليه ، بل الضرورة ه هنا أعظم من الضرورة في باب التعريب ؛ لأنهم قيدوه بالمصطلحات ، وأن يكون معبراً عن المعنى ، وأن تكون الألفاظ المنحوتة مركبة من أصلها ، وأن تكون معبرة عن معانٍ متلاصقة لا يمكن أن ينفصل بها التعريب ، أو الاستدراق .

٢- **مراجعة أساليب العرب في النحت** : وهذا عسير جداً لأن العرب لم يسيروا على قواعد معينة ، وما روى عنهم لا يكاد يجتمع به نظام لغوي واحد ؛ فهم -على سبيل المثال- لا يشترطون الأخذ من كل كلمة ، وخاصة إذا كانت أكثر من كلمتين .

مثل : **جعفدة من** : جعلني الله فداك ؛ فلفظ الجملة لم يؤخذ منه شيء .

٣- **التناسب الصوتي** : بحيث يراعى ألا يجمع بين الأصوات المتنافرة ؛ كالصاد والجيم في الكلمة المنحوتة .

وهكذا أجاز المجمع مثل ذلك، مع أن بعض أعضائه منعوه؛ بحجة أن العرب نحتوا؛ رغبة في استكمال اللغة، أما الآن فإن اللغة مستقرة، وكافية؛ فلا حاجة إلى ذلك.

ورد عليهم بأننا أشد حاجة من القدماء لواجهة الجديد، وإن حكم على اللغة بأنها لغة جامدة، بخلاف ما هو معلوم من أنها لغة حية تستوعب الجديد، وتفي بال حاجات.

والطريف في الأمر أن الجمع ضم من بين أعضائه من ليس مختصاً باللغة العربية، فمنهم الأطباء، والمهندسو، وغيرهم.

وخلاصة القول أن المحدثين اهتموا كثيراً بالنحو، وألفوا فيه،عكس القدماء، الذين لم يولوه اهتماماً عدا ابن فارس، وما ذكر في خبر الظهير العماني. ثامناً: أسماء بعض الذين عنوا بالنحو من المحدثين، ونماذج مما وضعوه من الألفاظ المنحوتة^(١):

أ - إسماعيل مظهر: وله كتاب اسمه (تجديد العربية) وقد تحدث فيه عن مواجهة الجديد.

كما ألف قاموساً في جزأين (قاموس النهضة) وكله في المصطلحات العلمية، ويعتمد على الألفاظ المنحوتة في الطب، والهندسة، والكيمياء.

ومن الأمثلة التي ذكرها:

١- كم أرضي : منحوت من : كيمائي أرضي.

١- محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

- ٢- بي عضلني : منحوت من : بين العضل.
- ٣- بي جبل : منحوت من : بين الجبل.
- ٤- كريضن : منحوت من : كريات الدم البيضاء.
- ٥- نزعق : من نزع الورق.
- ٦- زأكدة : من : إزالة الأكسيد.
- ٧- مقىهل : من : مقيء ومسهل.
- ٨- عنشم : من : عين شمس.
- ٩- بلغز : من : بلا غاز.
- ١٠- قوزح : من : قوس قزح.
- ١١- شبهم : من : الأشياء المبهمة.
- ب - د. رمسيس نجيب : وهو طبيب معنی بالنحت ، وقد أتى بعض الألفاظ
المنحوتة المستعملة في ميدان الطب مثل :
- ١- صلكلة : بمعنى : استئصال الكلية؛ فكلمة صل : بمعنى استئصال والذي يركب معها يعبر عن الكلمة الأخرى.
 - ٢- صلکد : استئصال الكبد.
 - ٣- صلعد : استئصال المعدة.
 - ٤- حلماً : التحليل بالماء.
 - ٥- حلکد : التحليل بالكحول؛ فكلمة حل بمعنى تحليل ، وما ركب معها يعبر عن الكلمة الأخرى.

ج - صلاح الدين الكواكبي: وهو أستاذ في الكيمياء، ويعد من أعلام سوريا، وقد حاول أن يضع مصطلحات في الكيمياء، كلها تعتمد على النحت. ولا ريب أن مثل هذه الأعمال تدل على سعة اللغة، واستيعابها للجديد، وإن كان هناك من يرى أن هذه الألفاظ مولدة غير عربية، وأن فيها صعوبة. ومهما يك من شيء فهذا أيسر من اللفظ الأجنبي.

الفصل السادس: المجاز

المجاز

المجاز مصطلح معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والتفسير، والأصول وغيرهم.

كما أنه يردُّ كثيراً في كتب العقائد، خصوصاً في باب الأسماء والصفات؛ ذلك أنَّ كثيراً من أهل التعطيل اخندوه مطية لنفي الصفات الإلهية. ونظراً لكون المجاز عند القائلين به وسيلة من وسائل تنمية اللغة، ولأجل أن تتبَّع صورة المجاز فهذا عرض بجمل ميسر يبين معالم المجاز، وحقيقة الخلاف فيه، وما جرى مجرى ذلك.

وقبل الدخول في ثانياً الحديث عن المجاز يحسن الوقف عند مصطلح (الحقيقة)؛ وذلك لأنَّ المجاز عند من يقول به قسيم الحقيقة.

فالكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز؛ فإلى تفصيل الحديث؛ حتى يتبيَّن الأمر. **أولاً: تعريف الحقيقة:** هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع.

أو هي : استعمال اللفظ فيما وضع له في الأصل.

مثل كلمة (أسد) : تدل على الحيوان المعروف ، وكلمة (الشمس) : تدل على الكوكب العظيم المعروف ، وكلمة (البحر) : تدل على الماء العظيم الملحي؛ وهكذا جميع ألفاظ اللغة.

ثانياً: تعريف المجاز: المجاز في اللغة : اسم مكان كالمطاف والمزار ، والألف فيه منقلبة عن واو ، وقيل : هو مصدر ميمي.

وفي الاصطلاح : هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ثالثاً: شرح مفردات تعريف المجاز: قوله: (في غير ما وضع له): أي المعنى الوضعي للُّفْظ، ويسمى الحقيقي أو الأصلي الذي ذكرته معاجم اللغة، كوضع كلمة الأسد للحيوان المعروف الكاسر، وكذلك القمر.

قوله: (العِلَاقَة): العلاقة هي الشيء الذي يربط بين المعنى الأصلي للُّفْظ، والمعنى المجازي، كالشجاعة في قولك: رأيت أسدًا يَكُرُّ بسيفه! فالأسد هنا لا يقصد به الحيوان؛ وإنما يقصد به الرجل الشجاع، إذاً فقد انتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، والعلاقة هي الشجاعة.

قوله: (القرينة)؛ القرينة: هي التي تمنع الذهن من أن ينصرف إلى المعنى الوضعي الأصلي للُّفْظ، مثل قولك (يَكُرُّ بسيفه) في قولك: (رأيت أسدًا يَكُرُّ بسيفه) لأن الأسد لا يَكُرُّ بالسيف؛ فَعُلِمَ أن المقصود باللفظ مجازه لا حقيقته؛ لأن الأسد لا يَحْمِلُ السيف.

وكذلك قولك في الرجل الكرييم: جاء البحر، ونحو ذلك من الأمثلة مما سيأتي ذكره^(١).

١- انظر في تفصيل الحديث عن المجاز إلى:

- أسرار البلاغة لعبد القادر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود شاكر ص ٣٥٠ - ٤٢٤.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٧ في الإعنان.

- بغية الإيضاح لتخليص المفتاح لعبدالتعال الصعیدي ص ٨٤ - ١٧١.

رابعاً: تطبيق: إليك هذا التطبيق الذي يبين لك ما ذكر بصورة أ洁ى : قال

أهل المدينة في استقبالهم للنبي ﷺ لما قدم من تبوك هو وأصحابه :
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فالمجاز في هذا البيت واقع في لفظ (البدر) حيث يريدون به النبي ﷺ وهذا استعمال مجازي؛ ذلك لأن الاستعمال الحقيقي للبدر إنما هو الكوكب العظيم الذي يكون في السماء ليلاً.

والعلاقة بين المعندين الحقيقي والمجازي هي الحسن والإشراق؛ فالبدر حَسَنٌ مشرق، وكذلك النبي ﷺ.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي الحقيقي هي: (من ثنيات الوداع) فهي التي أثبتت مجازية البدر، والسبب أن البدر الحقيقي لا يظهر بين ثنيات الوداع وهي الجبال الصغيرة، وإنما يظهر في السماء كما هو معلوم؛ فعلم بذلك

- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- معجم البلاغة د. بدوي طباعة ص ١٤٥ - ١٤٩.
- علوم البلاغة للشيخ المراغي ص ٢٤٦ - ٢٩٨.
- فقه اللغة ، د. وافي ص ١٧٢ - ١٧٨.
- البلاغة العربية ، فنونها وأفاناتها علم البيان والبديع د. فضل حسن عباس ص ١٢٧ - ٢٧٠.
- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً د. سليمان بن صالح الغصن .٤٤٥ - ٤٧٧.
- مقدمة في المجاز - وهي مذكورة مخطوطة - كتبها الأخ الدكتور الشيخ عبد المحسن العسكري - حفظه الله - وهي نافعة لطيفة في بابها.

أن اللفظ أريد به مجازه لا حقيقته.

خامساً: أمثلة لألفاظ يتبيّن فيها الحقيقة من المجاز:

١- الشمس لها دلالتان: إحداهما حقيقة وهي دلالة الكوكب العظيم المعروفة.

والأخرى مجازية وهي : الوجه الملبح.

٢- البحر له دلالتان: إحداهما حقيقته، وهي دلالته على الماء العظيم الملحن والأخرى مجازية وهي : دلالته على الرجل الججاد الكبير العطاء، أو العالم الغزير العلم.

٣- اليد لها دلالتان: إحداهما حقيقته، وهي الجارحة المعروفة، كما تقول: كتبت بيدي.

والأخرى مجازية بمعنى النعمة، كما تقول : لفلان عليّ يدٌ، أي : نعمة.

سادساً: كيف يُفرق بين الحقيقة والمجاز؟

يفرق بسياق الكلام، وقراءن الأحوال، ولا يمكن أن يقال : إن كلا الدلالتين الحقيقة والمجازية سواء؛ بحيث إذا أطلق اللفظ دل عليهما معاً، لأن يقال : إن الشمس حقيقة في دلالتها على الكوكب والوجه الملبح، وأن البحر حقيقة في الماء العظيم الملحن والرجل الججاد؛ بل لابد من قرينة تخصيص المعنى المراد^(١).

سابعاً: لم سمي المجاز بهذا الاسم؟

لأنه مأخوذ من قولهم: جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطأه إليه.

١- انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧.

فالمجاز -إذاً- اسم للمكان الذي يُجاز فيه كالزار، والمعاج، وأشباههما.

وحقيقته: الانتقال من مكان إلى مكان؛ فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد؛ فإن زيداً إنسان، والأسد هو ذاك الحيوان المعروف، وقد جُزِّنا الإنسانية أي: تخطيئها وانتقلنا منها وعَبَرْنَاها إلى الأسدية؛ لِوصلة بينهما -أي علاقة-. وتلك الوصلـة هي صفة الشجاعة؛ فهذا هو سبب تسمية المجاز بهذا الاسم.

أما الحقيقة فهي: مأخوذة من الكلمة حقٌ وهو الشيء الثابت، ولعلك تشم رائحة التضاد بين هاتين الكلمتين؛ فالحقيقة ثبوت الشيء، والمجاز تَعَدِّية^(١).

ثامناً: هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟

والجواب: أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يطلق عليه لفظ مجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة.

وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز^(٢).

تاسعاً: هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز؟

والجواب: أن الأصل في الحقيقة، ولا ينصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بقرينة -كما مر في الأمثلة الماضية-.

عاشرًا: اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز:

اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن، على ثلاثة

أقوال:

١ - انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ص ١٢٨ .

٢ - انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧ .

- ١- أن المجاز واقع في اللغة والقرآن: وهذا مذهب جماهير العلماء، والمفسرين، والأصوليين، واللغويين، والبلاغيين، وغيرهم؛ بل حتى الإجماع على ذلك يحيى بن حمزة العلوى في كتابه (الطراز)^(١) غير أن في تلك الدعوى توسيعاً؛ لوجود المخالف المعتبر.
 - ٢- إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن: وقد ذهب إلى ذلك أبو إسحاق الأسفرايني، وتبعه على ذلكشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.
 - ٣- أن المجاز واقع في اللغة دون القرآن: وقد ذهب إلى ذلك داود الظاهري، وابنه محمد، وابن القاصن الشافعى، وابن خویز منداد المالکي، ومنذر بن سعيد البلوطى ، ومن المعاصرین الشیخ العلامہ محمد الأمین الشنقطی.
- حادي عشر: حجة القائلين بمنعه:**

القائلون بمنع المجاز في اللغة والقرآن، أو في القرآن وحده يحتاجون على ذلك

بحجج منها:

- ١- أن كل مجاز كذب يجوز نفيه: فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه ، قال الشیخ العلامہ محمد الأمین الشنقطی جعفر اللہ : «وأوضح دلیل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه،

١- انظر الطراز / ٨٣ / ١، وإليك نص كلامه جعفر اللہ قال: «أجمع أهل التحقيق من علماء الدين والنظراء من الأصوليين، وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله، وكلام رسوله صلوات اللہ علیہ وسلام في كلا نوعيه: المفرد والمركب. ويحکى الخلافُ عن أبي بكر داود الأصبهاني» .

ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر؛ فتقول من يقول :رأيت أسدأ يرمي : ليس هو أسد وإنما هو رجل شجاع؛ فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه، ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن^(١).

٢- أن القول بالمجاز ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية وتأويلها: قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : « وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض الصفات قد شوهدت في الخارج صحته ، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والخلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك ، فقالوا: لا يد ، ولا استواء ، ولا نزول ، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات؛ لأن هذه الصفات لم تُرَدْ حقائقها؛ بل هي عندهم مجازات؛ فاللهم مستعملة عندهم في النعمة ، أو القدرة ، والاستواء في الاستيلاء ، والتزول نزول أمره ونحو ذلك؛ فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول المجاز.

مع أن الحق الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتتها -تعالى- لنفسه ، والإيمان بها من غير تكييف ولا تشبيه ، ولا تعطيل ولا تمثيل^(٢).

فهذا السبب - وهو نفي الصفات عن طريق القول بالمجاز- هو من أعظم الأسباب التي دعت القائلين بإنكار المجاز إلى ذلك.

١- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ص ٨.

٢- منع المجاز ص ٨ - ٩.

٣- ادعاء أن الألفاظ كلها حقيقة والجزم بأن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المجاز: «ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ.

ويكمل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم»^(١).

وقد كرر رحمه الله ذلك في موضع من كتبه، خصوصاً في كتابه الإيمان، وفي الأسماء والصفات من مجموع الفتاوى.

٤- أن إطلاق المجاز في القرآن يفضي ويؤدي إلى وصف الله بالتجوز: وذلك مما لم يرد الإذن به؛ ذلك أن أسماء الله وصفاته توقيفية كما هو معلوم.

ثاني عشر: مناقشة مثبتي المجاز لمنكريه:

١- أن القول بأن كل مجاز كذب يجوز نفيه ليس صحيحاً: وإنما يكون المجاز كذباً لو أثبت المعنى على التحقيق لا على المجاز، أي أنه إذا أطلق القمر -مثلاً- على إنسان بهيّ الطلعة يكون كذباً لو أدعى أنه القمر الذي في السماء حقاً. ولا ريب أن هذا ليس بمراد في المجاز، وإنما المراد تشبيهه به في البهاء والحسن، فأين الكذب؟!

وكذلك قولنا للبليد: (حمار) ليس المقصود بأنه حمار في الشكل والخلقة، وإلا لصح أن ينفي ويقال: ليس هو بحمار بل هو إنسان؛ فالنفي هنا منصبٌ على إرادة الحقيقة لا على المعنى المجازي، وهذا لا يسمى كذباً؛ لأن المتكلم جاء بقرينة تبين مراده، وترفع اللبس.

ثم أن البالغين حرصوا في مصنفاتهم على أن يبينوا الفرق بين المجاز والكذب؛ فهم متفقون على أن المجاز ليس كذباً؛ لأن التجوز يضع بين يدي المجاز قرينة تصرفٌ عن إرادة المعنى الأصلي للفظ.

أما الكذب فإن الكاذب يحرص فيه على إخفاء حاله؛ ترويجاً للكذب الذي يريده.

ولقد عني البلاغيون بالقرائن عناية بالغة، واستبطواها من كلام العرب، وفصلوا فيها القول تفصيلاً؛ فإذا خلا المجاز من القرائن كان الكلام فاسداً؛ لعدم دلالته.

٢- أن القول: بأن المجاز ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية، وتأويلها ليس مسوغاً لنفي المجاز؛ ذلك أنه لا حجة لهؤلاء النفاة المعطلة فيما ذهبوا إليه.

إنما هم أصحاب هوى وضلال، ومن كانت هذه حالة ركب كل صعب وذلول في سبيل هواه، فاستدللهم بالمجاز على نفي الصفات استدلال فاسد، فتحن نجعله حجة عليهم لا لهم؛ فيقال لهؤلاء النفاة المعطلة: إن الأصل في الكلام أن يحمل على حقيقته وظاهره المتبادر ما لم تقم قرينة توجب صرفه عن هذه الحقيقة، وذلك الظاهر لنا.

ثم إن الناس متبعدون باعتقاد الظاهر من أدلة الكتاب والسنة ما لم يمنع مانع. وبناء على ذلك يقال لهؤلاء النفاة: إن النصوص الصحيحة القطعية أثبتت صفات الكمال لله -تعالى-. كصفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساقي، والقدم، والضحك، والأصابع.

والنصوص الواردة في ذلك لا تظفر فيها بأي قرينة تنقلها عن معانيها الحقيقية التي دلت عليها؛ فهي صفات حقيقة ثابتة للرب -سبحانه-. على ما يليق به. وادعاء هؤلاء المعطلة أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي تزييه الله -سبحانه-. عن مماثلة المخلوقين ادعاء باطل متهافت، ظاهر السقوط؛ إذ لا يلزم من إثبات الصفات لله تمثيله وتشبيهه بخلقه؛ فللخالق -سبحانه-. صفاتٌ تليق به، وللمخلوق صفاتٌ تليق به.

ثم إن مجيء نصوص الصفات متکاثرة يقطع بأن المراد منها معانيها الحقيقة، ويدرأ عن تلك النصوص أن تكون مجازية أنها لا تقبل دعوى المجاز من جهة اللغة نفسها، وتركيب الكلم فيها؛ فهي تأبى أن تبارح المعنى الحقيقي. ونمثل بهذا المثال وهو قوله -تعالى-: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا» النساء: ١٦٤. فلا يجوز أبداً أن يقال: إن الكلام في هذه الآية مجازي، لأن الفعل (كلم) أكد بالمصدر (التكليم) الدال على النوع.

وقد نقل أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) إجماع النحاة على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، بل هو حقيقة قطعاً.

كيف وقد قال -تعالى-: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ» الأعراف:

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ ص: ٧٥ أنه قال : «قوله - تعالى - : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد.

ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تختص؛ فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تختص بصيغة الشتانية.

ولا يجوز أن يكون (ما خلقت أنا) لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد؛ فتكون إضافته إلى اليد إضافة إلى الفعل ، كقوله : ﴿بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ﴾ الحج : ١٠ و ﴿قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾ يس : ٧١.

أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل وعد الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه؛ ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال : فعلت هذا بيديك ، ويقال : هذا فعلته يداك؛ لأن مجرد قوله : فعلت كاف في الإضافة إلى الفاعل؛ فلو لم يُرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محسنة من غير فائدة.

ولست تجد في كلام العرب ولا العجم - إن شاء الله تعالى - أن فصيحا يقول : فعلت هذا بيدي ، أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة ، ولا يجوز أن يكون لا يدل ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها.

وبهذا الفرق المحقق تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويتبين أن الآيات لا

تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة»^(١).

وبالجملة، فالأمثلة على هذا النحو كثيرة جداً أو من خلالها يظهر أن نصوص الصفات لا تقبل المجاز من جهة نظمها، وتركيبها، وإضافتها إلى الله -عز وجل-.

كيف وأهل السنة مجتمعون على الإقرار بأسماء الله -تعالى- وصفاته وحملها على الحقيقة لا المجاز؟!

٣- أما القول بأن الألفاظ كلها حقيقة أو أن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب فذلك يحتاج إلى نظر؛ فإن أريد بذلك أن العرب لم يضعوا هذا المصطلح فعم.

وإن أريد أنه لا يوجد في كلامهم مجاز فهذا غير صحيح، بل الشواهد من كلامهم على استعمال المجاز أكثر من أن تحصر، وذلك مما استفاض به النقل عن علماء اللغة.

ثم إن القول إن هذا الاصطلاح لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة غير مُسلّم به؛ فقد تلكم بالمجاز غير واحد من علماء اللغة في أوقات القرون المفضلة، ومن هؤلاء أبو زيد القرشي المتوفي سنة ١٧٠ هـ.

ومن أهل اللغة من يعبر عن المجاز بـ: (التوسع والسرعة في الكلام).

٤- وأما القول بأن إطلاق المجاز يفضي إلى وصف الله بالمتجوز وذلك لا يصح

فيجيب عنه: بأنه لا يلزم ذلك؛ لأن هذا الإطلاق لا يكون إلا بدليل.

ثم إن إطلاق المجاز على اللفظ في بعض استعمالاته اصطلاح، ولا يلزم إضافة المعاني الاصطلاحية إلى الله - تعالى -. وإنما في القرآن سجع، وأمثال، فهل يقال في حق الله - تعالى -: الساجع، والممثل؟

هذه بعض حجج القائلين بمنعه ورد القائلين به على سبيل الإيجاز.

ثالث عشر: خاتمة الحديث عن المجاز: وبعد أن وقفت عن شيء من أمر المجاز، وما جاء في الخلاف حول إثباته أو نفيه - يتبين لك أن أعظم الأسباب التي دعت إلى نفيه وإنكاره أن أهل التعطيل اخذوه مطية لحرفي بعض نصوص الشرع لاسيما في باب الصفات.

فهذا هو الذي دعا بعض العلماء أن يشدد في النكير على القائلين بالمجاز. وإنما لو كان الأمر مجرد اصطلاح لغوي لا يترب عليه خوض في مسائل الشريعة لهان الخطب، ولما حصل فيه كبير خلاف.

ولكن لما أدرك بعض العلماء خطورة ذلك وكثرة المبتدعين به سارعوا إلى إنكاره؛ سداً للذرية، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواطن كثيرة من كتبه، وإن كان قد قال بالمجاز في إحدى مراحل عمره.

يقول الشيخ د. عبد المحسن العسكري - حفظه الله - في مقدمة مخطوطته له عن المجاز: «وأحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال بالمجاز في إحدى مراحل عمره، فقد رأيت في (محاسن التأويل) لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ما هدانا صنه:

«قال ابن تيمية في بعض فتاواه: نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله، وبالتأويل

الجاري على نهج السبيل، ولم يوجد في شيء من كلامنا وكلام أحد منا أنا لا نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل، ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب، وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب، واللحاق بمحرفة أهل الكتاب.

والمقصود عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه أن القرآن مشتمل على المجاز، ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة.

وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم، كأبي بكر بن أبي داود، وأبي الحسن الخزري، وأبي الفضل التميمي، وابن حامد وغيرهم إلى إنكار أن يكون في القرآن مجاز.

وإنما دعاهم إلى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز، قابلوا الضلال بجسم المواد، وختار الأمور التوسط، والاقتصاد^(١).

وبعد أن نقل الشيخ العسكري هذه الفتوى قال: «ومع أنني لم أهتدى إلى هذه الفتوى في مظانها من المطبوع من مؤلفات شيخ الإسلام وفتواه فإن عدم اهتدائي هذا لا ينفي وجودها في كتابات الشيخ مطلقاً.

بَيْدَ أَنِّي مطمئنٌ غَيْرِ مُرْتَابٍ فِي نَسْبَةِ هَذَا الْكَلَامِ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ بْنِ حَلَّةَ وَذَلِكَ لِمَا يَلِي :

١- أن المطبوع من أعمال شيخ الإسلام لا يمثل إلا القليل مما كتب في حياته كلها.

وأنت خبير أنه صاحب قلم سيال، ومكثر من الكتابة جداً، حتى قال الذهبي : «جاوزت فتاوى ابن تيمية ثلاثة مجلد».

٢- أن من له أدنى صلة بتراث شيخ الإسلام لا ينazu في أن هذا **النفس نفسه** ، والأسلوب أسلوبه ، وقد وقفت على هذه الفتوى بعض العلماء فأجابوا بذلك منهم فضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله وشيخنا عبد الرحمن البراك أحسن الله إليه.

٣- أن الذي نقل هذه الفتوى من أعظم الناس اطلاعاً في هذا العصر على كتابات الشيخ وتلميذه ابن القيم ، وكان يعيش في بلاد الشام بلاد الشيوخين ، ومؤلفات القاسمي وخاصة تفسيره طافحة بالنقولات الكثيرة عنهما.

ثم إنه أحد القلة في عصره الذين نهضوا بالمنهج السلفي ، ومناصريه ، وأوذى في ذلك أذى كثيراً.

وما كان الشيخ ليصلق بشيخ الإسلام قوله يتطرق الشك في نسبته إليه . ولقد توصل إلى تلك التبيجة بصورة أوضح وأجلـ د. هادي أحمد فرحان الشجيري ، وذلك في كتابه (الدراسات اللغوية وال نحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية).

وهذا الكتاب رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة بغداد. وكان مما درسه في بحثه المجاز وآراء ابن تيمية فيه ، ومن ضمن فقرات ذلك البحث فقرة عنوانها : موقف ابن تيمية من المجاز ، حيث قال فيها : «إن المتبع لكلام ابن تيمية في مؤلفاته المختلفة سيتبين له بيسر وسهولة أن له موقفين من المجاز ، أولهما موقف من الإقرار به ، ويبدو أن هذا الموقف كان السابق في حياته

العلمية، وهو الذي درج عليه في غالب أحواله ومؤلفاته. أما موقفه الآخر وهو موقف النافي للمجاز في اللغة فقد ذكره مفصلاً فيما لاحظته بعد طول معاينة، وكثرة تتبع في موضوعين. وهو موقفٌ نابع عن فكر، وتأمل، وروية.

ويبدو أن كان آخر ما استقر عليه، وإن كنا لا نملك من أدلة التوثيق التاريخية ما يكون عوناً لنا في هذا الحكم، ولكن طبيعة ذكر الأدلة والتفصيل، ونقد مفاهيم المجاز، وتبني تلميذه المقرب ابن قيم الجوزية لهذا الموقف، ودفاعه عنه - كلها ترجح أنه آخر ما استقر عليه رأي ابن تيمية^(١).

ثم قال تحت فقرة عنوانها (موقف المقر بالمجاز): «لقد وقف ابن تيمية مقرأ بالمجاز مدافعاً عن العقيدة مع إقراره بالمجاز، ويمكن أن يتبيان هذا الموقف من خلال صور متعددة:

أولاً: النصوص الكثيرة المثبتة في مواضع متفرقة من كتبه والتي تدل تصريحاً أو تلويناً على إقراره بالمجاز.

ثانياً: ومن صور إقراره بالمجاز، قوله بالحقائق الشرعية والعرفية، وهي في حقيقتها نوع من التغير الدلالي الذي أصاب اللفظ آنفاً.

ثالثاً: ذكره بعض أنواع المجاز.

رابعاً: ذكره بعض علامات المجاز.

خامساً: من خلال تعبيراته ومعالجاته لبعض الأمثلة.

١- الدراسات اللغوية وال نحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩٨.

سادساً: وما يدخل في هذا الموقف عموماً قوله بالمجاز المنضبط خاصة في باب الصفات»^(١).

وتحت هذه العناصر ذكر غاذج من كلام ابن تيمية، وأحال على مواضع أخرى. ومن الأمثلة التي ذكرها: قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَقَبْضُ الْيَدِ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِمْسَاكِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

وفي قوله: «وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بِأَنَّ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

وهي حقيقة عرفية ظاهرة من اللفظ ، أو هي مجاز مشهور»^(٢).

ثم نقل نقولاً أخرى لا يتسع المجال لبسطها، ولعل الإشارة إلى مواضعها تكفي^(٣).

١- الدراسات اللغوية في مؤلفات شيخ الإسلام ص ١٩٨-٢٠٢.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم ١٩-٢٠.

٣- انظر بيان تلبيس الجهمية ٢٦/٢ و ٤١/٢ ، والتسعينية ص ١٢٨-١٢٩ و ١٣٠-١٢٩ ، و ٢٢٠ ، والفسير الكبير ٤/٣٦٢ ، وجمع المفتاوي ٥/١٠٦ و ٥/٩٤ و ٧/١٤ و ١٢/٤٦ و ١٠/٢٧١ و ١٢/٢٢٢ و ٢٢٢/٢٢٢ و ٢٢٣-٣٢٣ و ٣٥/٣٤ و ٣٥/٨٦ و ٣٣/١٠٦ و ٢١/٢٢٢ و ٢٢٢/٢٢٢ و ٢٩/٣٢٩ و ٦٦/٣٢٩ .

الباب الثالث: دراسات في المعاجم العربية

وتحته مدخل، وأربعة فصول:

- مدخل

الفصل الأول : مفهوم المعجم ، والمدارس المعجمية.

الفصل الثاني : دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات.

الفصل الثالث : المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية ، ودراسة

بعض المعاجم التي تسير عليها.

الفصل الرابع : المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبيجدية العادية.

الباب الثالث

دراسات في المعاجم العربية

مدد خال

المعاجم العربية كثيرة ومتعددة، وهي -كذلك- مختلفة في طريقة ترتيبها للألفاظ اللغة، وشرحها لتلك الألفاظ.

ومنذ عصر الخليل بن أحمد - وهو صاحب أول معجم شامل في العربية حتى وقتنا الحاضر- والباحثون ينهلون من تملك الموارد، ويفيدون منها كل بحثيه.

ولما كان الأمر كذلك كان من المناسب أن تدرس تلك المعاجم دراسة موجزة تعنى بأصحاب هذه المعاجم، وبالمنهج الذي اتبعوه في تأليفها، وبيان خصائصها، ومميزاتها، والماخذ عليها؛ حتى يكون الباحث على بيته من أمرها؛ بحيث يتمكن -عند الكشف عن معنى لفظ يريده- من أن يختار منها ما يناسبه دون مشقة أو عناء.

ولهذا فسيعرض -فيما يأتي- من صفحات دراسة موجزة لأشهر معاجم اللغة العربية^(١).

و قبل الشروع في ذلك يحسن الوقوف على مسائل مهمة في هذا الباب ، وذلك في الفصل الأول منه.

^٣ - انظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص ١.

الفصل الأول: مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية

وتحته مبحثان:

.المبحث الأول: مفهوم المعجم.

.المبحث الثاني: المدارس المعجمية.

الفصل الأول

مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية

البحث الأول : مفهوم المعجم

المسألة الأولى: تعريف المعجم:

أ - تعريفه في اللغة: قال ابن فارس رحمه الله: «العين والجيم والميم ثلاثة أصول، أحدها يدل على سكوت وصمت، والأخر على صلاة وشدة، والأخر على عضٌ ومذاقة».

فالأول: الرجل الذي لا يفصح، وهو أعمى، والمرأة عجماء بَيْنَ العجمة»^(١).
وقال: «ويقال: للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعمى، ويقال:
صلاة النهار عجماء؛ إنما أراد أنه لا يجهر بها بالقراءة، وقولهم: العجم الذين
ليسوا من العرب؛ فهذا من القياس لأنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجماً»^(٢).
وقال: «والعجماء: البهيمة، وسميت عجماء لأنها لا تتكلم، وكذلك كل
من لم يقدر على الكلام فهو أعمى، ومستعجم»^(٣).

وهكذا نجد أن استعمال العرب لهذه المادة وما تصرف من ألفاظها إنما هو
للدلالة على الإبهام والخفاء.

ولكن هذه المعاني لا تتفق مع معنى (المعجم) الذي نحن بصدده الحديث عنه

١- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٣٩-٢٤٠.

٢- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٠.

- كما سيأتي^(١) ..

ب - تعريف المعجم في الاصطلاح : هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين ، مشروحة شرحاً يزيل أيهاها ، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث ، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده^(٢).

ج - التوفيق بين المعنين : الأصلي اللغوي ، والاصطلاحي :

لسائل أن يسأل؛ فيقول : كيف يمكن التوفيق بين المعنى الأصلي اللغوي للمادة وكثير من ألفاظها المشتقة منه وهو الإبهام والغموض ، وبين المعنى الاصطلاحي لكلمة المعجم المأخوذة من نفس المادة ، والتي تدل على الشرح والتوضيح ؟

والإجابة عن ذلك أن يقال : إن زيادة بعض الحروف في الكلمة قد تسبب تغييراً في المعنى ، وقد خصص لذلك علماء الصرف باباً سموه (معاني صيغ الزوائد).

بل إن بعض أنواع الزيادة قد تقلب المعنى إلى ضده ، كتضعيف عين الكلمة وكزيادة الهمزة في أول الكلمة؛ لتدل على معنى الإزالة ، كما يقال مثلاً : في قدّيت عين فلان : أقدّيت عينه بمعنى أزّلت القذى ، وأشكيت فلاناً أي أزّلت شکواه.

وكذلك قسط بمعنى جار ، وأقسط : بمعنى عدل.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فالخر ص ٦-٥ .

٢- انظر المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص ٥ ، ودراسات في المعاجم العربية ص ٥ .

ويقال: أَعْجَمَتِ الْكِتَابُ أَيْ أَزَلَتْ عَجْمَتَهُ بِنَقْطَهُ أَوْ شَكَلَهُ كَمَا يُقَالُ: عَجَمَتْ.
قال ابن فارس: «**قال الخليل**: «كتاب مُعجم، وتعجيمه: تنقيطه؛ كي تستبين
عُجْمَتَهُ وَتَضَعَّح»^(١).

وقد وَضَّحَ ذَلِكَ -أيضاً- ابن جنی حين قال: «ثُمَّ إِنَّهُمْ قَالُوا: أَعْجَمَتِ
الْكِتَابُ: إِذَا بَيَّنَتْهُ وَأَوْضَحَتْهُ؛ فَهُوَ -إِذَا- لَسْبُ مَعْنَى الْإِسْبَهَامِ لَا إِثْبَاهَ»^(٢).
فَمَعْنَى الْمَعْجَمِ -إِذَا- هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أُزِيلَتِ الْعُجْمَةُ فِيهِ، وَذَهَبَ الْخَفَاءُ مِنْهُ.
وَحْرَوْفُ الْمَعْجَمِ -كَمَا حَكَى ابن فارس عن الخليل- «هِيَ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ؛
لَأَنَّهَا أَعْجَمِيَّةٌ»^(٣).

ويوضَّحُ ابن فارس هذا بقوله: «وَأَظُنُّ أَنَّ الْخَلَيلَ أَرَادَ بِالْأَعْجَمِيَّةِ أَنَّهَا مَا
دَامَتْ مُقْطَعَةً غَيْرَ مُؤْلَفَةً تَأْلِيفَ الْكَلَامِ الْمَفْهُومُ فِيهِ أَعْجَمِيَّةٌ لَا تَدْلُّ عَلَى شَيْءٍ؛
فَإِنْ كَانَ هَذَا أَرَادَ فِلَهُ وَجْهٌ، وَإِلَّا فَمَا أَدْرِي أَيْ شَيْءٍ أَرَادَ بِالْأَعْجَمِيَّةِ»^(٤).

المُسَأَّلَةُ الثَّانِيَّةُ: تَنبِيَّهُ حَوْلَ كَلْمَةِ إِطْلَاقِ الْمَعْجَمِ:

إِطْلَاقُ كَلْمَةِ الْمَعْجَمِ تَدْلُّ عَلَى مَا تَقْدِمُ ذِكْرَهُ مِنْ أَنَّهُ كِتَابٌ يَضْمُمُ أَفْعَاظَ اللُّغَةِ
وَيَشْرِحُ مَعَانِيهَا لِخَلِيلٍ.. إِنَّمَا هُوَ الْمَعْنَى الْغَالِبُ عَلَيْهِ.

١- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٠.

٢- الخصائص ٣/٧٦ طبعة التجار.

٣- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٠.

٤- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٠-٢٤١.

وإلا فإن المؤرخين من علماء الحديث قد سبقو علماء اللغة في هذا الإطلاق؛ فسموا كتبهم معاجم.

فهذا أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠-٣٠٧) يطلق على كتاب وضعه لمعرفة الصحابة: (معجم الصحابة).

وكذلك فعل عبدالله بن عبد العزيز البغوي (ت ٢١٤) المحدث حين أطلق على كتابه (المعجم الكبير) و(المعجم الصغير). ولذلك يحسن التقييد عند البحث في قال: المعجم اللغوية^(١).

المسألة الثالثة: أنواع المعاجم:

ينبغي التفريق بين نوعين من هذه المعاجم اللغوية: أحدهما: نوع يشرح معاني الألفاظ، ويبين أصلها، وما اشتقت منه، معتمداً في ذلك صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية؛ بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاصرة سواء على نظام التقلييات أم القافية أم الأبجدية - كما سيتبين ذلك فيما بعد..

ويطلق على هذا النوع من المعاجم اسم (المعجم الجنسة) أو (معاجم الألفاظ).

وقد مر تأليف هذه المعاجم بمرحلتين:

الأولى: جمع الكلمات كما اتفق؛ فالعالم يرحل إلى البداية؛ فيسمع كلمة مثلاً كلمة في الأنواء، وثانية في المطر، وثالثة في الغابات والشجر وهكذا...

١- انظر دراسات في المعجم العربية ص ٦.

الثانية: جمع الكلمات بطريقة حاصرة لكل ألفاظ اللغة، وهذا هو المقصود الآن من المعاجم اللغوية.

النوع الثاني: يهدف إلى جمع الألفاظ موضوعة لختلف المعاني:

وهذه يرجع إليها من يعرف المعنى، ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له.

ويُطلق على هذا النوع بعض الباحثين: (المعاجم المبوبة) أو (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات).

ومن أبرز الكتب التي ألفت في ذلك كتاب (غريب المصنف) لأبي عبيد ت ٢٢٢هـ، و(الألفاظ) لابن السكيت ت ٢٤٤هـ، و(الألفاظ الكتابية) للهمذاني ت ٣٢٧هـ، و(مبادئ اللغة) للإسکافي ت ٤٢١هـ، و(فقه اللغة) للشعالبي ت ٤٢٩هـ، و(المخصص) لابن سیده ت ٤٥٨هـ^(١).

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٦-٧.

المبحث الثاني: المدارس المعجمية^(١)

أمكن لبعض الباحثين المحدثين أن يقسموا المعاجم اللغوية - حسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها، وجمعها في أبواب مرتبة ترتيباً معيناً - إلى أقسام ثلاثة، سموها: المدارس المعجمية.

ومعرفة هذه المدارس تعين على الاستفادة من تلك المعاجم، حيث تُعرَّف طريقة مؤلفيها، ومناهجهم.

المدرسة الأولى: هي مدرسة التقليبات بنوعيها، الصوتية، والأبجدية.

المدرسة الثانية: مدرسة القافية.

المدرسة الثالثة: مدرسة الأبجدية العادية.

وإليك شرح هذه المدارس على سبيل الإيجاز.

أولاً: مدرسة التقليبات: وأول من ابتكرها صاحب أول معجم شامل في العربية، وهو الخليل بن أحمد في كتابه (العين).

حيث جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في مكان واحد مراعياً بذلك الناحية الصوتية؛ فهو يبدأ بأبعد الحروف من هذه الناحية.

ولما كانت حروف الخلق هي الأبعد مخرجًا فهو يبدأ بها، ثم يبني باللسانية، وهي التي تليها في المخرج، ثم بالشفوية، ثم اختتم بحروف العلة.

فمثلاً: الكلمات الثلاثية يكون لها ستة تقليبات، ويبدأ فيها بأبعدها مخرجًا.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٩-٨.

مثال ذلك: الكلمات التي تكون من الباء والراء والعين لها تقليليات ستة - كما مر. ويفيداً بأبعدها مخرجاً وهي العين، ثم بالراء؛ لأنها لسانية، ثم بالياء؛ لأنها شفوية.

هكذا: ١- عرب ٢- عبر ٣- رعب ٤- ريع ٥- بعر ٦- برع.

وهذا ما يعرف بالتقليليات الصوتية، فالخليل بنخليل الله وضع الحروف على حسب مخارجها؛ فبدأ بأبعدها مخرجاً وهو العين فسمى معجمه بذلك.

وهذا تأليفه للحروف بنخليل الله :

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ي / همزة.

مثال آخر لطريقة التقليليات :

مادة: الراء، والكاف، والباء: ركب

كيف نبحث عنها في كتاب العين أو غيره من يأخذ بنظام التقليليات؟

والجواب أن ذلك يكون بطريقة التقليليات الصوتية؛ حيث يبحث عن أبعد حروف المادة مخرجاً فيبدأ به، وذلك كما يلي :

كرب، كبر، ركب، ربك، بكر، برك، وهكذا...

هذا وقد تبع الخليل بن أحمد في هذه الطريقة علماء كثيرون، من أشهرهم: أبو علي القالي ت ٣٥٦ هـ في معجمه (البارك)، وأبو منصور الأزهري ت ٤٥٨ هـ في معجمه (التهذيب)، وابن سيده ت ٤٥٨ هـ في معجمه (المحكم).

وهذه الطريقة صعبة، وتحتاج إلى معرفة بالأصوات، وهذا ما قلل الاستفادة

من المعاجم التي تأخذ بهذه الطريقة.

وهناك نوع آخر من التقليبات، ويكون حسب أول الحروف ترتيباً من الناحية الأبجدية؛ فالمادة الثلاثية وتقليلياتها الستة توضع تحت أول الحروف ترتيباً من هذه الناحية.

فمثلاً ترتيب مادة الباء، والراء، والعين، يكون هكذا: برع، بعر، ربع، رعب، عبر، عرب.

وينفرد ابن دريد بهذه الطريقة في كتابه الجمهرة.

ثانياً: مدرسة القافية، أو نظام القافية:

وهذه المدرسة تعتمد على الحرف الأخير - كما يبدو في التسمية - حيث يُنظر إلى الحرف الأخير في المادة، فيجعل باباً، والحرف الأول، فيجعل فصلاً.

والمعجم - بذلك - يحتوي على ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، وكل باب يحوي ثمانية وعشرين فصلاً.

مثال ذلك كلمة (علم) يبحث عنها في باب الميم، فصل العين وهو كذلك...

وقد اتبع هذه الطريقة كثير من العلماء، من أشهرهم الجوهرى ت ٣٩٨هـ في معجمه (الصالح)، وابن منظور ت ٧١١هـ في معجمه (لسان العرب) والفiroزآبادي ت ٨١٧هـ في (القاموس المحيط) والزبيدي ت ١٢٠٥هـ في معجمه (تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس).

ثالثاً: مدرسة الأبجدية العادية:

وهي التي يراعى فيها وضع الألفاظ وترتيبها في أبواب وفصول حسب

الترتيب الموجود في الكلمة، فينظر إلى الحرف الأول، والثاني وما يكون معهما لفظاً ثالثياً بدون تقليل، بل ترتيب الأبواب حسب الحرف الأول مراعيًّا في ذلك الحرف الثاني، ثم الثالث.

وهذه طريقة سهلة ميسرة؛ ولهذا رأى كثير من العلماء - وخاصة المحدثين - اتباعها؛ لأنها لا تحتاج إلى دراسة الأصوات، ولكنها تسير حسب ما هو معروف في الترتيب الأبجدي العادي.

ولعل أول من أخذ بتلك الطريقة العالم اللغوي ابن فارس في معجميه (مقاييس اللغة) و (مجمل اللغة).

وكذلك الزمخشري ت ٥٣٨ هـ في معجم (أساس البلاغة) وكذلك المعاجم الحديثة مثل (المعجم المحيط) و مختصره (قطر المحيط) لبطرس البستاني ت ١٣٠٧ هـ، و (النجد) للأب لويس الملعوف ت حوالي ١٣٢٤ هـ، و (المعجم الوسيط) الذي صدر عن المجمع اللغوي سنة ١٣٨٠ هـ.

الفصل الثاني : دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : الكتاب الأول : كتاب العين.

المبحث الثاني : الكتاب الثاني : تهذيب اللغة.

المبحث الثالث : الكتاب الثالث : المحكم والمحيط الأعظم
في اللغة.

المبحث الرابع : الكتاب الرابع : معجم الجمهرة.

الفصل الثاني: دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات

نظام التقليبات - كما مر- على نوعين: أحدهما: نظام التقليبات الصوتية، والآخر: نظام التقليبات الأبجدية.
والحديث هنا سيتناول أربعة كتب تأخذ بنظام التقليبات، ثلاثة منها تأخذ بنظام التقليبات الصوتية، وهي (العين) و (التهذيب) و (الحكم).
وواحد منها يأخذ بنظام التقليبات الأبجدية، وهو (الجمهرة).

المبحث الأول: الكتاب الأول: كتاب العين^(١)

أولاً: صاحبه: هو الخليل بن أحمد اليمحمدي الأزدي الفراهيدى. وهو من أصل عربي، ولد في عُمان على الخليج العربي سنة ١٠٠ هـ، ونشأ في البصرة، وعرف بالبصرى، وتلقى على أيدي كبار علمائها من أمثال أبي عمرو ابن العلاء، وأيوب، وعاصم الأحول، كما تصدى للتدرис بمجالس البصرة، فتلمذ على يديه كثير من أفضل العلماء كالنضر بن شمبل، والأصمى، وسيبوه.

وكان ذا ديانة، وعفاف وصيانة، وجود وزهد، وقناعة، وسماحة نفس.

وكان ذا عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة.

ولم يقف علمه عند اللغة فحسب، بل تفوق في علوم الشريعة وغيرها.

أثنى عليه العلماء، وأثروا بفضله، ونبوغه، وعقبريته.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك - فلينظر إلى الخليل بن أحمد».

وقال حمزة الأصبغاني رحمه الله: «لم يكن للمسلمين أذكي عقلاً من الخليل».

كما أعجب به كثير من المستشرقين الذين اعترفوا بفضله، ونبوغه.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٢٥-١٠، ومقدمة كتاب العين تحقيق د. عبدالحميد هنداوي

ثانياً: الاهتمام بكتاب العين وخلاصة الآراء حوله^(١):

اهتم العلماء بكتاب العين، وكثير الجدل والخلاف حوله خصوصاً من ناحية تأليفه ومؤلفه؛ فمنذ عصر الخليل إلى عصرنا هذا والخلاف حوله كثير جداً.

ويكاد الخلاف في هذه المسألة يتلخص في الآراء التالية:

- ١- أن الخليل لم يمؤلف كتاب العين، ولا صلة له به، ومن قال بذلك أبو علي القالي، وأستاذه أبو حاتم.
- ٢- أن الخليل لم يضع نص كتاب العين، ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه، فزعموا أن الفكرة للخليل، والتنفيذ لتلميذه الليث بن المظفر بن نصر الخراساني. وأول من قال بذلك: الأزهري صاحب التهذيب.
- ٣- أن الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين، ولكن كان لغيره عون في ذلك؛ حيث مال أغلبهم إلى أن الليث هو الذي ساعد في إتمام الكتاب. ولكن أصحاب هذا الرأي يختلفون فيما بينهم في تفسير اشتراك الليث مع الخليل، وإلى أي مدى عاون الليث في تأليف الكتاب؛ فمنهم من قال: إن الليث أعاد وضع الكتاب، وينسب ذلك إلى ابن المعتز، ومنهم من قال: الخليل وضعه والليث أكمله، وينسب هذا إلى أبي الطيب اللغوي.
- ٤- أن الخليل عمل من كتاب العين أصوله، ورتب أبوابه، وصنف مواده، ولكن غيره حشا المفردات.

١- انظر هذه الآراء، ومناقشتها بالتفصيل في المزهر ٩٢-٧٦/١، ومقدمة كتاب العين د. عبد الحميد

٥- أن الخليل عمل كتاب العين، بمعنى أنه ألفه، وروي عنه.
ومن أشهر من قال بهذا ابن دريد، وابن فارس، والسيوطى، المستشرق
براؤنلتش.

قال ابن دريد رحمه الله في مقدمة الجمهرة: «وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل ابن
أحمد الفرهودي كتاب العين، فأتعجب من تصدى لغايته، وعنى من سما إلى
نهايته»^(١).

وقال ابن فارس رحمه الله في مقدمة كتابه المقاييس حينما تحدث عن مصادر كتابه:
«فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين»^(٢).
وقال السيوطي رحمه الله: «أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد ألف
في ذلك كتاب العين المشهور»^(٣).

وأما المستشرق براؤنلتش فقد توصل بعد طول دراسة وتأمل إلى أن الكتاب
للخليل، وبين سبباً لهذا وهو أن جُلَّ من تكلموا على العين اتفقوا على أن
التنظيم والترتيب من صنع الخليل، وهذا هو جوهر المسألة، وهو المعنى بكلمة
التأليف، أما الإضافة والحذف فلا تؤثر في كون الخليل مؤلف الكتاب.
وأضاف -أيضاً إلى هذا- أن تلميذه الليث قد قام بنصيب كبير في نقل الكتاب
عن الخليل، وربما أثبت فيهأشياء بعد أن استأذن الخليل في ذلك.

١- مقدمة الجمهرة .٣/١

٢- معجم مقاييس اللغة .٣/١

٣- المزهر .٧٦/١

وانتهى من هذا إلى أن الخليل هو المؤلف، وأن المخرج للكتاب هو الليث^(١).

الرأي الراجح :

لعل الرأي الراجح الصحيح هو أن الخليل هو واطع كتاب العين كما نص على ذلك صراحة ابن دريد، وابن فارس، والسيوطى وغيرهم.

وأما ما وجد فيه من أشياء لا يمكن نسبتها إلى الخليل، مثل التصحيف أو التحرير أو مسائل لا تسير وفق مذهب البصري، أو حكايات عن المؤخرين عنه، أو المعاصرين له فذلك كله إنما هو من عمل النساخ، أو غيرهم من قد يعتمدون ذلك.

ثم إن الآراء الأخرى أغلبها استنتاجي يعتمد فقط على الرواية دون النظر إلى وقائع الأمور^(٢).

ثالثاً: المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين^(٣):

يمكن إيجاز المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين على النحو التالي:

١ - اتبع نظام التقليبات الصوتية وبدأ بأبعد الحروف مخرجاً: حيث رتب المواد على أساس مخارج الحروف -كما مر- فبدأ بأبعدها مخرجاً وهي الحلقة (ع ح ه خ غ) ثم حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (ق ك) ثم وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (ج ش) ثم حرف الضاد على اختلاف في

١- نشر هذا المستشرق بحثاً مطولاً عن هذا الموضوع في مجلة إسلاميات ٣٩/٢.

٢- انظر دراسات في المعاجم ص ١٠-١١ ، ومقدمة العين ٢٥/١.

٣- انظر دراسات في المعاجم ص ١٦-١٩.

مخرجه (ض) ثم طرف اللسان مع أطراف الثنایا السفلی (ص س ز) ثم مع أصول الثنایا العليا (ط د ت) ثم مع أطراف الثنایا العليا (ظ ذ ث) ثم مع اللثة العليا (ر ل ن) ثم حروف الشفتين (ف ب م) وأخيراً الحروف الجوفية (و ا ي).

وقد سمي كل حرف منها كتاباً، وسمى المعجم كله بأول حرف بدأ به، وهو العين.

قال السيوطي رحمه الله : «فائدة : ترتيب كتاب العين ليس على الترتيب المعهود الآن في الحروف ، وقد أكثر الأدباء من نظم الأبيات في ترتيبه؛ من ذلك قول أبي الفرج سلمة بن عبد الله بن لادن المعاشر الجزيري :

يا سائلي عن حروف العين دونكها	في رتبة ضمها وزنٌ وإحصاء
العين والهاء ثم الهاء والخاء	والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها	صاد وسین وزاي بعدها طاء
والدال والتاء ثم الطاء متصل	بالظاء ذال وثاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء	واليم والواو والمهموز والياء ^(١)

٢- جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في موضع واحد، واتبع فيها نظام التقليبات - كما مر - .

٣- لاحظ الأبنية حسب مقدار حروف الكلمة؛ حيث يبدأ بالثنائي ، ثم الثلاثي ، ثم الرباعي ، ثم الخماسي.

٤- أرجع الكلمة إلى حروفها الأصلية وذلك بتجريدها من الزوائد، وإرجاع

المتعلل إلى أصله، مثال ذلك: استغفر تكون: غفر، وقال: قول، وباع: بع... وهكذا...

٥- استشهاد بالكتاب، والسنة، كما استشهد بالمؤثر من كلام العرب، ونادرًا ما يُنسب ما يذكر.

٦- ينبع على المهمل والمستعمل في بداية كل مادة وتقليلاتها مثال ذلك: باب العين والكاف، والدال، عك، دعك، دكع، مستعملات، عدك كدع، كعد مهملات.

رابعاً: المأخذ على كتاب العين^(١):

١- استشهاده بشعر بعض المحدثين، واحتواؤه على حكايات عن بعض المؤخرین الذين جاؤوا بعد وفاة الخليل كأبي إسحاق الزجاج، وكراع النمل وغيرهما.

٢- خلطه بعض المواد الرباعية والخامسية.

٣- احتواؤه على كثير من التصحيفات التي لا تليق بالخليل.

٤- بناء المعجم على أساس صوتي، وذكر المادة وتقليلاتها في موضع واحد؛ فهذا يجعل البحث عن الكلمات صعباً؛ إذ لا بد من معرفة مخارج الأصوات، ومعرفة التقليلات لمن يريد الكشف في العين عن معنى الكلمة حتى يسهل عليه ذلك. وهذا من أكبر الأسباب التي قلللت الاستفادة من مثل هذا المعجم.

وقد طبع المعجم طبعة جديدة صدرت عن دار الكتب العربية بيروت لبنان

١- انظر المزهر ٧٩/١ - ودراسات في المعاجم ص ٢٥-٢٠.

١٤٢٤هـ، وترتيب وتحقيق د. عبدالحميد هنداوي.

وهذه الطبعة رَبَّتَتْ المعجم ترتيباً أَبْجِدِيَاً عَادِيَاً؛ فلعل في ذلك تسهلاً وتيسيراً.

٥- أنَّ ما في العين من آراء نحوية إنما هو على مذهب الكوفيين، وبخلاف مذهب البصريين.

مع أن مذهب الخليل كان يتبع المذهب البصري.

٦- أخذ بعض العلماء على الخليل انفراده بكثير من الألفاظ، مثل قوله: التاسوعاء: اليوم التاسع من المحرم، وقد استدرك ذلك عليه الزبيدي بقوله: «لم أسمع بالتاسوعاء، وأهل العلم مختلفون في عاشوراء، فمنهم من قال: إنه اليوم العاشر من المحرم، ومنهم من قال: إنه اليوم التاسع».

ودافع السيوطي عن ذلك بقوله: «إن الانفراد أمر طبيعي، وحكمه القبول إن كان المنفرد به من أهل الضبط والإتقان كأبي زيد، والخليل، والأصمسي»^(١).

٧- اشتمل كتاب العين على أخطاء صرفية واستقافية كقوله: «ليس في الكلام نون أصلية في صدر الكلمة».

قال الزبيدي في استدراكه: « جاءت كثيراً نحو: نهشل ، ونعم ».

هذه جملة من المآخذ على كتاب العين، وقد اعتذر له كثير من الباحثين والمنصفين.

يقول الدكتور أمين فاخر: «ويبدو أن هذه المآخذ يرجع معظمها إلى عمل

١- وقد حكى السيوطي كثيراً من الأمثلة في بابين من كتاب المزهر: الأول: (ذكر نوادر من التأليف)

٤٨-٤٢/٢ والثاني: (باب ضوابط واستثناءات في الأبنية وغيرها) .٤٩/٢

النساخ الذين خلطوا بين متن الكتاب الذي هو للخليل، وبين الهوامش التي وضعها بعض المتأخرین من تلاميذ الخليل حينما رأوا أن يدونوا ملاحظاتهم على الكتاب»^(١).

وقال السيوطي رحمه الله: «وقد طالعته إلى آخره، فرأيت وجه التخطئة فيما خطى به غالبه من جهة التصريف والاشتقاق؛ كذكر حرف مزيد في مادة أصلية، أو مادة ثلاثة في مادة رباعية ونحو ذلك، وبعضه ادعى فيه التصحيف. وأما أنه يخطأ في لفظه من حيث اللغة بأن يقال: هذه اللفظة كذب، أو لا تعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك.

وحينئذ لا قدح في كتاب العين؛ لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف، وهذا أمر هين؛ لأن حاصله أن يقال: الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب، وإيرادها في هذا الباب.

وهذا أمر سهل، وإن كان مقام الخليل ينزعه عن ارتكاب مثل ذلك، إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب، والاعتماد عليه في نقل اللغة.

والثاني: إن سُلِّمَ فيه ما ادعى من التصحيف يقال ما قالته الأئمة: ومن ذا الذي سلم من التصحيف؟ كما سيأتي في النوع الثالث والأربعين مع أنه قليل جداً^(٢). وهكذا يتبيّن لنا من خلال ما مضى منزلة كتاب العين، وأن المأخذ عليه -إذا وجدت- لا تنقص من قيمته، ويكتفيه فخراً أنه أول معجم لغوي شامل في العربية.

١- دراسات في المعاجم ص ٢٤

٢- المزهر ٨٦/١

المبحث الثاني: الكتاب الثاني: تهذيب اللغة^(١)

أولاً: صاحبه: هو أبو منصور محمد بن أزهر الهروي المعروف بالأزهرى، ولد سنة ٢٨٢ هـ وتوفي سنة ٣٧٠ هـ.

ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعى، وبرز فيه إلا أنه تحول بعد ذلك إلى دراسة اللغة، وساعدته على ذلك أنه اختلط بعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم؛ فقد حدث أيام فتنة القرامطة سنة ٣١٢ هـ في أيام المقتدر بالله المعتصم أن كان الأزهرى مسافراً إلى الحج، وعند عودته أسرته الأعراب، وعاش فترة طويلة بين عرب هوازن وقد اختلط بهم تيم وأسد، وهؤلاء جميعاً من فصحاء العرب، ويحكي ذلك الأزهرى نفسه كما روت له كتب الترجم ف يقول: «وكنت امتحنت بالإسرار سنة عارضت القرامطة الحجاج بالهبير^(٢)، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشأوا بالبادية يتبعون مساقط الغيث أيام النَّجَع، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النَّعْم، ويعيشون بأبنانها، ويتكلمون بطبااعهم البدوية، وقرائتهم التي اعتادوها، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً، وكنا نتشتت الدهناء، ونرتبع الصُّمَان، وتنقيظ الستارين».

١- انظر مقدمة تهذيب اللغة للأستاذ عبد السلام هارون ٢٦٥/١ ، ودراسات في المعاجم العربية ص ٣١-٣٢.

٢- الهبير: رمل زرود في طريق مكة.

واستفدت من مخاطباتهم، ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب^(١).

وقد رجع الأزهري -بعد انتهاء أسره- إلى بغداد وكله شوق إلى دراسة اللغة وللوع بالبحث عن معاني الألفاظ والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها، وإحکام الكتب التي تأثرت به سمعاعها من أهل الثبت والأمانة للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين، وقد حكى ذلك عن نفسه في مقدمة كتابه التهذيب.

وفي بغداد تلمذ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بـ: نفطويه ت ٢٢٢ هـ، وأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج ت ٣١٦ هـ، وأبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ت ٣١٧ هـ).

ثانياً: هدف الأزهري من التأليف: لعل عنوان كتابه (التهذيب) يبين هدفه من تأليفه؛ فقد قصد من ذلك أن يهذب اللغة، ويخلصها مما علق بها من شوائب. والمتابع لكلامه في المقدمة -كما يقول الدكتور أمين فاخر- يبدو له أن للأزهري أهدافاً ثلاثة :

- ١- تقيد ما سمعه وحفظه من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقام بينهم.
- ٢- النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين.
- ٣- تصحيح الأخطاء الواردة في كتب اللغة قبله.

ثالثاً: منهجه: يمكن تلخيص منهج الأزهري في كتابه التهذيب فيما يلي :

- ١- اتبع نظام الخارج، وبدأ بحرف العين.

٢- سار على نظام التقليبات الصوتية بحيث يذكر المادة وما تقلب منها.

٣- قسم المعجم إلى أبواب حسب حروف الهجاء، ثم قسم كل باب إلى ستة أبنية، هي: الثنائي، والثلاثي الفصيح والمهموز والمعتل، والرباعي، والخمساني، وأشار في صدر كل باب إلى المهمل المستعمل.

رابعاً: مميزات معجم التهذيب:

١- اعنى كثيراً بالشواهد القرآنية، والحديثية، وبالقراءات المختلفة.

٢- يشير إلى المهمل وسبب إهماله، كما يشير إلى المستعمل الذي أهمله من سبقه من العلماء.

٣- اهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها.

٤- اعنى بذكر الموضع والبلدان.

٥- توسع في ذكر الألفاظ وشرحها.

خامساً: المآخذ على التهذيب: من المآخذ عليه ما يلي:

١- اتباعه لنظام التقليبات الصوتية مما جعل البحث فيه عسيراً صعباً.

٢- توسيعه في الشرح مما فتح عليه باب التكرار.

٣- تحامله على كثير من اللغويين السابقين.

هذه بعض المآخذ على الأزهرى، وعلى أي حال فمعجمه من المعاجم التي

بذلت فيها جهد عظيم، وأفادت منها العربية فائدة جليلة.

المبحث الثالث: الكتاب الثالث: المحكم، والمحيط الأعظم في اللغة^(١)

أولاً: صاحبه: هو ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي الأندلسي.

ولد سنة ٣٩٧ هـ بمدينة مرسية بالأندلس ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ .
ورغم أنه كان ضريراً فقد نبغ في كثير من العلوم ، وخاصة اللغة ، فقد كان إماماً بها.

وقد أخذ عن كثير من علماء اللغة الأجلاء ، ومنهم والده الذي كان عالماً باللغة.
وقد امتاز ابن سيده بمكانة علمية مرموقة بين علماء عصره ، وخاصة في بلاد الأندلس؛ فقد وهبه الله حافظة قوية ، وذاكرة نادرة مما جعله - وهو ضرير - يحظى بما لم يحظ المبصرون.

ولابن سيده في اللغة مؤلفات أخرى غير المحكم ، ولعل أكبرها: كتاب (المخصص) الذي يعد من أعظم معاجم المعاني إن لم يكن أعظمها على الإطلاق ، وهو يقع في سبعة وعشرين جزءاً.

أما كتابه المحكم فهو من أهم المعاجم اللغوية التي اتبعت نظام التقليبات الصوتية ، وقد طبع أخيراً طبعة جيدة ، بتحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، ضمن منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ،

١- انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٥/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٤/١٨ ، ولسان الميزان لابن حجر ١٣٧/٤ ، ومقدمة كتاب المحكم ، وانظر دراسات في المعاجم العربية ص ٣٧-٣٢.

ويقع في ١١ مجلداً.

ثانياً: هدفه من تأليف كتاب المحكم: يتضح من مقدمته أن هدفه فيه يكاد ينحصر في أمرتين: ١ - جمع شتى الموارد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يعني عنها.

٢ - أنه أراد تصحيح ما فيها من أخطاء.

ثالثاً: منهجه:

١ - اتبع نظام التقليبات الصوتية، وبدأ بأبعد الحروف مخرجاً وهو العين.

٢ - وضع لنفسه نظاماً يسير عليه في اختيار الألفاظ؛ فحذف بعض الأبنية لاطرادها، أو فهمها من سياق الكلام، وأشار إلى أبنية لم تذكرها المعاجم السابقة، بل ذكرتها كتب النحو والصرف، كما ميز الأبنية المتشابهة التي أغفلها اللغويون من قبله كتمييزه بين الاسم الجمع، وجمع الجمجم، وغير ذلك.

رابعاً: مميزات معجم المحكم:

١ - تجنب الأخطاء التي وقعت في كتاب العين.

٢ - تجنب التكرار الذي وقع في تهذيب الأزهر.

٣ - اعنى بالأحكام النحوية والصرفية التي أغفلتها المعاجم السابقة.

٤ - اعنى باللغات والأعلام والعروض.

٥ - اعنى بكثير من الظواهر اللغوية مثل المزاوجة، والاتباع، والتغيرات المجازية.

٦ - أكثر من الشواهد غير مقتصر على ما ورد في المعاجم السابقة.

- خامساً: المآخذ على المعجم:** على الرغم مما امتاز به كتاب المحكم فقد أخذ عليه بعض الباحثين مآخذ كثيرة منها على سبيل الإيجاز :
- ١- اتباعه لنظام التقليليات الصوتية، مما جعل البحث فيه عسيراً.
 - ٢- مخالفته لبعض علماء اللغة الموثوق بهم.
 - ٣- وقوعه في بعض الأخطاء والتصحيفات، كما في قوله في (الهسع والهيسوع) : «اسمان وهي لغة قدية لا يعرف اشتقاقها» .
- ويقول الفيروزأبادي معلقاً على ذلك : «لقد أبعد أبو الحسن في المرام، وأبعد في السوم، وإن هذين الاسمين عربيان حميريان، واشتقاهم من هسع إذا أسرع» ^(١).
- ٤- أنه ساير بعض المعاجم السابقة عليه وخاصة العين في بعض الأخطاء.
 - ٥- إيراده بعض الألفاظ التي وُجّه إليها النقد في المعجم السابقة كالعين والجمهرة.

ورغم هذه المآخذ فإن كثيراً من علماء العربية يعدون كتاب المحكم من أحسن المعاجم التي ألفت على نظام التقليليات إن لم يكن أحسنها على الإطلاق.

١- انظر دراسات في المعجم ص ٣٦

المبحث الرابع: الكتاب الرابع: معجم جمهرة اللغة^(١)

هذا الكتاب يمثل نظاماً جديداً من التأليف مختلفاً عن نظام الخليل وما تبعه من المعاجم التي سارت وفق مدرسة التقليبات الصوتية؛ ولهذا تأخر ذكره في الدراسة في هذا الكتاب مع أنه متقدم عليها في تأليف.

والدراسة في هذا الكتاب -كغيره-. حيث ستتناول الأمور التالية:

أولاً: صاحبه: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد.

ولد عام ٢٢٣هـ بالبصرة، وتوفي فيها عام ٣٢١هـ عن ثمانية وتسعين عاماً.

ويعد من أبرز علماء القرنين الثالث والرابع من الهجرة.

وكان أبوه الحسن بن دريد من الرؤساء، وقد نشأه والده تنشئة أهله لأن يتتصدر في العلم ستين سنة، وعد بذلك -كما تذكر كتب الطبقات- رأس أهل العلم، والمقدم في حفظ اللغة والأنساب، وأشعار العرب.

وكان ابن دريد حجة في اللغة ذا حافظة قوية، وعقلية نادرة، وله قصص في ذلك.

وكان شاعراً مُقلقاً، ويذكر ياقوت الحموي أنه كان يقال عنه: «ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء»^(٢).

١- انظر مقدمة كتاب *جمهرة اللغة* ٢١-٢٠، ففيها تفصيل لسيرته، ومنهجه، وانظر دراسات في المعاجم العربية ص ٣٨-٤٨.

٢- *معجم الأدباء* ١١/١٢٩.

أخذ عن كثير من علماء عصره كأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وأبي عثمان الأشناذاني وغيرهم.

وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن خالويه وغيرهم. كما خلف ثروة ضخمة من كتب اللغة أشهرها الجمهرة، والاشتقاق.

ثانياً: سبب التسمية، والهدف من الكتاب: أما سبب تسمية الكتاب بد: الجمهرة فلأنه - كما يقول في المقدمة - « وإنما أعنناه هذا الاسم؛ لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر »^(١).

أما الهدف فواضح من المقدمة، ويكاد ينحصر في أمرين :

١- جمع الألفاظ الشائعة المألوفة والبعد عن الوحشي المستنكر.

٢- جمع الألفاظ بطريقة ميسرة خلاف ما كانت عليه طريقة الخليل.

قال ابن دريد رحمه الله في مقدمته : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي - رضوان الله عليه - كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ، ولكنه رحمه الله ألف كتابه **مشكلاً**^(٢) لِتُقُوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحِدة أذهان أهل دهره .

وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش ، والعجز لهم شامل ، إلا خصائص كدراري النجوم في أطراف الأفق ، فسهّلنا وعره ، ووطأنا شائز^(٣) .

١- جمهرة اللغة لابن دريد ٤/١.

٢- هكذا في المزهر ٩٢١ ، وفي الجمهرة: مشكلاً.

٣- الشائز: الصعب.

وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة؛ إذ كانت بالقلوب أعلم، وفي الأسماء أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة»^(١).

ثالثاً: إملاء ابن دريد الجمهرة: قال السيوطي رحمه الله: «وقال بعضهم: أملى ابن دريد الجمهرة في فارس، ثم أملأها بالبصرة وبيروت من حفظه، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللقيف؛ فلذلك تختلف النسخ، والنسخة المعمول عليها هي الأخيرة، وأخر ما صَحَّ نسخة أبي الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بـجُجْجُجْ؛ لأنَّه كتبها من عدة نسخ، وقرأها عليه»^(٢).

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، ومنها طبعة دار صادر بيروت وتقع في أربعة مجلدات.

رابعاً: منهجه^(٣): يعد معجم الجمهرة ثاني معجم شامل في العربية بعد كتاب العين، وقد حاول ابن دريد أن يخالف الخليل في ترتيب المواد، فابتكر نظاماً جديداً للتقليليات وهو تقليل المادة حسب حروفها ترتيباً أبجدياً. وهو في هذا قد سلك مسلكاً جديداً في ترتيبه للمواد المعجمية، ولم يتبعه في هذا أحد من أصحاب المعاجم من بعد. ولهذا يعده بعض الباحثين مثلاً لمدرسة جديدة هي مدرسة التقليليات الأبجدية.

١- جمهرة اللغة ٣/١

٢- المزهر ٩٤/٩٥

٣- انظر دراسات في المعاجم ص ٤١-٤٢.

أما في غير ذلك فقد نهج نهجاً لا يختلف عن منهج الخليل في معجم العين.

ولذلك يمكن أن يوجز المنهج الذي سار عليه ابن دريد فيما يلي:

١- أرجع الكلمات إلى حروفها الأصلية، فجرد الكلمة من الزوائد، وأرجع القلوب إلى أصله، و شأنه في هذا شأن جميع المعاجم.

٢- اتبع نظام التقليليات للكلمة، ولكنها التقليليات الأبجدية؛ فإذا تحدث -على سبيل المثال- عن (ب ر ك) تحدث بعدها عن جميع تقاليفها وهي: (ب ك ر) و(ر ب ك) و(ك ب ر) و(ك ر ب) وهكذا في كل الموارد؛ حيث يقللها حسب التقليل الأبجدي لا التقليل الصوتي.

وهذه أسهل من طريقة الخليل.

٣- جعل الأبنية هي الأساس الأول في تقسيمه للمعجم، ثم قسمها إجمالاً كتقسيم الخليل، فهي عنده ثلاثة -والثلاثي يشمل الثنائي المضعف- رباعية، وخمسية، وملحقات بكل بناء.

أما تفصيلاً فقد اضطرب إلى حد كبير؛ فقد تنوّعت الأبنية في الجمهرة تنوعاً كبيراً حتى إن بعض الباحثين حصرها في سبعة عشر باباً وهي: الثنائي الصحيح، والملحق ببناء الرباعي المكرر، والمعتل، والثلاثي الصحيح وما تشعب منه، وما اجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع، وما عين الفعل منه أحد أحرف اللين، والثلاثي المعتل، وباب التوادر في الهمز، وباب اللفيف في الهمز، وأبواب الرباعي الصحيح، والرباعي الذي جاء فيه حرفان مثلان، والرباعي الذي جاء على أوزان ضعف فيها الحرف الرابع، وما ألحق بالرباعي والخمسي والسادسي، واللفيف، وأبواب متفرقة من التوادر.

٤- أورد في مقدمته بحوثاً لغوية مهمة، تعد مكملة لبحوث الخليل ولا تخلو من فوائد عظيمة في مجال البحث اللغوي الحديث. وقد بدأ هذه المقدمة باستنكار الطعن في السلف ، والإزراء بالعلماء السابقين. ثم تحدث في المقدمة أيضاً عن ضرورة معرفة حروف المعجم ، وما يألف منها وما لا يألف ، وسبب ذلك.

كما ذكر عدد الحروف وهي تسعة وعشرون حرفًا ، ما يختص العرب بنطقه منها ، وما لا يختص ، وما لم يجيئ من الحروف في لغة العرب.

كما أفرد باباً لصفة الحروف وأجناسها ، وذكر أنها سبعة أجناس يجمعهن لقبان: المصمتة ، والمذلقة ، مبيناً معناهما ، وعرض لبقية الصفات ، وهي الهمس والجهر والشدة ، شارحاً كل نوع ، وذاكراً حروفه.

وذكر مخارج الحروف وأجناسها ، فبدأ بالحلقية ، ثم حروف الفم ، ثم المخارج الشفوية.

كما ذكر أنه لا بد للباحث من معرفة الحروف الأصلية والزيادة ، وعقد فصلاً في ذلك مبيناً مواضع زيادة الحروف.

كما عقد فصلاً للأبنية ، وسماه باب الأمثلة ، فذكر أنها ثلاثة ، وأنها عشرة ورباعية وخمسية ، وذكر أبنية كل نوع والأمثلة التي وردت منه.

كما يفهم مما ذكره ابن دريد في المقدمة - أيضاً - أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقلها استعمالاً - لثقلها على ألسنتهم - الطاء والدال ، وأن الثلاثي أكثر الأبنية.

ثم أخذ بعد ذلك في ذكر الموارد اللغوية وشرحها.

خامساً: مميزات معجم الجمهرة: جاء معجم الجمهرة -كما مر- بعد معجم العين مباشرة، وقد حاول فيه صاحبه أن يتحاشى ما وقع فيه الخليل في كتاب العين، ويمكن إجمال مميزات الجمهرة فيما يلي :

- ١- ابتعد ابن دريد عن نظام التقليبات الصوتية، واتبع نظام التقليبات الأبجدية، وهي -على كل حال- أيسر.
 - ٢- انفرد ابن دريد ببعض الصيغ كما انفرد ببعض الشواهد.
 - ٣- اعنى باللهجات الواردة عن القبائل العربية، ونسبها إلى أهلها.
 - ٤- اعنى بالشواهد القرآنية والحديثية وكلام العرب.
 - ٥- اعنى بالإشارة إلى الألفاظ المُعَرَّبة والدخيلة.
- سادساً: المأخذ على الجمهرة^(١) :**

- ١- اتباعه لنظام التقليبات الأبجدية؛ فهي وإن كانت أيسر من نظام الصوتية إلا أن نظام التقليبات بحد ذاته شاق.
- ٢- وقوعه في كثير من الاضطرابات؛ فقد خلط في الأبنية ونظمها؛ حيث لم يجعلها الأساس الأول في جميع المعجم، ولكنه أحق في بعض الأبواب إضافات صادفته أثناء التأليف.

كما اضطرب في خطته حيث انفرد في معجمه بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٤٣-٤٨.

٣- أنه اتهم باضطراب التصنيف وفساد التصريف -كما ذكر ذلك ابن جنی- .

قال السيوطي: «وقال ابن جنی في الخصائص: وأما كتاب الجمهرة ف فيه أيضاً من اضطراب التصنيف، وفساد التصريف، مما أَعْذَرُ وأَضْعَهُ فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر.

ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميماً من التنبية على هذه الموضع ما استحببت من كثرته؛ ثم إنه لما طال عليّ أومأت إلى بعضه وضررت البتة عن بعضه» .

ثم وضح السيوطي مقصود ابن جنی ، ودافع عن ابن دريد ، بقوله : «قلت: مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف ، وذكر المواد في غير محالها كما تقدم في العين؛ ولهذا قال: «أَعْذَرُ وأَضْعَهُ فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر»

يعني أن ابن دريد قصیر الباع في التصريف وإن كان طويلاً في اللغة .
وكان ابن جنی في التصريف إماماً لا يشق غباره؛ فلذا قال ذلك^(١).

٤- أنه اتهم بالكذب ، وصنع الألفاظ ، حيث حکى السيوطي ذلك عن الأزهري ثم قال: «وقال الأزهري: من ألف الكتب في زماننا فُرمي بافعال العربية وتوليد الألفاظ أبو بكر بن دريد ، وقد سألت عنه إبراهيم بن محمد بن عرفة -يعني نفطويه- فلم يعُبَأْ به ولم يوثقه في روايته»^(٢).

ثم دافع السيوطي عن ابن دريد بعد ذلك بقوله: «قلت: معاذ الله وهو بريء

١- المزهر ٩٣/١.

٢- المزهر ٩٣/١.

ما رمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريره في روایته، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يُعرف منه ذلك، ولا يقبل فيه طعن نفطويه؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة، بحيث إن ابن دريد هجاه بقوله:

لَكَانَ ذَاكَ الْوَحِيُّ سَخْطًا عَلَيْهِ
مَسْتَاهْلِ لِلصَّفْعِ فِي أَخْدُعِيهِ
وَصَيْرَ الْبَاقِي صَرَاخًا عَلَيْهِ

لَوْأَنْزَلَ الْوَحِيُّ عَلَى نَفْطَوِيهِ
وَشَاعِرٌ يُدْعَى بِنْصَفِ اسْمِهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنْصَفِ اسْمِهِ

وهجا هو ابن دريد بقوله:

وَفِيهِ عَيْ وَشَرَّةٌ
وَضَعَ كِتَابٍ

ابن دريد بقرة
ويدعى من حمه

وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح^(١).

الفصل الثالث: المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية، ودراسة لبعض المعاجم التي تسير عليها.

وتحته تمهيد، وثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: المعجم الأول: تاج اللغة، وصحاح
العربية.**

المبحث الثاني: المعجم الثاني: لسان العرب.

المبحث الثالث: المعجم الثالث: القاموس الحيط.

الفصل الثالث

المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية،

ورداسة لبعض المعاجم التي تسير عليها

تمهيد

من الحديث عن هذه المدرسة التي تسمى مدرسة القافية ، أو نظام القافية.

والحديث عنها هنا سيكون فيما يلي^(١) :

أولاً: تعريف مدرسة القافية: هو جعل الحرف الأخير بـبـاً ، والأول فـصـلاً على حسب حروف الهجاء.

ثانياً: عدد الأبواب: أبوابها ثمانية وعشرون ، وكل باب ثمانية وعشرون فـصـلاً.

ثالثاً: سبب التسمية: هو نظر الواضعين لها إلى الحرف الأخير في ترتيب الفصول من كل باب.

رابعاً: سبب التأليف على هذا النحو: صعوبة البحث في المعاجم التي اتبعت نظام التقليبات بنوعيها الصوتية والأبجدية؛ فأراد أصحاب مدرسة القافية تيسير البحث عن الكلمات.

خامساً: ما سبب نظرهم إلى الحرف الأخير؟ هو أنهما رأوا أن لام الكلمة - وهو الحرف الأخير - أقل تعرضاً للتغييرات من فاء الكلمة وعينها.

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٤٩ - ٥٠

وربما يكون هذا هو التفسير الصحيح لاتباع هذا النظام.

سادساً: أول من أنشأ هذه الطريقة: لعل أول من فكر في وضع معجم شامل بهذه الطريقة هو الجوهرى بنخلثه في معجمه الصحاح.

وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أنه قد سُبق في هذا النظام بعالمين من علماء اللغة هما أبو بشر البندنيجي ت ٢٨٤هـ في كتابه اللغوي (التفقية) وأبو إبراهيم إسحاق الفارابي خال الجوهرى ت ٣٥٠هـ في كتابه (ديوان الأدب) وذلك حين اتباع نظام القافية، فنظرًا إلى الحرف الأخير في ترتيب المواد اللغوية؛ فإن البندنيجي قد أهمل جزءاً هاماً من أسس هذه المدرسة وهو النظر إلى الحرفين: الأول والثاني، ونظر فقط إلى الحرف الأخير، كما أن كتاب التفقية هذا وكتاب ديوان الأدب لا يعدان من المعاجم اللغوية الشاملة بالمعنى الدقيق؛ فقد اقتصرا على مواد قليلة جداً بالنظر إلى المعاجم اللغوية الأخرى.

ولذلك يمكننا القول بأن معجم الصحاح للجوهرى يعد أول معجم شامل اتبع نظام القافية هذا، وإن لم يكن من المستبعد أن الجوهرى قد تأثرا بهما في ترتيب المواد.

سابعاً: أشهر المعاجم التي اتبعت نظام القافية: اتبع الجوهرى في هذا النظام كثيراً من أصحاب المعاجم، من أهمهم الصَّفَانِي ت ٦٥٠هـ في معجمه (العباب) وابن منظور ت ٧١١ في معجمه (لسان العرب) والفيروزآبادى ت ٨١٦هـ في معجمه (القاموس)، والزبيدي ت ١٢٠٥هـ في معجمه (تاج العروس).

وفيما يلي دراسة لبعض تلك المعاجم.

المبحث الأول: المعجم الأول: تاج اللغة، وصحاح العربية وهو المعروف بـ: (الصحاح)^(١)

أولاً: صاحبه: هو أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهرى الفارابي المعروف بـ: الجوهرى.

وأصله من فاراب إحدى بلاد الترك.

ولد سنة ٣٣٢ هـ وتوفي سنة ٣٩٨ هـ على الأشهر^(٢).

وكان الجوهرى إماماً في اللغة والأدب في عصره، وكلام الرواة عنه يدل على ما كان يتمتع به هذا العالم اللغوي من علم وذكاء وفطنة.

يقول عنه ياقوت: «إنه من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلماً».

وقد تلقى الجوهرى علومه على كثير من علماء اللغة، ومنهم خاله إبراهيم الفارابي ت ٣٥٠ هـ، وأبو سعيد السيرافي ت ٣٦٨ هـ، وأبو علي الفارسي ت ٣٧٧ هـ.

وقد رحل إلى الحجاز؛ رغبة في التزود من العلم، وشافه خُلُص العرب، وطَوَّفَ بعض القبائل العربية كـ: ربيعة ومضر.

وعاد بعد ذلك إلى خراسان، ويقال: إنه عاد إلى نيسابور، وعكف فيها على

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ٥١-٦٥.

٢- انظر ترجمته في يتيمة الدهر للثعالبي ٤/١٧٣-١٧٤، ومعجم الأدباء ٦/١٥١، ومقدمة الصحاح ١/١٨-١٧، ودراسات في المعاجم ص ٥١-٦٥.

التدرис والتأليف.

وقد تلمند على يديه كثير من أعلام اللغة كأبي الحسين بن علي، وأبي إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق وغيرهما.

ويذكر الرواة أنه كان شاعراً يميل في شعره إلى الحكم، ويدركون من ذلك

قوله:

قطعـت حـبـل النـاس بـالـيـاس	لو كـان لـي بـدـمـن النـاس
لا بـد لـلنـاس مـن النـاس	الـعـزـلـة لـكـنـه

وقوله:

تنـفـي الـهـمـوم وـتـذـهـب الـغـمـا	زـعـمـ المـدـامـةـ شـارـبـوهاـ أـنـها
أـنـ السـرـورـبـهـاـ الـهـمـ تـمـا	صـدـقـواـ سـرـتـ بـعـقـولـهـمـ فـتـوهـمـوا

وللجوهري مؤلفات كتب غير الصحاح، ومنها (عروض الورقة) في علم العروض، وكتاب (المقدمة) في النحو.

أما كتاب الصحاح فقد نال شهرة عظيمة ومكانة سامية بين علماء اللغة، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن عبدوس النيسابوري:

صـنـفـ قـبـلـ الصـحـاحـ سـيـدـ ما	هـذـاـ كـتـابـ الصـحـاحـ سـيـدـ ما
فـرـقـ فـيـ غـيرـهـ مـنـ الـكـتـبـ ^(١)	تـشـمـلـ أـبـوـابـهـ وـتـجـمـعـ ما

ثانياً: اسم المعجم: الاسم الموضع لمعجم الجوهرى هو (ناج اللغة وصحاح العربية).

ولكنه اشتهر بعد ذلك - اختصاراً - بالصَّحاح.

ولكلمة الصَّحاح ضبطان أحدهما بكسر الصاد، والآخر بفتحها: صَحاح، وكل منهما صحيح، والكسر أشهر.

«قال أبو زكريا الخطيب التبريزي اللغوي: يقال كتاب الصَّحاح بالكسر وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال: الصَّحاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح.

وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة في فعال كصحيح وصَحاح، وشحيم وشَحاح، وبريء وبراء»^(١).

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، منها طبعة الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، وأخرها الطبعة التي حققها د. إميل يعقوب، ود. محمد نبيل طريفى، من منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، وهي طبعة جيدة، وتقع في سبع مجلدات.

ثالثاً: هدف الجوهرى: ألف الجوهرى معجمه الصَّحاح قاصداً أمنرين أساسين:

أحدهما: تيسير البحث عن ألفاظ اللغة ومعانيها.

الآخر: التزام الصَّحاح منها.

رابعاً: منهجه: يمكن توضيح منهجه في الأمور التالية:

١- اتبع نظام القافية؛ فجعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً، كما ترك

نظام التقلييات، واتبع نظام الأبجدية العادبة: (أ ب ت ث ج ح ... إلخ)

٢- قسم كل باب إلى فصول حسب أوائل الكلمات، فمثلاً باب الهمزة يبدأ بفصل الهمزة ثم بما يليه من حروف حتى ينتهي إلى الياء، ثم ينتقل إلى باب الباء فيبدأ بفصل الهمزة ثم بما يليه وهكذا...

وليس ضرورياً أن يكون لكل باب ثمانية وعشرون فصلاً، ولكن ذلك مرتبط بوجود الألفاظ المستعملة أو عدم وجودها؛ ولذلك فإن بعض الأبواب اكتمل فيها هذا العدد من الفصول، كما أن بعضها لم يكتمل.

وقد رتب كل فصل بحسب ما يليه من الحروف، أي أنه راعى الحروف المتوسطة بين الحرف الأخير الذي جعله باباً، وبين الأول الذي جعله فصلاً، فنظر إلى الثاني إذا كانت الكلمة الثلاثية، وإلى الثاني والثالث إذا كانت رباعية، وإلى الثاني والثالث والرابع إذا كانت خماسية.

٣- اقتصر على جمع الألفاظ الصحيحة.

٤- عني بالضبط عناية دقيقة؛ خوفاً من التحريف والتصحيف.

٥- وضع قواعد خاصة في ضبط الأسماء والأفعال.

٦- أكثر من القواعد النحوية والصرفية مشيراً إلى الشاذ منها.

٧- أشار إلى اللغات المختلفة في اللفظ الواحد.

٨- اعنى بالتنبيه على المعرّب من الألفاظ.

٩- أرجع الموارد إلى أصولها، وذلك بتجریدها من الزوائد، ورد المقلوب إلى أصله، وإذا كانت جمعاً أرجع إلى المفرد، وهكذا - كما هو صنيع جميع المعاجم -. فمثلاً كلمة (كتب) يبحث عنها في باب الباء فصل الكاف وهي متاخرة في

الترتيب عن كأب، وكب، متقدمة على كثب، وكذب، وكرب، وبقية مواد الفصل، وهكذا مع ملاحظة أن الجوهرى قدم الواو على الهاء في ترتيبه. أما الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف فيبحث عنها في نفس أبواب الثاني بمحاجة الحرف الثاني وما يليه، فالكلمة (كعثب) يبحث عنها في (كعب) وهكذا...

خامساً: مميزات الصحاح: لعل بعض تلك المميزات تبين من خلال الحديث عن منهجه، ويمكن إجمالها بما يلي :

- ١ - اتباع طريقة القافية، وهي جديدة مبتكرة يسيرة.
- ٢ - أن طريقته في شرح الألفاظ تفيد الباحث في بعض النظريات المتصلة بفقه اللغة مثل نظرية دوران المادة حول معنى معين؛ حيث يبيّن في كثير من الأحيان سبب دلالة اللفظ على معنى معين يرجع إليه الكثير من الألفاظ.
- وكذلك المشترك، والمتضاد وغيرهما يمكن استخراجه بيسر من معجم الصحاح، بسبب طريقته في شرح الألفاظ، وتنبيهه على ذلك أحياناً.
- ٣ - اعتماده على المصادر الموثوق بها، إما مشافهة، أو من طريق المؤلفات.
- ٤ - استشهاده بالقرآن، والحديث، وما روی من فصيح كلام العرب شرعاً ونثراً.
- ٥ - نسبة الأقوال إلى أصحابها في كثير من الأحيان.
- ٦ - احتواوه على كثير من القواعد النحوية والصرفية.
- ٧ - اهتمامه بأسماء القبائل، والأعلام العربية.

والأمثلة على ما ذكر من المميزات كثيرة، ومن ذلك ما يتبينه في مادة (صاحب) و(غلب) وغيرهما.

سادساً: المأخذ على الصحاح: ذكر بعض الباحثين كثيراً من المأخذ على الصحاح، ولكنها -في الواقع- تعد هنات صغيرة بالنظر إلى ما في هذا المعجم من مميزات كثيرة.

ثم إن تلك المأخذ لم تؤيد إلا بأمثلة قليلة ونادرة، بل ربما لا نجد إلا مثلاً واحداً ذكروه أحياناً لبعض المأخذ.

ومما ذكروه من ذلك ما يلي (١) :

١- نسبة الأقوال إلى غير أصحابها.

٢- غلطه في ترتيب المواد.

٣- اشتتماله على أخطاء نحوية، وصرفية.

٤- قلة الدقة في نقل أقوال العلماء.

٥- اضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى رواتها.

٦- خلطه بين أجزاء الأبيات من الشعر.

٧- خطأه في شرح معاني المفردات.

وهذه مأخذ قليلة ولم يست بطراً، وإنما المأخذ التي ينبغي الوقوف عندها

مأخذان :

١- الاقتصر على الصحيح من الألفاظ مما سبب إهمال بعض المواد الصحيحة.

١- انظر المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص ١١٣ فما بعدها، ومقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار ص ١٣٤.

وقد نبه إلى ذلك الفيروزأبادي في مقدمة معجمه القاموس.

٢- التصحيف الذي رواه عن كثير من العلماء.

وقد أفرد السيوطي في المزهرباباً سماه (ذكر ما أخذ على صاحب الصحاح من التصحيف).

وذكر من أخذ على الجوهري ذلك: الأزهري^١، والبريزى^٢، وأبو سهل الهروي^٣، وابن بري^٤، والفيروزأبادي^٥، وذكر أمثلة على ذلك.

ومع ذلك فلا يسلم لكل واحد من هؤلاء في مأخذة؛ لأن الغلط قد يكون منهم لا من الجوهري^(٦).

١- انظر المزهر ٣٩٠-٣٩٤/٢

المبحث الثاني: المعجم الثاني لسان العرب^(١)

أولاً: صاحبه: أبو الفضل جمال الدين عبدالله: محمد بن مكرم بن علي ابن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الانصاري الخزرجي الإفريقي المصري، المعروف بابن منظور.

ولد سنة ٦٣٠ هـ في القاهرة وقيل في طرابلس. وأجمع المؤرخون على أنه كان محدثاً فقيهاً عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولي قضاء طرابلس، ثم عاد إلى مصر وبها توفي عام ٧١١ هـ.

ويعد ابن منظور من كبار علماء القرنين السابع والثامن الهجريين؛ فقد كان عالماً بال نحو، واللغة، والتاريخ، والحديث، والفقه.

ويقال: إنه ترك كتاباً من تأليفه أو اختصاره بلغت خمسمائة مجلد، عدا ما ينسخه من كتب الأقدمين.

وقد اختصر كثيراً من كتب الأقدمين كالاغاني، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ومفردات ابن البيطار، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وزهر الآداب للحصري.

وقد تلقى ابن منظور علومه عن ابن المقير وغيره من كبار القرن السابع الذي كان لهم فضل كبير في تعليمه.

ثانياً: هدفه من تأليف لسان العرب: يكاد ينحصر فيما يلي:

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٦٦ - ٧٣.

- ١- تأليف معجم كبير يجمع كل المحسن الموجودة في كتب اللغة.
- ٢- تلافي ما في المعاجم السابقة من عيوب.
- ٣- جمع مواد اللغة بطريقة تشجع الناس على معرفة العربية، وإتقانها والوقوف على أسرارها الجمالية.

ثالثاً: مراجعه: رجع بِحَمْلِ اللَّهِ إلى الكتب التالية:

- ١- تهذيب اللغة للأزهري ت ٣٧٠ هـ.
- ٢- الحكم والحيط الأعظم لابن سيده ت ٤٥٨ هـ.
- ٣- الصحاح للجوهرى.
- ٤- حواشى ابن بري ت ٥٧١ هـ.
- ٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ت ٦٩٠ هـ.

رابعاً: منهجه: يمكن أن يوجز منهج ابن منظور في كتابه لسان العرب فيما يلي :

- ١- جرَّ الكلمات من الزوائد، وأرجعها إلى أصولها شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المعاجم.
- ٢- اتبع مدرسة القافية؛ فجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والأول فصلاً، شأنه بذلك شأن الجوهرى إلا أنه قدم الباء على الواو.
- ٣- استشهد بالقرآن، والحديث، وتأثير كلام العرب.
- ٤- اعنى بلغات العرب، واهتم بالنواذر.
- ٥- جمع ما تفرق في المعاجم الأخرى.

خامساً: المميزات: يمكن إيجازها فيما يلي:

- ١ - اتباعه لنظام القافية، وهو أيسر من نظام التقليليات - كما مر - .
- ٢ - توسيع في شرح المواد وما تفرع منها من ألفاظ؛ حتى يقال: إنه احتوى على ثمانين ألف مادة على حين أن الصاحح احتوى علىأربعين ألفاً، والقاموس على ستين ألفاً.
- ٣ - امتاز - كما مر - بالاستشهاد بالقرآن، والحديث ، وما أثر من كلام العرب.
- ٤ - اعتنى بنسبة الأشعار إلى أصحابها، حتى إنه ^{لَيُعَدُّ} مرجعاً مهماً في ذلك.
- ٥ - اهتم بلهجات العرب ، وبتوجيه القراءات.
- ٦ - اهتم بذكر بعض القواعد النحوية والصرفية.

سادساً: المآخذ على لسان العرب: لا شك أن الاتساع الكبير في شرح مواد اللغة الذي جأ إليه ابن منظور في كتابه لسان العرب قد أدى إلى وقوعه في بعض المآخذ التي يمكن إيجازها فيما يلي :

- ١ - التكرار في شرح بعض الألفاظ ، والتكرار في ذكر الشواهد.
 - ٢ - إهماله لكثير من المعاني بالرغم من رجوعه إلى كثير من المصادر.
 - ٣ - فاته الاستفادة من بعض المعاجم السابقة مثل معجم مقاييس اللغة.
 - ٤ - فاته كثير من الصيغ والشواهد التي ذكرت في كتاب العين ، والجمهرة، والبارع ، وغيرها من المعاجم.
- وعلى أي حال فمعجم لسان العرب من المعاجم التي تفخر بها بالعربية ، ولا يستغني عنه بغیره.

المبحث الثالث: المعجم الثالث: القاموس المحيط^(١)

أولاً: صاحبه: هو أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي اللغوي المعروف بـ: الفيروزآبادي . ولد بكارzin قرب شيراز من بلاد الفرس ، ويبعد أنه نسب إلى فيروزآباد لأنها كانت تطلق على إقليم شيراز كله في ذلك الوقت.

وكانت ولادته سنة ٧٢٩هـ بعد وفاة ابن منظور بـ ثمانية عشر عاماً . حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، فقد عرف بقوّة الحافظة وتوقّد الذهن .

وكان يقول : ما كنت أنام حتى أحفظ مائة سطر . انتقل إلى شيراز وهو في الثامنة من عمره ، ليتلقى العلم من علمائها ، ورحل بعد ذلك إلى واسط ، وبغداد ، ورحل - أيضاً - إلى مصر ، وسوريا ، وتركيا ، واليمن ثم دخل الهند ، فتلقاء ملكها الأشرف إسماعيل ، وأكرم وقادته ، وزوجه ابنته ، وبقي هناك بقية حياته حتى توفي عام ٨١٧هـ . وكان لا يسافر إلا وفي صحبته عدة أحمال من الكتب .

له مؤلفات عديدة غير القاموس منها : (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) و (تحبير الموشين فيم يقال بالسين والشين) و (الإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات) وغير ذلك من الكتب في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والترجم .

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٧٤-٧٩ .

ثانياً: الهدف من تأليف القاموس: هو جمع اللغة في كتاب مختصر محدود الشواهد، مطروح الزوائد، معرجاً عن الفصيح والشوارد. ويقال: إن الفيروزأبادي أراد في بادئ الأمر أن يضع معجماً لغويًا ضخماً قدر له نحو ستين سفراً أو أكثر واختار له اسم (اللامع المعلم العجاب، الجامع بين الحكم والعباب) ففي رأيه أن الحكم لابن سيده والعباب للصغانى هما خير ما ألف في هذه الناحية، ولكنه بعد أن أتم خمس مجلدات من المعجم رأى أن يحسم عن إتمامه؛ رغبة في وضع كتاب مختصر يفيد الدارسين وهو ما سمي به (القاموس الحيط) الذي ضمنه -كما قال- خلاصة ما في العباب والحكم مضافاً إليها زيادات جاء بها بعد تعمقه في بطون كتب اللغة الفاخرة.

ثالثاً: منهج الكتاب ومميزاته: يمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

- ١- أرجع الكلمات إلى أصلها.
- ٢- اتبع نظام القافية.
- ٣- قسم معجمه إلى سبعة وعشرين باباً، ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً نظر فيها للحرف الأول من المادة الأصلية، وقد لا يصل بعض الأبواب إلى هذا العدد من الفصول، بل يسقط أحياناً بعض الأبواب حسب ما هو موجود في اللغة.
- ٤- راعى الفيروزأبادي الاختصار؛ لتسهيل البحث فيه، ومن مظاهر ذلك ما يلي:
 أ- وضع رمزاً تشير إلى أمور معينة؛ فالرمز (م) يشير إلى شيء معروف، (ع) يشير إلى موضع، (ج) يشير إلى الجمع، (جج) يشير إلى جمع الجمع، (ة) يشير بها إلى القرية، (د) إلى البلد.

ب - إذا ذكر صيغة للمذكر، وكان للكلمة مؤنث من لفظها أشار إليه بقوله: (بالباء) ولا يعيد الصيغة كقوله مثلاً: والأربن جرذ قصير الذنب كاليرنب، وضرب من الخل والمرأة، وبه: هاء: طرف الأنف.

ج - اتبع طرقاً معينة لضبط الكلمة اسمًا كانت أو فعلًا؛ فالاسم الخالي من الضبط يكون بفتح إلا إذا اشتهر بغيره.

وإذا ذكر الماضي مع المضارع دون تقييد في ضبطه كان على وزن ضرب يضرب.

أما إذا ذكر الماضي مقيداً بوزن معين فإنه يكون كما ذكره.

وإذا ذكر الماضي والمصدر، أو الماضي وحده مجرداً من الضبط كان الفعل من باب كتب.

٥ - يقدم المشهور والمقياس من الصيغ المختلفة.

٦ - لا يتلزم ترتيباً معيناً في شرح ألفاظ المادة؛ فيأتي أحياناً بالاسم قبل الفعل، أو المزيد قبل المجرد، أو العكس.

رابعاً: المأخذ على القاموس: يقول د. أمين فاخر: «ولعل أحسن ما كتب في المأخذ على هذا المعجم ما ذكره أحد الباحثين في مؤلف خاص؛ فقد ألف أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ م - ١٨٨٧ م) كتاباً سماه: (الجاسوس على القاموس) ذكر فيه مأخذ كثيرة على القاموس الحيط على الرغم من اعترافه بأنه صاحب الفضل عليه في دراسة اللغة العربية والتبحر فيها، ولكن الأمانة العلمية هي التي دفعته لإبراز ما في هذا المعجم من مأخذ بعد دراسته دراسة متأنية»^(١).

ويمكن إجمالاً أهم تلك المآخذ فيما يلي:

- ١- أن الفيروزبادي أغفل التبيه على الفصيح وغيره، وأسماء اللغات وأصحابها، كما أغفل التبيه على أصحاب اللهجة وخاصة حمير.
 - ٢- الإبهام؛ فعبارة القاموس مبهمة في كثير من الموضع، وخاصة في المصدر والفعل، فالفيروزبادي كثيراً ما يستغني عن ذكر الفعل بذكر المصدر، ويعطف عليه أسماء جامدة؛ فيعز على المطالع أن يميز بينها، فيظن أنه اسم، والاسم لا يستلزم أن يكون له فعل بخلاف المصدر؛ فكان الأولى أن يعبر بالفعل؛ لأنه لا يلتبس بصيغة أخرى، وهو الذي يعبر به أئمة اللغة غالباً، فخالفهم هو في ذلك.
 - ٣- أنه لم يتبع نظاماً صحيحاً في ذكر معاني الألفاظ.
 - ٤- أنه يُعرَّف اللفظ بالمعنى المجهول دون الشائع.
 - ٥- قلة الترتيب في ذكر المستقىات؛ فيخلط بين الأسماء، والأفعال، ولا يفصل المجرد عن المزيد.
 - ٦- إغفاله للأضداد، خلافاً لما في (العُباب) من العناية بذكرها، وإهماله ذكر القلب، والإبدال خلافاً لما في (العُباب) و(المحكم) و(الصالح) وغيرها، إلى غير ذلك من المآخذ الكثيرة التي وجهها صاحب (الجاسوس).
- ومع ذلك فتلك المآخذ لا تغمس من شأن هذا المعجم العظيم الذي يسر مهمة الباحثين، وعد - بحق - من أحسن المعاجم العربية^(١).

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٧٨-٧٩.

الفصل الرابع: المدرسة المعجمية الثالثة

مدرسة الأبجدية العادية

وتحته تمهيد ومبثان:

المبحث الأول: المعجم الأول: معجم محمل اللغة.

المبحث الثاني: المعجم الثاني: معجم مقاييس اللغة.

خاتمة الحديث عن المعاجم.

الفصل الرابع

المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبجدية العادية

تمهيد

أولاً: مفهوم الأبجدية العادية: من بنا أن هذه المدرسة هي التي اتبع فيها أصحابها في ترتيب مواد المعجم على أساس ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث.

وهذه الطريقة أيسر من الطريقتين السابقتين : طريقة التقلبيات ، والقافية.

ثانياً: أول من وضع هذه الطريقة: هو أحمد بن فارس ، وذلك في معجميه : (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة).

غير أنه التزم في ترتيبه الهجائي ما بعد الحرف الأول من المادة من حروف الهجاء إلى أن يبلغ الياء ، ثم يعود فيذكر ما بعده من الهمزة إلى ذلك الحرف. كما سيتوضّح ذلك في منهجه في كل من هذين الكتابين.

ثالثاً: المعاجم التي سارت على هذه الطريقة: سار على هذه الطريقة كثير من أصحاب المعاجم حتى الآن ، ومن ذلك :

١- مجمل اللغة ، ومقاييس اللغة لابن فارس.

٢- أساس البلاغة للزمخشري ٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ.

٣- مختار الصحاح للرازي ت ٦٦٦هـ.

٤- المصباح المنير للفيومي ت ٧٧٢هـ.

٥- محيط المحيط للبستاني ت ١٨١٩- ١٨٨٣م.

- ٧- أقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني ت ١٩١٢ - ١٨٤٨ م.
 - ٨- المنجد للأب لويس معلوف اليسوعي ١٨٦٧ - ١٩٤٦ م.
 - ٩- المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة.
- وسيكون الحديث فيما سيأتي عن بعض تلك المعاجم.

المبحث الأول: المعجم الأول: معجم مجمل اللغة

أولاً: صاحبه^(١): هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس. ولد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب الترجم الأقدمين تاريخاً محدداً لميلاده، لكنه -كما ذكر بعض الباحثين المحدثين- يدور حول عام ٤١٢ هـ.

أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥ هـ على الرأي الصحيح كما رجح ذلك العلامة عبد السلام هارون رحمه الله وغيره.

وقد ولد بقزوين، ونشأ بهمدان، وكان أكثر مقامه في الري، لكنه رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وقد أخذ عن كثيرين منهم والده فارس بن زكريا، وأبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيمقطان، وأبو عبد الله أحمد ابن طاهر المنجم، وغيرهم كثير.

أما علومه فكانت متنوعة شاملة لا سيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف

١- انظر في ترجمته إلى إنباء الرواة ٢٩/٢، ونزهة الأدباء ص ٢٢٩، ودمية القصر ص ٢٥٧، وبيتيمة الدهر ٤٠٢/٣، ومعجم الأدباء ٥٤٥-٥٣٥/١، وفيات الأعيان ١١٨/١، وبغية الوعاة ٣٥٢/١، ومقدمة معجم المقاييس لـ عبد السلام هارون ٣٧-٣١، ودراسات في المعاجم العربية ص ٨٣، ومقدمة كتاب الصاحبي ص ٥-٩.

في فروعها، وشهر بها؛ ودعي بـ: اللغوي.

ويرجع ذلك إلى مؤلفاته القيمة التي كان لها أثر كبير في الدراسات اللغوية. وكان صاحب عقلية جبار، وموهبة فذة مبتكرة، وقد شهد له بذلك الكثير من القدامى والمحدىن، كالثعالبي، وأبن خلكان، والصاحب بن عباد، وعبدالسلام هارون وغيرهم.

وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك بن أنس.

أما طريقة في النحو فطريقة الكوفيين.

وقد أحسن صنعة الشعر، وكان نقاداً فيه، وله شعره الذي ينم عن ظرف، ورقة، وحسن تأت.

وهو مُلْحٌ في التهكم والسخرية، ومن شعره قوله:

مرت بنا هيفاءً مقدوةً تركية ثمى لتركى

كانه حِجَّةً نحوى ترنو بطرفِ فاتن فاتر

ومن شعره قوله:

وقالوا: كيف أنت فقلت: خير

إذا ازدحمت هموم القلب قلنا

نديمي هرتى وسرور قلبي

وهو بصير ذو خبرة بطائع الناس، واستثارهم بالمال، وخطبوعهم له، يقول

في ذلك:

وانت بها كلف مفترم

إذا كنت في حاجة مُرسلاً

وذاك الحكيم هو الدرهم

فارسل حكيمًا ولا توصه

ويقول من يتکاسل في طلاب العلم :

ويُبَسْ الخريف ويُرَدُ الشتا

إذا كان يؤذيك حر المصيف

فأخذك للعلم قل لي: متى؟

ولهميك حسن زمان الربيع

ولعل ابن فارس من أقدم من استعمل أسلوب الشعر في تقيد مسائل اللغة

والعربية.

يقول ياقوت الحموي : «قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالرحيم السلمي : وجدت بخط ابن فارس على وجه الجمل ، والأبيات له ، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري ، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا ، عن

سليمان بن أيوب ، عن ابن فارس :

سقاك صوب حيًّا من واكف العينِ

يا دار سعدى بذات الضال^(١) من إضمِ

العين : سحاب ينشأ من قبل القبلة.

في كل إصباح يوم قرة العينِ

إنني لأذكر أيامًا بها ولنا

العين هنا : عين الإنسان وغيره.

تَشُجُّها عذبةً من نابع العينِ

لُدُنِي معيشةً مثًا معثقة

سرت بقوتها في الساق والعينِ

إذا تمزّها شيخ به طرقَ

العين هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين.

تخشى توله ما فيه من العينِ

والرُّزقُ ملأنُ من ماء السرور فلا

١- الضال : نبت كالسلم.

العين هنا : ثقب يكون في المزادة ، وتوله الماء : أن يتسرب .
وغاب عَذَّالنَا عِنْ أَفْلَا كَدْرٌ في عيشنا من رقيب السوء والعين

العين هنا : الرقيب .

يَقْسُمُ الْوَدُّ فِيمَا بَيْنَنَا قَسْمًا ميزان صدق بلا بخس ولا عين

العين هنا : العين في الميزان .

وَفَائضُ الْمَالِ يَغْنِينَا بِحَاضِرِه فنكفي من ثقيل الدين بالعين

العين هنا : المال الناضج ^(١) .

وَالْمَجْمَلُ الْمُجْتَبَى تَغْنِي فَوَائِدَه حفاظه عن كتاب الجيم والعين ^(٢)

وقد امتاز ابن فارس بأخلاق العلماء حقاً، فقد كان يخالله ورعاً تقىأ شديد التواضع، وفيأ لأساتذته، برأ بهم، أميناً في النقل عنهم .
وكان جواداً كريماً لا يكاد يرد سائلأ، حتى إنه كان يهب ثياب جسمه،
وفرش بيته .

قال ابن الأنباري : «وكان له صاحب يقال له أبو العباس أحمد بن محمد الرازي المعروف بالغضبان ، وسبب تسميته بذلك أنه كان يخدمه وتصرف في بعض أموره ، قال : فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وبه ، فأعاتبه على ذلك ، وأضجر منه؛ فيضحك من ذلك ، ولا يزول عن عادته .

فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب علمت أنه قد وبه؛ فأعبس ، وتظهر الكآبة في وجهي؛ فيبسطني ويقول : ما شأن الغضبان!

١- الدرهم والدنانير.

٢- معجم الأدباء ١-٥٤٠١-٥٤١.

حتى لحق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني به»^(١).

وقد تلمذ على ابن فارس الصاحبُ بن عباد، وبديع الزمان الهمذاني، وأبو الفتح بن العميد وغيرهم.

ولابن فارس مؤلفات كثيرة تزيد على الستين، منها المجمل، والمقاييس، والصاحب، وأصول الفقه، وأخلاق النبي ﷺ، وجامع التأويل في تفسير القرآن، ونقد الشعر، وكتاب اللامات، وحلية الفقهاء وغيرها كثير.

وقد توفي -على القول الصحيح كما مر- سنة ٣٩٥هـ، وروى أكثر من ترجم

له أنه قال قبل وفاته بيومن:

يا رب إن ذنبي قد أحطت بها أنا الموحد لكنني المقربُ بها	علمًاً وبيًّاً وبإعلانِي وإسراري فهب ذنبي لتوحيدِي وإقرارِي
---	--

ثانياً: هدف ابن فارس من تأليف المجمل: يتبع من مقدمة الكتاب أن المؤلف بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كان يهدف من وراء تأليفه إلى إخراج معجم حسن الترتيب، صغير الحجم.

ولهذا جاء كتابه هذا في أربعة أجزاء في مجلدين.

ومن طبعاته طبعة الرسالة دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان.

ثالثاً: منهجه^(٢): اتبع ابن فارس في تنظيمه لمواد المجمل، وكذلك معجم

١- مقدمة معجم مقاييس اللغة ١/٨-٩.

٢- انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لمعجم مقاييس اللغة ١/٤٤-٤١، ومقدمة زهير سلطان لمجمل اللغة، ودراسات في المعاجم ص ٨٤-٨٩.

المقاييس - كما سيأتي - طريقة لم يسبق إليها.

يقول الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله في مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة مبيناً نظام ابن فارس في معجميه المجمل والمقاييس : « جرى ابن فارس على طريقة فادة بين مؤلفي المعاجم ، في وضع معجميه : المجمل والمقاييس .

فهو لم يرتب موادهما على أوائل الحروف وتقلباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة ، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهرى في الصحاح ، وكما فعل ابن منظور والفيروز أبادى في معجميهما ، ولم ينسقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة ، والفيومي في المصباح المنير .

ولكنه سلك طريقةً خاصاً به لم يفطن إليه أحد من العلماء ، ولا نبه عليه .
وكنت قد ظنتت أنه لم يلتزم نظاماً في إيراد المواد على أوائل الحروف ، وأنه ساقها في أبوابها هملاً على غير نظام ، ولكنني بتبني المجمل والمقاييس أفيته يلتزم النظام الدقيق التالي :

- ١ - فهو قد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب ، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب اليماء .
- ٢ - ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق ، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد ، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية .
- ٣ - والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التزم

فيه ترتيب خاص ، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذى يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة ، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف الهجاء.

ولكن في (باب الهمزة والتاء وما يثلثهما) يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالمورد على هذا الترتيب : (أتب، أتل، أتن، أته، أتو، أتى)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها ، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتى).

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المورد المستعملة هو الخاء.

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما ، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب ، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما ، ثم باب التاء والخاء وما يثلثهما ، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف ، ثم يرجع أدرجها ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما.

وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المورد المستعملة هو الجيم . وتجدر - أيضاً - أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب ، ففي باب التاء والواو وما يثلثهما يبدأ بـ (توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره ، وذلك لأن أقرب حروف التي تلي الواو هو الياء.

وفي باب التاء من المضاعف لا يبدأ بالثاء والهمزة ثم بالثاء والباء ، بل يرجئ

ذلك إلى أواخر الأبواب، ويبداً بالثاء والجيم (ثج) ثم بالثاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يستأنف الترتيب بالثاء والهمزة (ثا) ثم بالثاء والباء (ثب). وفي أبواب الثلاثي من الثاء لا يبدأ بالثاء والهمزة وما يثلثهما ثم يعقب بالثاء والباء وما يثلثهما، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب، فيبدأ بالثاء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى الأبواب التي تركها. وتجد أيضاً أن الحرف الثالث يراعى فيه الترتيب.

ففي باب الثاء واللام وما يثلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم، ثلب، ثلث، ثلجم)... إلخ.

وفي باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والهاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف (جو) ثم ينسق بعد ذلك (جا، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم يبدأ بباب الجيم والهاء وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والثاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثالث، ففي الجيم والنون وما يثلثهما يبدأ أولاً بـ (جنه) ثم (جني) ويعود بعد ذلك إلى (جنا، جنب، جنث) إلخ.

هذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه (*المجمل*) و (*المقاييس*) وهو يُدعى كما ترى «^(١)».

رابعاً: مميزات المجمل^(١): امتاز المجمل بمميزات كثيرة، أبرزها أمران:

١- الإجمال والاختصار: ومن مظاهر ذلك حذف الشواهد، وقلة العناية بالمجاز، ويظهر ذلك في بعض المواد إذا قورنت بما يقابلها في المقاييس كما في مادة (بيض).

٢- اقتصاره على الصحيح: فلقد اشتهر ابن فارس بإيراده الصحيح من كلام العرب، واقتصره عليه في كتابه (المجمل).

خامساً: المأخذ على المجمل^(٢):

١- إهماله الترتيب في بعض المواد؛ فقد أتى بها مخالفة للترتيب الذي رسمه لنفسه؛ فمادة (أتر) مثلاً كان حقها أن تذكر أول مادة في باب الألف والتاء وما يثلثهما، ولكنه أخرها آخر الباب.

وكذلك مادة (أذر) أخرها وكان حقها أن تذكر أولاً.

٢- الاختصار المخل: حيث اختصر بعض المواد اختصاراً أخل بمعناها، فمثلاً مادة (ادر) لا يذكر إلا تصارييفها: أدر الرجل يادر أدرأ، وهو آدر بين الأدرة.

ولا يذكر في (أقه) إلا قوله: (الأقه: الطاعة).

وفي مادة (أقر) يقول: (أقر: موضع) وهكذا...

وقد ذكر بعض الباحثين -كما يقول د. أمين فاخر- مأخذ على كتاب المجمل، ولكنها في الواقع مأخذ يسيرة لا تقدح فيه، ولا تقلل من قيمته بين المعاجم

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٨٩-٩٧.

٢- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٩٧-٩٨.

الأخرى ، وذكر صاحب كتاب كشف الظنون أن مجد الدين الفيروزأبادي صاحب القاموس الحبيط ألف كتاباً على محمل ابن فارس أورد فيه ألف سؤال وأخذه عليه مع ثنائه وحبه.

وذكر البرهان الحلبي أن صاحب القاموس تتبع أوهام ابن فارس في المحمل مع تعظيمه له ، وثنائه عليه.

المبحث الثاني: معجم مقاييس اللغة لابن فارس

أولاً: تعريف بمعجم المقاييس: هذا الكتاب يكاد يكون أعظم كتب ابن فارس إلا يكن أعظمها، بل يكاد يكون أعظم معجم فيما ألف في اللغة العربية. وهو منهج جديد في التأليف المعجمي يشبه إلى حد ما منهجه في كتاب الجمل، ولكن المقاييس يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك قال عنه ياقوت الحموي رحمه الله: «كتاب جليل لم يصنف مثله»^(١).

وقال عنه الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله: «إإنَّ كِتابَنَا هَذَا لَا يُخْتَلِفُ اثْنَانِ بَعْدَ النَّظَرِ فِيهِ أَنَّهُ فَذٌ فِي بَابِهِ، وَأَنَّهُ مَفْخَرَةٌ مِنْ مَفَاخِرِ التَّأْلِيفِ الْعَرَبِيِّ، وَلَا إِخَالٌ لِغَةً فِي الْعَالَمِ ظَفَرَتْ بِمِثْلِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّأْلِيفِ».

ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة وحسن الذوق، وروح الأديب، ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللغوية، وعنف ممارستها. فأنت تستطيع أن تتخذ من هذا الكتاب مตاعاً لك إذ تبغي المتع، وسندأ حين تطلب التحقق والوثيق.

والكتاب بعد كل أولئك، يضم في أعطافه وثنائياته ما يهب القارئ ملحة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها^(٢).

وقال في موضع آخر عن الكتاب: «مَفْخَرَةٌ مِنْ مَفَاخِرِ التَّأْلِيفِ الْعَرَبِيِّ، بَلْ

١- معجم الأدباء ٥٣٦/١ ، وانظر دراسات في المعاجم العربية ص ٩٩.

٢- مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة ٤٥/١.

يكاد يكون الفدّ من نوعه من بين المؤلفات اللغوية في المحيط العربي ، إن لم يكن المحيط اللغوي العالمي؛ فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغويًا آخر حاول أن يدرس مواد اللغة في ظل القياس المطرد في تلك المواد.

ولا غرو؛ فإن مؤلفه أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ يُعَدُّ في طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر»^(١).

ولعل من توفيق الله لابن فارس ولكتابه المقاييس أن قيض الله لتحقيقه وضبطه العلامة المحقق البحاثة عبدالسلام هارون بِحَمْلِ اللَّهِ؛ حيث قام بهذا العمل الجليل خير قيام ، وصدره بمقدمة أورد فيها حياة ابن فارس ، وتحدث عن سيرته وخلقه ، وتلقيه العلم ، وتعليمه إياه ، وعن أبرز شيوخه وطلابه كما تحدث عن الجانب الأدبي ، والجانب اللغوي عند ابن فارس.

كما أنه بِحَمْلِ اللَّهِ وزن بين كتاب المقاييس والمحمل ، وتوصل من خلال ذلك إلى أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس ، وأن النضج اللغوي الذي يتجلّى فيه من دلائل ذلك^(٢).

ثانياً: منهجه: بَيْنَ ابن فارس بِحَمْلِ اللَّهِ في مقدمة الكتاب منهجه الذي سار عليه في هذا الكتاب ، ووضّح بأنه منهج جديد خالف فيه أصحاب المعاجم الأخرى ، وأن هذا المنهج باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم . ومع ذلك صرّح بأنه اعتمد في تأليفه على كثير من علماء اللغة الذين سبقوه.

١- انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٥/١٠ من بحث معجم مقاييس اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون.

٢- انظر مقدمة المقاييس ١/٤٠.

قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول.

والذي أومنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون الجيب عما يُسأل عنه مجبياً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه.

وببناء الأمر فيسائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية، تحوي أكثر اللغة.

فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمى (كتاب العين) أخبرنا به عليٌّ بن إبراهيم القطان، فيما قرأت عليه أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعداني، عن إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لزَّة الأصفهاني، ومعروف بن حسان عن ليث عن الخليل.

ومنها كتاب أبي عبيد في (غريب الحديث) و(مصنف الغريب) حدثنا بهما علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد.

ومنها كتاب (النطق) وأخبرني به فارس بن زكريا عن أبي نضر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكري.

ومنها كتاب أبي بكر بن دريد المسمى (الجمهرة) وأخبرنا به أبو بكر محمد ابن أحمد الأصفهاني وعلي بن أحمد الساوي عن أبي بكر.

فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استتبناه من مقاييس اللغة، وما بعد هذه الكتب محمول عليها، وراجع إليها؛ حتى إذا وقع شيء النادر نصصناه إلى

قائله ان شاء الله»^(١).

هذا وسيأتي مزيد بيان لمنهجه في الفقرات التالية.

ثالثاً: مميزات المقاييس: تميز معجم المقاييس بمميزات عظيمة، وأهم ذلك فكرتان أساسيتان اتبعهما ابن فارس في تأليفه للمعجم.

وتقاد تكون باقي المميزات ترجم إلى هاتيك الفكرتين.

الأولى: فكرة الأصول والمعايير.

والأخرى: فكرة النحت الذي اشتهر بها بِحَمْلَتِهِ.

وفي الفقرة الآتية تعريف بهاتين الفكرتين خصوصاً الأولى؛ لأن الثانية مر
الحديث عنها مفصلاً عند الحديث عن النحت.

رابعاً: معنى الأصول والمقاييس: يقصد ابن فارس بالأصل : البناء الذي يدل على معنى عام؛ بحيث يجمع كلمات تشتراك معه في الحروف الأصلية التي هي حروف المادة.

ومثال ذلك قوله في مادة: (أله) : الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد؛ فالإله: الله - تعالى - وسمى بذلك؛ لأنّه معبد، ويقال: تأله الرجل إذا تعدد، قال رؤية:

الله در الغانیات المدّة (٢) سبحن واسترجع من تألهی

والإلهة: الشمس سميت بذلك؛ لأن قوماً كانوا يعبدونها.

وحيث تتشابه هذه الكلمات المتفرعة عن الأصل، ويمكن إرجاعها إليه فإنه يسمى هذا التشابه قياساً.

وفكرة الأصول والمقاييس هي ما يسميه بعض اللغويين: (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشتراك فيها هذه المفردات^(١). ولهذا يقول بخت الله في كتابه الصاحبي: «أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن للغة قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر...»^(٢).

وابن فارس لا يعتمد اطراد القياس، كما في مادة (جبن). يقول: «الجيم والباء والنون: كلمات لا يقاس بعضها ببعض، فالجبن الذي يؤكل، وربما ثقلت نونه مع ضم الباء، والجبن صفة للجبان، والجبنان ما عن يمين الجبهة وشمالها، وكل واحد منها جبين».

كما أنه يذهب إلى أن الكلمات الدالة على الأصوات وكثيراً من أسماء البلدان ليس مما يجري عليه القياس.

وقد نفعه اتباع هذا المنهج؛ فاستخدم الأصول والمقاييس في أمور كثيرة منها على سبيل الإيجاز -ويمكن القارئ الرجوع إلى الأصل إذا أراد مزيد بيان- ما يلي:

- ١- أنه خطئ شرح بعض اللغويين للكلمة؛ لأنها ليس موافقاً للقياس أو الأصل الذي بنى عليه المادّة، وذلك كما في مادة (الضاد والباء والفاء).

١- انظر مقدمة معجم المقاييس ٣٩/١، ودراسات في المعاجم ص ١٠١.

٢- الصاحبي ص ٣٥.

٢- خطئ شرح بعض الفقهاء لبعض الكلمات؛ لأنها لا يوافق الأصل، ويعد ذلك من طريقة الفتيا، وليس من القياس اللغوي لهذه المادة، وذلك كما في مادة (الباء والباء والعين).

٣- خطئ تفسير بعض الكلمات المتصلة بالعقيدة؛ لما يرى فيها من جفاء يخالف في نظره ما أتى به الدين الإسلامي، وذلك كما في مادة (عروى) حيث يقول فيها: «عروى»: أصلان صحيحان متبنيان يدل أحدهما على ثبات ولزامة وغشيان، والآخر يدل على خلو ومفارقة.

ويقال: إن عروة الإسلام بقيته كقولهم: لأرض فلان عروة، أي بقية من كلأ. وهذا عندي كلام فيه جفاء؛ لأن الإسلام - والله الحمد - باقٍ أبداً، وإنما عرى الإسلام شرائعه التي يتمسك بها، كل شريعة عروة، قال الله تعالى - عند ذكر الإيمان: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُتْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

٤- استخدم هذه المعاييس في ترجيح أقوال بعض العلماء؛ حيث يرجع منها ما كان أكثر موافقة للأصل الذي أصلّه للمادة كما في مادة (على) ومادة (شن) وقد لا يرجع أحد الرأيين على الآخر إذا كان لكل منهما وجه من القياس. ويظهر ذلك حين يذكر الكلمة في مادتين لكل منهما أصل صحيح مخالف للآخر كما في كلمة (الشيطان) مثلاً فهو يذكر مادة (شطن) ويذكرها - أيضاً - في مادة (شيط) ويذكر لكل من الرأيين وجهاً من القياس.

٥- استخدم هذه المعاييس في إرجاع تفسيرات العلماء المختلفة لبعض الألفاظ من القرآن الكريم إلى أصول متعددة ذكرها للمادة الواحدة، كما في مادة (بس).

- ٦- ساعدته هذه المقاييس على توجيه بعض القراءات القرآنية كما في مادة (شفع).
- ٧- استعان بهذه الطريقة على إنكار التضاد في بعض الكلمات كما في مادة (قفى) كما استعان بها على إثبات التضاد في بعض الكلمات كما في مادة (نبه).
- ٨- يعلل التسمية ببعض الأسماء بواسطة هذه المقاييس، كما في مادة (كند) يقول: «وسميت كندة -فيما زعموا- لأنه كند أباه، أي فارقه، ولحق بأخوه، ورأسهم، فقال له أبوه: كندت».
- ٩- وقد يوضح السبب في تسمية بعض الأماكن بأسماء جامدة بما يوافق الأصل، ويقاس عليه.
- يقول مثلاً في (مك): «الميم والكاف أصل صحيح يدل على انتفاء الظلم، ثم يقاس على ذلك...»
- ويقال: سميت مكة؛ لقلة الماء بها، لأن ماءها قد امْتَكَ، وقيل سميت؛ لأنها تملَّكَ من ظلم فيها، أي تهلكه، تقضمه كما يُمَكِّ العظم».
- ١٠- حكم على بعض الكلمات بواسطة المقاييس بالتصحيف كما في مادة (سحب).
- ١١- اهتدى بواسطة هذه المقاييس إلى معرفة أصل الكلمة كما في مادة (شفى)^(١).
- خامساً: منهجه في المواد التي ليست أصولاً يقاس عليها: كما مر من أن ابن فارس لم يجعل لكل مورد اللغة أصلاً يقاس عليه، بل إن

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١٠٥-١٠٨.

المواد التي لا يتفرع منها كلمات لا يجعلها أصلًا مقيساً، لذلك لم يجعل من الأصول ما يلي:

- ١- المادة التي لم يرد فيها إلا كلمة في باب الاتباع مثل (بيص) لأنها - كما يقول - اتباع: الحيص يقال: وقع القوم في حيص بيص ، أي اختلاط.
- ٢- ما كان أحد حروفه زائداً كما في مادة (أمع).
- ٣- أسماء الموضع والنباتات والأشخاص والكتابات ، والألفاظ المهمة فهذه كلها لم يجعلها أصولاً يتفرع منها شيء . كما في مادة (قر) ، و(سنن) ، و(بهث) ، و(بوك) ، و(حيث).
- ٤- لم يجعل الأصوات الدالة على الحكاية من الأصول مثل (إيه).
- ٥- ما ليس بعربي في الأصل لا يجعله أصلًا مثل (جلق).
- ٦- المواد المقلوبة لم يجعلها أصولاً يقاس عليها مثل (معق) يقولون هي مقلوب (عمق).

٧- المواد المبدلية لا يعدها من الأصول مثل (سلغ) يقول أصلها (صلغ)^(١).

سادساً: منهجه في الرباعي والخمساني: كان الحديث في الفقرات الماضية يدور حول منهجه في الثنائي والثلاثي.

أما منهجه في الرباعي والخمساني فهو أنه يُنهي كل باب في معجمه بذكر ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف.

ويقصد بذلك الرباعي والخمساني ، وقد جعل لذلك باباً مستقلاً ، فيقول:

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١٠٨-١١٠.

مثلاً عقب انتهاءه من الثنائي في الباء : (باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء).

وهكذا باقي الحروف ما عدا حروفاً خمسة لم يذكر ما بدئ بها مما زاد على ثلاثة ، ولم يفرد لها أبواباً مستقلة.

وتلك الحروف هي : المهمزة ، والظاء ، والميم ، والواو ، والياء.
وليس ذلك راجعاً إلى أنه لا يوجد في العربية ذلك ، وإنما السبب هو ما أشار إليه ، وهو أن الاعتبار بما يجيء بعد هذه الأحرف كما في نحو (ابنده) ، و(اتلأب) ، و(اتهل) ، و(اليعفور) وغيرها^(١).

وكما أن لابن فارس - في كتابه المقاييس - فكرة الأصول والمقاييس في الثنائي والثلاثي - فكذلك كانت له فكرة جديدة - أيضاً - فيما زاد من الكلمات على ثلاثة أحرف ، وقد وضح هذه الفكرة بقوله : «اعلم أن للرباعي والخمساني مذهبان في القياس يستتبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت ، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان ، وتنتحت منهما كلمة تكون آخرة منهما جمياً بحظ الأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم : حيعل الرجل إذا قال : حي على .
ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم : عبسمي ، وقوله :

وتضحك مني شيخة عبسمية

فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي ، فنقول : إن ذلك على ضربين : أحدهما : المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر : الموضوع وضعنا لا

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١١٠ .

مجال له في طرق القياس».

ولكن المتأمل لكلام ابن فارس في هذا الموضوع وفي مواضع أخرى من كتابه يجد أنه قسم الرباعي والخمساني أقساماً ثلاثة:

١- المنحوت. ٢- المزيد. ٣- الموضوع وضعاً على أربعة أحرف أو خمسة.

وسوف يتضح منهجه في بيان هذه الأقسام الثلاثة في الفقرات التالية.

سابعاً: طريقته في المنحوت، والمزيد، والموضوع^(١):

أ - المنحوت: كان ابن فارس أول من أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية والخمسانية إلى النحت.

وكان ذلك من منهجه في أبواب ما زاد على ثلاثة أحرف من الكلمات، وإن كان قد ذكر أن الفكرة كانت موجودة عند الخليل.

ومن أمثلة المنحوت عنده قوله (البِرْقُش) وهو طائر من كلمتين من رقشت الشيء وهو كالنقش، ومن البرش وهو اختلاف اللونين، وهكذا... وقد مضى الحديث مفصلاً عن النحت فيما مضى.

ب - المزيد: وليس المقصود منه المزيد عند علماء الصرف، بل هو في الرباعي المأخوذ من الثلاثي لكنهم يزيدون فيه حرفًا، يزيدونه للمبالغة كما يفعلون ذلك في (ز رقم) يعني أزرق، وفي الخمساني: ما زيد فيه حرفان عن الثلاثي المأخوذ منه مثل: (القلْهُدْم) وهو صفة للماء الكثير، وهذا ما زيدت فيه اللام والهاء وهو من القدم، وهو الكثرة.

١- انظر دراسات في المعاجم ص ١١٦-١١١.

ج - الموضوع : وهو عنده ما وضع عليه بدون زيادة أو نحت.
ولذلك جعله ابن فارس قسماً مستقلاً، ويوضعه عادة آخر الباب.
وقد يخلط في النادر بينه وبين المحوت والمزيد.
بل إن الكلمة الواحدة قد تردد عنده بين الاستفهام والوضع بدون ترجيح كما
في كلمة (الزمهيرير).

ثامناً: خصائص معجم المقاييس^(١) : من كثير من ذلك فيما مضى ،
ويمكن إجماله فيما يلي :

- ١ - أنه اتبع فيه الأبجدية العادية ، وابن فارس رائد هذه المدرسة بلا نزاع.
 - ٢ - امتاز بتفكيره للأصول والمقاييس.
 - ٣ - تضمن بعض المسائل والقواعد الصرفية.
 - ٤ - اهتم بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف.
 - ٥ - اهتم بالشواهد الشعرية.
 - ٦ - أثبت شخصيته في كثير من الأحيان ، فهو - وإن كان ينقل عن الخليل وابن دريد وغيرهما - يناقشهم ، ويخالفهم أحياناً ، أو يرجع كلامهم على غيره.
 - ٧ - احتوى المعجم على ترجيح بعض القراءات.
 - ٨ - أشار إلى بعض لهجات العرب.
 - ٩ - الميل إلى الاختصار.
- تاسعاً: المأخذ على المعجم: على الرغم من الدقة التي امتاز بها كتاب

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١١٦ - ١٢٠

المقاييس عن غيره من المعاجم اللغوية الأخرى فقد تعرض بعض المأخذ التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- ١- الاختصار الشديد في بعض الأحيان مما أدى إلى ترك إكمال الحديث النبوي ، والبيت الشعري ، حيث يقتصر على ذكر موضع الشاهد فحسب.
- ٢- لم يسر على نظام ثابت في رسم المعتل ، كما في (حنو) و(عصوى) و(رثى).
- ٣- لم يسر على طريقة واحدة فيما عده خارجاً عن الأصول ، فقد أخرج مثلاً حكاية الأصوات في كثير من المواد ، لكنه جعله في بعض المواد أصلاً كما في مادة (بل).
- ٤- ولوعه بالقلب والإبدال ولوعاً قد يصل إلى التعسف ، وقد يجمع بينهما في كلمة واحدة كما في (قاب).
- ٥- الاضطراب في شرحه لبعض الألفاظ ، ومن ذلك أن قد يفسر كلاً من الضدين بأنه خلاف الآخر كما في (خبث) و(طيب) وكما في (حسن) و(قبح) وكذا في (حمد) و(ذم).
- ٦- تداخل الكلمات في أكثر من مادة كما في كلمة (الدكان) حيث ذكر أنها من مادة (دك) ثم ذكرها مرة أخرى في (دكن) ولم يشر إلى أن هناك خلافاً.
- عاشرأ: أثر المقاييس في المعاجم الأخرى: تأثر بابن فارس كثير من أصحاب المعاجم من بعده ، وخاصة المعاجم الحديثة في طريقة المبتكرة وهي طريقة استخلاص المعاني العامة المشتركة التي تدور حولها ألفاظ المادة ، والتي

سماها بالأصول.

وأول هذه المعاجم التي تأثرت بالمقاييس (العباب الزاخر) للصغاني (٥٥٧-٦٦٠هـ) والفيروز أبادي في القاموس، والزيدي في تاج العروس، والمعجم الكبير الذي وضعته لجنة من كبار علماء اللغة المحدثين.

وإذا أردت مزيد دراسة عن هذا الكتاب فارجع إلى كتاب (دراسات في المعاجم العربية) وكتاب (ابن فارس اللغوي) وكلاهما للدكتور أمين فاخر.

خاتمة الحديث عن المعاجم

وبعد هذا التطواف في المعاجم وقع بصري على كلمة رائعة رقمتها يراعة الدكتور الفاضل حمد بن ناصر الدخيل -حفظه الله-. تحت عنوان: (معجمات اللغة والقصور اللغوي).

وقد ضمنها حديثاً جميلاً عن اللغة، وعن خصائصها، وقدرتها على استيعاب تراث العرب والمسلمين، ثم عرج على الحديث عن المعاجم والقواميس، ثم لخص بعد ذلك وجوه القصور في المعاجم في نقاط أربع، فإلى ذلك المقال.

يقول -حفظه الله-: «يكاد يجمع دارسو اللغة العربية وعلماؤها من العرب والمستشرقين على أن اللغة العربية تأتي في مقدمة المجموعة اللغوية العالمية في ثراء الألفاظ والمفردات، وتعدد الصيغ والدلائل، وغزارة المصطلحات العلمية والأشكال التعبيرية، والقدرة على التجدد والنمو، والوفاء بمتطلبات العلم والحضارة والاختراع والمدنية؛ لما تحمله من خصائص ومميزات ذاتية لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى تؤهلها لذلك».

وإنّ لغة استطاعت أن تستوعب تراث العرب والمسلمين على اختلاف ألوانه وفنونه ومضامينه، وتتصبح لغة حضارة ومدنية وعلم وفن لمدى يقرب من ألف وستمائة سنة - لقادرة على أن تستوعب معطيات الحياة والحضارة في الوقت الراهن، وإلى أن يirth الله الأرض ومن عليها».

وإذا كانت العربية قد وفَتْ بالتزاماتها كاملة، وأدت وظيفتها على خير ما يرام

خلال هذه القرون الكثيرة دون أن يظهر عليها ضعف أو وهن أو نكوص - فإن هناك سؤالاً يلح في طرح نفسه على ساحة علماء اللغة المعاصرين، وهو عن مدى قدرة استيعاب المعجمات والقواميس للفاظ العربية وفرائدها وشواردها، ومصطلحاتها العلمية والفنية، منذ أن ألف الخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم في العربية إلى وقتنا الحالي.

و قبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن أذكر أن الإرهاصات الأولى لإنشاء أول معجم لغوي للغة العربية كانت تمثل في تفسير بعض الكلمات والمفردات الغربية التي ترد في النصوص الأدبية من جاهلية وإسلام، ثم كثرت المواد المشروحة مما اضطر القائمين على ذلك إلى حصرها وتصنيفها من جديد، فكانت نواة للمعاجم التي ما لبثت أن تطورت إلى النحو الذي وصل إلينا.

ويمكن لنا أن نلخص وجوه القصور في النقاط التالية:

- ١- اقتصر القائمون على إعداد المعجم العربي على لغة الشعر في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، وأهملوا عن قصد لغة النثر، وكتابات المتأخرین، وأشعارهم؛ فوقف المعجم العربي عند لغة العرب الذين *يُسْتَشْهِدُ* بكلامهم، ولم يحاول أن يساير تطور اللغة وتجددها في العصور العباسية وما بعدها.
- ٢- اعتمد مؤلفوا المعاجم العربية الرائدة في رصد موادها على ما وصل إليهم من النصوص الشعرية، ولكن هذا النهج الذي اختطه الرواد الأوائل للمعاجم لم يلتزم به منْ أتى بعدهم من المعجمين، فلم يتخدوا من النصوص مادة أصلية للتأليف، بل أخذ بعضهم ينقل من بعض، ويعتمد عليه عند الشروع في تأليف معجمه.

ومن يطلع على المعاجم الموجودة بين أيدينا يلاحظ أن وجوه الشبه والاتفاق في كثير من المواد والشواهد تبدو واضحة جلية.

٣- لم تقم الكتابة بوظيفتها في تدوين التراث العربي إلا في القرن الثاني الهجري ، أي بعد مضي فترة طويلة على نشأته ، كان خلالها يُتناقل مشافههً من لسان إلى لسان ، الأمر الذي عرَّض كثيرةً من نصوصه وأخباره إلى النسيان والضياع . وليس أدل على قضية ضياع التراث من مقوله أبي عمرو بن العلاء المشهور :

«ما جاءكم مما قالـت العرب إلا أقـله ، ولو جاءـكم وافـراً جاءـكم عـلـم وـشـعـر كـثـير».

٤- خلو المعاجم العربية من البحث في تاريخ الكلمة ، وتطور دلالتها ومتى استعملت أول مرة ، ثم تدرج استعمالها على ألسنة الكتاب والشعراء والعلماء عبر العصور»^(١).

١- مقالات وآراء في اللغة العربية للدكتور حمد بن ناصر الدخيل ص ١٧٦ - ١٧٧.

الباب الرابع: مشكلات تواجه العربية

وتحته: تمهيد، وفصلان:

الفصل الأول: ظاهرة الإعراب وإنكارها.

الفصل الثاني: الدعوة إلى العامية، وتيسير النحو،

والخط العربي.

تمهيد

واجهت اللغة العربية تحديات كبيرة، سواء كان ذلك من قبل أعدائها، أو من قبل بعض المتسبين إليها. وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن بعض تلك المشكلات والتحديات.

وذلك من خلال الكلام على ظاهرة الإعراب، وإنكارها، والدعوة إلى العامية، وتبسيير النحو، والخط العربي. وسيتخلل ذلك تفصيل في هذه المسائل.

الفصل الأول: ظاهرة الإعراب وإنكارها

وتحته:

المبحث الأول: ظاهرة الإعراب.

المبحث الثاني: إنكار الإعراب.

المبحث الثالث: المستشرقون والإعراب.

المبحث الرابع: قصة الإعراب عند إبراهيم أنيس.

المبحث الخامس: بطلان القول بإنكار الإعراب.

الفصل الأول

ظاهرة الإعراب، وإنكارها

المبحث الأول: ظاهرة الإعراب

الإعراب معلمٌ من معالم العربية، ومفخرة من مفاخرها. وإنكاره ظاهرة غريبة، قضية تستحق الوقوف عندها وبيان خطرها، وصدق عاديتها.

و قبل ذلك يحسن الوقف على معنى الإعراب، وبيان أهميته، وكلام العلماء عليه، ثم يكون الحديث عن إنكاره، والرد على هذا الإنكار.

أولاً: معنى الإعراب:

أ- الإعراب في اللغة: أصل هذه المادة: (عرب) قال ابن فارس رحمه الله: «العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها: الإبانة^(١) والإفصاح، والآخر: النشاط وطيب النفس، والثالث: فساد في جسم أو عضو.

فالأول أعراب الرجل عن نفسه: إذا بين وأوضح»^(٢).

وقال: «إعراب الكلام -أيضاً- من هذا القياس؛ لأن بالإعراب يفرق بين المعاني في الفاعل، والمفعول، والنفي، والتعجب، والاستفهام، وسائل أبواب هذا النحو من العلم»^(٣).

١- في المقايس تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون: (الإبادة) وهذا خطأ واضح.

٢- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٩٩-٣٠٠.

بـ الإعراب في الاصطلاح: «أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة»^(١).

والمراد بالأثر ما يحدّثه العامل من الحركات الثلاث أو السكون، وما ينوب عنها.

وبالظاهر: ما يلفظ به، وبالمقدار: ما يُنْوِي من ذلك كالضمة، والفتحة، والكسرة من نحو: الفتى، والنون في مثل: (لتبلون)^(٢).
ويراد بالكلمة: الاسم والفعل المعربان.

جـ معنى البناء: هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة مثل: هل، وقام، وأمس، ومنذ^(٣).

ثانياً: أهمية الإعراب وأقوال العلماء فيه:

يرى علماء العربية وجميع النحاة إلا من شذ منهم أهمية الإعراب، وأن علاماته وألقابه دلالاتٍ معينة، وأغراضًا معنوية؛ فهي تدل على المعاني المختلفة التي تتعور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو غير ذلك.

وأقوالهم في ذلك كثيرة جداً، وهذه نبذة من أقوال بعض العلماء:

١ـ قال ابن قتيبة ١٧٦-٢١٣ هـ بِحَمْلِ اللَّهِ: «ولها -يعني العرب- الإعراب الذي جعله الله وشيأ لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقًا في بعض الأحوال بين الكلامين التكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت

١ـ هذا تعريف ابن هشام بِحَمْلِ اللَّهِ انظر ضياء السالك إلى أوضاع المسالك ٤٩/١.

٢ـ انظر ضياء السالك ٤٩/١-٥٠.

حالاً هما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما - إلا بالإعراب.
ولو أن قائلاً قال : (هذا قاتل أخي) بالتنوين ، وقال آخر : (هذا قاتل أخي)
بالإضافة - لدل التنوين على أنه لم يقتله ، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله^(١).

٢- وقال أبو القاسم الزجاجي ت ٣٣٧ هـ : «فإن قال قائل : قد ذكرت
أن الإعراب داخل في الكلام فما الذي دعا إليه ، واحتاج إليه من أجله ؟

فالجواب : أن يقال : إن الأسماء لما كانت تعتورها ، المعاني وتكون فاعلة
ومفعولة ، ومضافة ، ومضافاً إليها ، ولم يكن في صورها ، وأبنيتها أدلة على هذه
المعاني ، بل كانت مشتركة - جعلتْ حركات الإعراب فيها تتبع عن هذه
المعاني ، فقالوا : ضرب زيد عمراً ، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له ، وينصب
عمرو على أن الفعل واقع به.

وقالوا : ضُرب زيد؛ فدلوا بتغيير أول الفعل ، ورفع زيد على أن الفعل ما لم
يسْمَ فاعله ، وأن المفعول قد ناب منابه.

وقالوا : هذا غلام زيد؛ فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه.
وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ، ليتسعوا في كلامهم ،
ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون
الحركات دالة على المعاني^(٢).

١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤.

٢- الإيضاح على علل النحو للزجاجي ص ٦٩ ، وانظر الأشباه والنظائر للسيوطى ٧٨/١ ، وانظر
فصل في فقه العربي د. رمضان عبد التواب ص ٣٢٧.

ويقول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «وأصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للأفعال والحراف؛ لأن الإعراب إنما يدخل في الكلام؛ ليفرق بين الفاعل والمفعول، والماليك والمملوك، والمضاف والمضاف إليه، وسائر ذلك ما يعتور الأسماء من المعاني. وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا في الحروف»^(١).

وقال : «ويسمي النحويون الحركات اللواتي تعقب في أواخر الأسماء والأفعال الدالة على المعاني إعراباً؛ لأنها بها يكون الإعراب أهي : البيان»^(٢). وقد سبق في تعريف الإعراب كلام ابن فارس عن الإعراب.

وقال - أيضاً - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «من العلوم الجليلة التي خُصت بها العربُ الإعرابُ الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام.

ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من معنوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعتٌ من تأكيد»^(٣).

وقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «فأما الإعراب فيه تميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ وذلك أن قائلاً لو قال : (ما أحسن زيد) غير معرب ، أو (ضرب عمر زيد) غير معرب لم يوقف على مراده.

إذا قال : (ما أحسن زيداً) أو (ما أحسن زيد) أو (ما أحسن زيد) أبان

١- كتاب الجمل في النحو للزجاجي ص ٢٦٠.

٢- كتاب الجمل في النحو ص ٢٦١ - ٢٦٢.

٣- الصاحبي ص ٤٣.

الإعراب عن المعنى الذي أراده.

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها؛ فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني^(١).
وقال ابن جنی : «باب القول على الإعراب : هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛
ألا ترى أنك إذا سمعت : أکرم سعیداً أباه، وشکر سعیداً أبوه - علمت برفع
أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرحاً^(٢) واحداً
لاستبهم أحدهما من صاحبه.

فإن قلت : فقد تقول ضرب يحيى بشرى ، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً،
وكذلك نحوه - قيل : إذا اتفق ما هذه سبile ما يخفى في اللفظ حاله ، ألزم الكلام
من تقديم الفاعل ، وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب.

فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبيل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم
والتأخير؛ نحو أكل يحيى كمشري - لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت ، وكذلك
ضربتْ هذا هذه ، وكلم هذه هذا ، وكذلك إن وضح الغرض بالتشيية أو الجمع
جاز لك التصرف نحو قولك : أکرم اليحييان البشرىن ، وضرب البشرىن
اليحييون ، وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس ، فقلت : كلم هذا هذا فلم يجبه
لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت؛ لأن في الحال بياناً لما تعنى.

وكذلك قوله : ولدتْ هذه هذه ، من حيث كانت حال الأم من البنت
معروفة ، غير منكرة.

١- الصاحبي ص ١٤٣ .

٢- الشرح : النوع والضرب .

وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الإتباع جاز لك التصرف لما تُعقب من البيان، نحو ضرب يحيى نفسه بشرى، أو كلام بشري العاقل معلّى، أو كلام هذا وزيداً يحيى.

ومن أجاز قام وزيد عمرو لم يُجز ذلك في نحو (كلم هذا وزيد يحيى) وهو يزيد كلام هذا يحيى وزيد، كما يحيى (ضرب زيداً وعمرو جعفر) «^(١)». وهكذا يتبيّن لنا أن العلماء القدماء يتفقون على أهمية الإعراب، وضرورته، ويبيّنون أن الجملة لو كانت غفلاً من الإعراب لاحتملت معانٍ عدّة؛ فإن أعربت نصّت على معنى واحد «^(٢)».

وقد تبعهم في ذلك أكثر المحدثين، ومنهم المستشرون؛ فكثير منهم أقر بأن الإعراب هو المميز للغة.

١- الخصائص لابن جنني ٨٩/١.

٢- انظر فصول في فقه العربية ص ٣٢٨.

المبحث الثاني: إنكار الإعراب

بعد إنكار الإعراب من المشكلات التي تثار ضد العربية في الوقت الحاضر؛ فهي اللغة الوحيدة التي ينادي دائماً بتحفييفها وتسهيلها مع أنها ليست اللغة الوحيدة التي لها قواعد وضوابط؛ فلغات العالم الأخرى لها نظمها الخاصة، وقواعدها الثابتة التي يتغىظ بها أبناؤها، ويحاولون الالتزام بها كما يحاول ذلك من يحاول تعلمها من غير أهلها.

ولم نسمع في أي لغة من لغات العالم أنْ حاول أو طالب أبناؤها بتغيير قواعدها، أو تسهيلها، مع أنها لا تملك ما تملكه العربية من مقومات القوة، والبقاء، والنمو، ومواكبة الجديد، وما إلى ذلك مما مر ذكره.

ومن أخطر تلك الدعاوى دعوى إنكار الإعراب، وما يتربّى على تلك الدعواى من خطر على العربية.

ولقد مر بنا أن جميع التحاة العرب يرون أن حركات الإعراب تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة أو غير ذلك. ولم يخالف في ذلك في العصر القديم إلا عالم هو أبو علي محمد بن المستير المعروف بـ(قطرب).

وبهذا يكون أول من قال بهذه الظاهرة كما نقل ذلك عنه الزجاجي. ومؤدى هذا الرأى الذي ارتآه قطرب بِحَلَّةِ اللَّهِ أن حركات الإعراب الثلاث إنما جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنيين عند اتصال الكلام،

ثم يفسر بعد ذلك سبب اختيارهم للعلامات الإعرابية، ويقرر بأنها ليست ذات أثر ولا دلالة على المعاني.

هذا هو خلاصة رأي قطرب في الإعراب، وإليك نص كلامه في هذا الشأن؛ إذ يقول: « وإنما أعربت العرب كلامها؛ لأن الاسم في حالة الوقف يلزمها السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون - أيضاً - لكان يلزم الإسكان في الوقف والوصل، وكانتوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنتهم التحرير، جعلوا التحرير معاقباً للإسكان؛ ليعتدل الكلام؛ ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكنين، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو كلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان »^(١).

قال السيوطي رحمه الله بعد إيراد كلام قطرب: « وقال المخالفون له ردأ عليه: لو كان كما ذكر جاز جر الفاعل مرة، ورفعه أخرى، ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه؛ لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل بها الكلام؛ فأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك.

وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب، وحكمة نظم في كلامهم. واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب، واختلاف المعاني واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدم ذكرها بأن قالوا: إنما كان أصل

١- الإيضاح للزجاجي ص ٧٠، والأشباه والنظائر للسيوطى ٧٩/١

دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال لأنه يذكر بعدها اسمان: أحدهما فاعل والآخر مفعول، ومعناهما مختلف؛ فوجب الفرق بينهما، ثم جعل سائر الكلام على ذلك»^(١).

وقال الدكتور رمضان عبد التواب بعد إيراده كلام قطرب: «هذا هو رأي قطرب، وهو رأي لم يسبقه به أحد -فيما نعلم-. ولم يتبعه عليه غيره من اللغويين أو النحويين، فيما عدا أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس، في كتابه القيم (من أسرار اللغة)، ويظهر أنه تأثر برأي قطرب هذا؛ إذ أشار إليه ناقلاً إياه عن كتاب (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى»^(٢).

ويقول د. إبراهيم السامرائي عن رأي قطرب: «وهذا الرأي غريب في جملته، وقد انفرد فيه صاحبه، ولم يؤيده فيه إلا د. إبراهيم أنيس بعد أحد عشر قرناً. ووجه الخطل في هذا الرأي أن العربية كانت معربة منذ أقدم العصور، والنصوص شاهدة على ذلك.

وقد كان هذا الإعراب سهلاً على الألسنة، ثم ثقل، وصعب حين فسدت الطبائع العربية، وفشا اللحن، وتحول المجتمع العربي الحالص إلى مجتمع ضخم فيه أجناس شتى، ولا سيما في الحواضر العربية»^(٣).

وهكذا فتح قطرب باباً واسعاً لمن أراد التعامل على العربية وإن لم يكن

١- الأشباء والنظائر للسيوطى ٧٩/١ .٨٠

٢- فصول في فقه اللغة العربية ص ٣٢٩

٣- فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي ص ١٢١

يقصد ذلك؛ فلقد وجد المستشرقون وأعداء الإسلام من هذه الفكرة منفذاً للطعن في العربية، ومحاولة إضعاف أثرها في نفوس أهلها. وسيتضح فيما سيأتي بيان لآراء المستشرقين، ولنظرية إبراهيم أنيس. ومن ثم يكون الرد على ذلك كله.

المبحث الثالث: المستشرقون والإعراب^(١)

أولاً: المستشرقون الذين لا يرون الإعراب:

مر بنا أن من المستشرقين من كان يرى الإعراب، وأن منهم فريقاً لا يرونه، بل جعلوا من رأي قطرب ذريعةً للتخل من العربية؛ إذ الإعراب أهم خصائصها.

ومن هؤلاء المستشرقين :

١- كارل فوللرز: وذلك في كتابه : (اللغة الشعبية واللغة الأدبية في الجزيرة العربية القديمة).

وهذا الرجل من أكثر الحاقددين على العربية.

وخلاصة رأيه يتمثل فيما يلي :

أ- يرى أن فكرة النحو كانت مصنوعة، وأنه ليس موجوداً في العربية الجاهلية، وإنما صيغت بعد ذلك.

ب- يرى أن النص الأصلي القرآني قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية السائدة في الحجاز.

ج- يرى أنه لا يوجد في اللهجات السائدة ما يسمى بالإعراب.

د- ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة حية في مكة على عهد النبي ﷺ.

هـ يشك في أن يكون الذين خرج من بينهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة.

١- انظر فصول في فقه العربية ص ٣٣٢ - ٣٣٨ ، ومحاضرات أ.د. علي البواب.

٢- كوهين: وهو مستشرق فرنسي ، وهو صاحب كتاب (لغات العالم).
 هذا الرجل لما درس العربية وجد أن الشعر العربي لا يمكن أن يقوم إلا على
 قواعد إعرابية ، فخرج من ذلك بنتيجة يقول فيها:
 «إن قواعد الشعر تقوم على الإعراب ، ولا بد من ذلك.
 أما التصرف من الصعوبة بمكان تطبيق القواعد فيه» .
 فهو يتصور بأن النحو صعب ، ويشبهه بحالنا الآن؛ فعندما يلقي أحدهنا كلمة
 أو خطاباً يحرص على تطبيق القواعد فيه .
 وعندما يعود إلى البيت ، أو يغشى المجالس العامة فإنه يعود إلى العامية .
 ٣- باول كاله: حيث عقد في كتابه (الذخائر القاهرة) فصلاً عنوانه : (نص
 القرآن العربي) .

يقول فيه : «جمع نص القرآن بعد وفاة النبي ﷺ بمدة وجيزة في عام ٦٣٢ م ،
 وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ٦٤٤ - ٦٥٥ ، وهنا
 قامت مشكلة كيف يقرأ هذا النص ويرتل ؟
 فقد ولد محمد ﷺ بمكة ، وانحدر - كمعظم مواطنه - من القبيلة العربية
 (قريش) .

وكانت اللغة العربية التي يتكلمها هي لغة المواطن المثقف في مكة .
 والنص القرآني الحالي من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية التي
 كانت تُتكلّم في مكة ، غير أن العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية
 نموذجاً للنطق الصحيح ، بهذه اللغةنظم الشعر العربي الجاهلي ، وكان كل

عربي مزهوأ بذلك.

وإذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة أقل مستوى من أية لغة أخرى - فقد بدأت العواصم الإسلامية في ذلك العصر المبكر - في الكوفة، والبصرة، والمدينة، ومكة. دراسة نشيطة للشعر البدوي، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية يذهبون إلى جيرانهم من البدو، ويجمعون ما يمكنهم من أشعارهم، وما يتصل بها من الحكايات، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة التي جمعت تحت عنوان : (أيام العرب).

وقد اُتّخذت المادة التي جُمعت بهذه الطريقة أساساً للعربية النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها، ومع ذلك لم تغير كتابة المصحف، بل ابتدعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص؛ لضمان صحة القراءة».

ثم يقول باول كاله: «ولم تذكر كتب القراءات بوجه عام شيئاً عن النشاط المبكر للقراء، فقد ضاعت أو أهملت تلك الكتب التي ذكرت شيئاً عن هذا النشاط فيما عدا خبراً عثرت عليه مؤخراً، ويمكن أن نرى من خلاله ذلك التطور»^(١).

يقول د. رمضان عبدالتواب معلقاً على ذلك: «ويظن باول كاله أنه عثر على بغيته في اقتباس عن الفراء وجَدَه في مجموعة خطوظة بمكتبة (تشستر بيتي) رقم ٧٠٥ وفيه: «قال الفراء: وقد رأينا أهل القراءة الذين يعرفون الكتاب والسنة من أهل الفصاحة اجتمعوا على أنه نزل بأفصح اللغات،

فاعتراض في ذلك أقوام من ينظر في الأشعار وأيام العرب، فقالوا: إنما فضل القرآن من فضله؛ لما أوجب الله من تعظيم القرآن، فإذا صرنا إلى الفصاحة وجدناها في أهل البوادي.

واختلفوا في ذلك؛ فقال أهل الكوفة: الفصاحة في أسد؛ لقربهم جوارهم منهم.

وقال أهل البصرة: الفصاحة في علياً تميم وسفلی قيس من عقل وعقل.

وقال أهل المدينة: الفصاحة في غطفان؛ لأنهم جيرانهم.

وقال أهل مكة: الفصاحة في كنانة بن سعد بن بكر وثقيف.

فأحبينا أن نردهم بالآثار، والقياس، والاعتبار إلى تفضيل لغة قريش على

سائر اللغات...

قال: وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ: عتى حين، يزيد: حتى حين،

قال: من أقرأك هذا؟ قال: عبدالله بن مسعود.

قال: فكتب إلى عبدالله: إن القرآن نزل بلغة قريش، ولم ينزل بلغة هذيل

فأقرئه الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل.

وقال أبو بكر الصديق رض: إن إعراب القرآن لأحب إلى من حفظ بعض

حروفه.

وقال ابن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه؛ فإنه

عربي، والله يحب أن يُعرب».

وقد علق (كاله) على كلمة: (إعراب) في نص أبي بكر الصديق، بقوله:

«الإعراب يعني الحركات في أواخر الكلمات العربية طبقاً لقواعد العربية

الصحيح».

وقد استنتاج (كاله) من ذلك أن «الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدون إعراب ، وأريد له أن يقرأ بالإعراب الذي عُدَّ في وقت متأخر من مظاهر القحّة اللغوية».

وهو مخطئ في استنتاجه ذلك؛ لأن الإعراب بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفاً في أيام أبي بكر وابن مسعود.

ومعنى كلمة (إعراب القرآن) في هذه الأحاديث - إن لم تكن مزيفة - هو الوضوح والبيان في قراءة القرآن الكريم^(١).

ثانياً: المستشرقون الذين يرون الإعراب:

إذا كان المستشرقون: كاله ، فوللرز ، وكوهين يرون هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب - فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية ، وفندوا الأقوایل التي ترى خلاف ذلك.

ومن أبرز هؤلاء اثنان هما:

١- المستشرق نولدكه: وهو من المستشرقين الذين درسوا اللغات السامية ، وفيه جانب من الإنصاف ، وله مقالة بعنوان: (ملاحظات على لغة العرب القدامى).

يقول د. رمضان عبدالتواب بعد أن ساق رأيي فوللرز ، وكاله: «وإذا كان هذان المستشرقان: فوللرز و كاليه يريان هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب - فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية ،

١- فصول في فقه العربية ص ٣٣٥-٣٣٦.

مثل نولدكه الذي يرى في مقالة له بعنوان: (ملاحظات على لغة العرب القدامى) : «أنه من غير المعقول أن يكون محمد ﷺ قد استخدم في القرآن لغة تخالف كل المخالفة تلك اللغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك ، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم» .

كما يرى نولدكه : «أن شعر ذلك العصر كان يمثل لغة البدو التي كانوا يتحدثون بها في ذلك الوقت ، والتي ظلوا يتحدثون بها زمناً طويلاً بعد ذلك. ولا يغير من هذه القضية شيئاً أن لغة الشعر بها بعض الاختلاف عن لغة الحياة العامة ، وأن الشاعر ما كان يضطرب وزن الشعر وأسلوبه إلى الاتيان بتعبيرات خارجة عن المألوف ، وغير ذلك من الأمور التي لاحظها كذلك قدامى اللغويين العرب ، وسجلوها بدقة» .

ويستطرد نولدكه في مقاله هذا إلى أن «فنسيشتاين كان يرى هو الآخر أن لغة الشعر مصنوعة تماماً فقد درس العربية الحديثة ، وتأثر بها إلى درجة أنه أصبح يرى أن القواعد التي نطالب بها من يريد التحدث بالعربية الفصحى عديمة الجدوى. ولم يذهب فوللرز إلى هذا الحد من التفكير بالنسبة للعربية ، ولكنه كان يرى أن اللغويين العرب قد جمعوا عناصر الإعراب بمهارة فائقة وأكملوها» .

ويرى نولدكه كذلك أنه «من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي ﷺ لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو .

ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيراً في الحديث اليومي قد عودت الأذن على

سماع الصيغة الخالية من الإعراب؛ فاستطاع أحد الشعراء استخدامها عند اتصال الكلام كذلك، وعلى الأخص في صيغة المضارع التي لا تتلاءم كثيراً من وزن الشعر».

كما يرى نولدكه في الفصل الذي كتبه عن (لغة القرآن) في كتابه : (مقالات جديدة في علم اللغات السامية) أنه «لو كان النبي ﷺ أو أحد معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك ، دون أن يبقى لنا آثار منها».

وأخيراً يرى نولدكه كذلك أن «لهجة شديدة الانحراف عن عربية النهاة ، لا يناسبها مطلقاً بحور الشعر المعروفة»^(١).

٢- المستشرق يوهان فلک : حيث قال في كتاب له اسمه (العربية) ونقله عنه د. رمضان عبدالتواب : «لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية -باستثناء البابلية القديمة-. قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي.

وقد احتمم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي ، فأشعار عرب الbadia -من قبل العهد الإسلامي ومن بعده- ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحوين واللغويين

الإسلاميين كانوا - حتى القرن الرابع الهجري والعشر الميلادي على الأقل - مختلفون إلى عرب البادية؛ ليدرسوا لغتهم - تدل على أن التصرف الإعرابي كان بالغاً أشدّه لذلك العهد، بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداء ظواهر الإعراب^(١).

١- فصول في العربية ص ٣٣٨.

المبحث الرابع: قصة الإعراب عند إبراهيم أنيس

لم تتعرض اللغة العربية لنقد أحد من أبنائها قديماً وحديثاً كما تعرضت من قبل الدكتور إبراهيم أنيس، وذلك في كتابه (من أسرار اللغة) وبالذات في الفصل الذي عقده بعنوان : (قصة الإعراب)^(١).

وقد كان متوجساً لما سيحدثه ذلك الفصل من ردود أفعال قوية ، فأخذ يعتذر نفسه في مقدمة الكتاب بقوله : « وقد يضيق بعض الناس في مصر بما جاء في هذا الكتاب ، ويتنكرون له ، ولا سيما الفصل الخاص بقصة الإعراب.

غير أنني واثق كل الثقة أن تأكيدي لهم بأنني لم أهدف إلا الدراسة العلمية البريئة من الأغراض والأهواء سيسáfع لي عندهم فيما يمكن أن يظنه خروجاً على المألوف المعهود في الدراسة العربية»^(٢).

وقد بدأ هذا الكتاب بعبارات توحى بأن اللغة مصنوعة ، وأن الإعراب حياة وصنعة قامت على يد قوم من صناع الكلام حتى أصبح الإعراب حصنًا منيعًا؛ فصار الأدباء ، والشعراء يخافون من سطوة النحاة ، وأصبح كل من يتكلم العربية يخافهم ، ويراعي قواعدهم.

وكان يريد من ذلك كله أن يصل إلى أن الإعراب صنعة وليس سلبيقة ، وأن الحركات الإعرابية ليست معروفة عند العرب ، وإنما وضعت في أواخر القرن

١- انظر أسرار اللغة ص ١٧٨-٢٧٤.

٢- من اسرار اللغة ص ٥.

الأول، وأن الحركات الإعرابية ليس لها مدلول.

ولهذا سمي ذلك الفصل الذي عقده (قصة الإعراب) وكأنه أراد من هذا العنوان أن يوحي للقارئ أن الإعراب قصة منسوجة، انظر إليه في بداية الفصل وهو يقول :

«ما أروعها قصة، لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متباشرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت، تم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري، أو أوائل الثاني على يد قوم من صناع الكلام نشأوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الإعراب حصنًا منيعًا، امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية، وشق اقتحامه إلا على قوم سُمواً فيما بعد : النحاة»^(١).

يقول د. رمضان عبدالتواب مبيناً ذلك : «أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد بدأ بمقديمة طويلة بين فيها كيف كان للنحو العرب سلطان على الشعراء والأدباء، وأنهم لم يصادفوا من يهاجمهم إلا في النادر من أمثال (ابن مضاء القرطبي) الذي كتب كتاباً تصدى فيه لدحض علل النحو.

ثم يذكر الدكتور أنيس أن المحاولة الثانية كانت محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه : (إحياء النحو) وأنها كانت محاولة تعليمية؛ لتسهيل تلك القواعد الإعرابية على الناشئين.

ثم انتقل الدكتور أنيس بعد ذلك إلى البحث عن آثار هذا الإعراب في اللغات

السامية الأخرى، غير أنه لم يتعرض للإعراب في الأكاديمية والخطبالية والأوخارستية، مع أن هذه اللغات الثلاث من أهم اللغات السامية في موضوع الإعراب، واستأثرت العبرية ببحثه في أقل من صفحة، وقال: إنها استأثرت ببحث المستشرقين كذلك، وعلل اعتقادهم في وجود الإعراب في اللغات السامية «بتأثيرهم بما حدث في فروع الفصيلة الهندية الأوروبية، فقد عرفوا أن الوضع الإعرابي الذي يسمى case ending كان شائعاً في لغاتهم القديمة كاليونانية واللاتينية، وأنه قد فقد من اللغات الأوروبية الحديثة كالإنجليزية، والفرنسية، فتصوروا أن ما حدث في التطور التاريخي للفصيلة الهندية الأوروبية قد تم مثله في الفصيلة السامية».

وبعد أن استعرض الدكتور أنيس إعراب اللاتينية باختصار، قال: «ولعل أhem فرق بين رموز الأسماء في اللاتينية، وبين حركاتنا الإعرابية أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقاً من نهاية الأسماء حين الوقف عليها كما يحدث غالباً للحركات الإعرابية في لغتنا مما يجعلنا نرجح أن حركاتنا الإعرابية ليست رموزاً لغوية تشير إلى الفاعلية والمفعولية، أو غير ذلك».

وبعد أن درس ظاهرة الوقف في اللغة العربية ولهجاتها بشيء من التفصيل خرج علينا الدكتور أنيس بنظريته الجديدة في تفسير ظاهرة الإعراب في اللغة العربية»^(١).

وفيما يلي تلخيص لنظرية إبراهيم أنيس^(١):

- ١ - يرى أنه ليس للحركات الإعرابية مدلول ولا معنى، فلا تدل على فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة، أو غير ذلك.
- ٢ - يرى أن هذه الحركات إنما أتى بها للتخلص من التقاء الساكنين، ولوصل الكلمات بعضها بعض، وهذا هو نفس كلام قطرب. ولكن خاف أن يُسأل سؤال قطرب عن سبب التحرير، وتنوعه وعدم ثباته على حركة معينة، فزعم أن هناك عاملين تدخلًا في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين.

أحدهما: إيثار بعض الحروف لحركة معينة كإيثار حروف الخلق للفتحة مثلاً. والآخر: هو الميل إلى تجانس الحركات المجاورة، أو ما يسمى بـ: المناسبة الصوتية^(٢).

- ٣ - يرى أن معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد من هذه الحركات، وإنما من موقع كل من الفاعل والمفعول في الجملة العربية. وحاول أن يثبت نظاماً معيناً للجملة العربية القدمة يلي فيها الفاعل الفعل، ويسبق المفعول.

يقول إبراهيم أنيس في قصة الإعراب تحت عنوان: (موقف الفاعل من المفعول في الجملة العربية):

١ - انظر من أسرار اللغة ص ١٩٨-٢٨٤ ، وفصل في فقه العربية ص ٣٣٣-٣٣٠ .

٢ - انظر من أسرار اللغة ص ٢٥٠-٢٥٣ .

«نكتفي هنا ببيان قصير عن موضع الفاعل من الجملة، وموضع المفعول منها؛ كي نبرهن على أن الفاعل لا يعرف بضم آخره، ولا المفعول بنصب آخره، بل يعرف كلّ منها - في غالب الأحيان - بمكانه من الجملة التي حددته أساليب اللغة»^(١).

ثم ضرب عدداً من الأمثلة؛ ليدلل بها على أن العلامات الإعرابية لا معنى لها. ومن ذلك قوله: «ولا نكاد نعثر في القرآن الكريم على مفعول تقدم فاعله دون أن نعرف للاية وجهاً آخر من القراءات إلا في بعض آيات فيها الفاعل كلمة (الموت) مثل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾
 ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾
 ﴿هَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾
 ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾

فما السر في مثل هذا يا ترى؟ أيكون - والله أعلم - نفوراً من التعجيل بذكر كلمة كريهة على النفس البشرية؟ أو أنه كانت هناك قراءات لم تُرُو لنا، أو لم نعثر عليها قرئت فيها كلمة (الموت) منصوبة ويكون المعنى حينئذ مشاهدة الموت ومعاينته علاماته وأماراته؟^(٢)

٤- يرى أن النحاة حين اعتقدوا أن للحركات مدلولاً حرّكوا أواخر الكلمات التي لا داعي إلى تحريكها؛ لتطرد قواعدهم الإعرابية؛ فقالوا - مثلاً - : (الشجر

١- من أسرار اللغة ص ٢٤٣.

٢- من أسرار اللغة ص ٢٤٥-٢٤٦.

مورق) يقول: «فما السر - إذن - في إصرار النحاة على تحريك الراء في كلمة الشجر بتلك الحركة الإعرابية المشهورة؟ في الحق أنه لا ضرورة للحركة في مثل هذا الموضع، ولكن النحاة حين أرادوا اطراد قواعدهم الإعرابية توهموا أن هنا - أيضاً - حركة، والتعمسوا بها وجهًا من وجوه الإعراب»^(١).

٥ - وعندما يأتي إلى الإعراب بالحروف فإنه يرجعه إلى اختلاف اللهجات؛ فيرى أن إحدى صوره تخص قبيلة معينة، والأخرى تخص قبائل أخرى. فمثلاً بعض القبائل استخدمتها: مسلمون، والأخرى مسلمين، وبعضها تقول: أبو، والأخرى تقول: أبي، والثالثة تقول: أبا.

فجاء النحاة - كما يزعم - وجمعوا كل هذه الصور، وخصوصاً كل صورة منها بحالة إعرابية معينة، فهو يفترض مثلاً أن هناك قبائل عربية كانت تنطق المثنى بالياء في جميع الحالات، ثم تطورت الياء فصارت ألفاً عند بعض القبائل في جميع الحالات؛ فلم يفهم النحاة سرّ الموضوع؛ فجمعوا بين الصورتين، وخصوصاً الأولى بحالتي النصب والجر، وخصوصاً الثانية بحالة الرفع.

ويذهب إلى مثل هذا في الأفعال الخمسة، والأسماء الخمسة. وقد توصل إلى ذلك دونما بينة أو برهان، وإنما قاله اعتماداً منه على أن النحو مصنوع^(٢).

١ - من أسرار اللغة ص ٢٥٦.

٢ - انظر من أسرار اللغة ص ٢٧٠ - ٢٧٤.

وبعد أن عَرَضَ مسألة الإعراب بالحروف قال في نهاية الحديث: «وهكذا نرى مما تقدم أن ما سماه النحاة إعراباً بالحروف لا يكاد يمت لحقيقة اللغة بصلة، ولا يكاد يعلو - كما رأينا في عرضنا السريع - أنه كان لبعض الكلمات المعينة أكثر من صورة في اللهجات السابقة، ولكن أصحاب اللهجة الواحدة كانوا يتزمون صورة واحدة لا ينحرفون عنها في كل الحالات والموضع». ^(١)

٦- وعندما تحدث عن الإشارات التي تشير إلى وضع النحو وتروي فزع العلماء من سماع اللحن في بعض الكلمات، أو الآيات؛ ما جعل العلماء والخلفاء يسعون إلى وضع النحو.

عندما تحدث إبراهيم أنيس عن هذا الموضوع قرر أن الكتب التي تكلمت عن هذه البدایات، وعن تلك الأخبار بأنها مختلفة للظرفة، وإلا فلا أساس لها من الصحة، وإنما أتي بها لبيان أهمية النحو.

وهذا الأمر خطير جداً؛ لأنه يقتضي الطعن في بعض الأخبار الواردة عن الثقات، وببعض النحاة الذين منهم الأئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء وغيره رحمة الله.

هذه صورة مجملة لبعض القضايا التي أثارها الدكتور إبراهيم أنيس في ظاهرة الإعراب.

والذي يتأمل يلحظ أنها دعاوى عريضة تقوم على المجازفة، وتخلو من

١- من أسرار اللغة ص ٢٧٤.

الدليل ، وتصورها كافية في الرد عليها ، وفساد معظمها يعني عن إفسادها . ولهذا واجهت اعترافاً كبيراً ، ولم تلق قبولاً لدى أي باحث من الباحثين . ومن انبى للرد عليه الدكتور مهدي المخزومي^(١) ، والدكتور محمد محمد حسين^(٢) .

ومن أبرز الاعتراضات التي أثارها الدكتور المخزومي أن نظرية الدكتور أنيس لا تستطيع أن تفسر اختلاف اللهجات العربية في الوقف مثل لهجة أزد السراة الذين إذا وقفوا على المرفوع نطقوا بضمته وأطالوها فكأنما هي و ، فيقولون في الجملتين : هل جاء خالد؟ وهل مررت بخالد؟ : خالدو ، وخالدي حين يريدون الوقف ، فيقول الدكتور المخزومي : «إذا لم تكن الحركات أعلاماً لمعان قصد إليها المتكلم ، بل لم تعد أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان ، توصل الكلمات بعضها مع بعض - فكيف يفسر الوقف على خالد في لغة من يتضرر (وهي لغة أزد السراة)؟

ولماذا كانت الدال مرفوعة ومنصوبة ومحفوضة في الجمل الثلاث؟ ولماذا لا تكسر؛ لتسجّم حركة الدال مع حركة اللام قبلها؟ وعليه فإن القول بأن الحركات إنما هي سد للحاجة إلى وصل الكلمات بعضها بعض ، وأنها ليست أعلاماً لمعاني التي قصد إليها المتكلم قول لم يخالفه التوفيق» .

١- في كتابه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) ص ٢٤٩- ٢٥٦.

٢- في كتابه مقالات في الأدب واللغة ص ٨٧- ٩٣.

وكان كلام الدكتور المخزومي قصيراً في جملته كما أنه لم يشر إلى اللغات السامية الأخرى التي تعارض أصلية الإعراب فيها نظرية الدكتور أنيس تماماً. هذا وقد رد العلماء على كل قضية من القضايا السابقة بالتفصيل سواء مما أورده المستشرقون، أو مما ادعاه إبراهيم أنيس.

ويقول الدكتور محمد حسين رحمه الله مبيناً عظمة تلك الدعوى التي جاء بها إبراهيم أنيس : «وأبلغ ما يبدو التحامل على علماء النحو واللغة والبلاغة ، بل على كتب التراث كلها - في الفصلين الأخيرين : الثالث والرابع من كتاب إبراهيم أنيس (من أسرار اللغة) اللذين عقدهما تحت عنوان (قصة الإعراب ص ١٩٨-٢٧٤) و(الجملة العربية وأجزاؤها ونظمها ص ٢٧٥-٣٥٢) وفيهما يشيع الشطط والمجازفة والتحامل الظالم الجهول ، وكأنه يعرف نفور القارئ من ذلك كله ، أو كأنه قصد إليه وتعتمد على أسلوب طه حسين في كتاب (الشعر الجاهلي) الذي اختار الاستفزاز والإثارة طريقاً لبلوغ الشهرة ، يدل على ذلك قوله في مقدمة هذا الكتاب : «وقد يضيق بعض الناس في مصر بما جاء في هذا الكتاب ويتذمرون له ، ولا سيما الفصل الخاص بقصة الإعراب» . وسيأتي بيان الرد على قضية إنكار الإعراب في الفقرة التالية - إن شاء الله -.

المبحث الخامس: بطلان القول بإنكار الإعراب^(١)

القول بإنكار الإعراب واضح البطلان، وقد مر أثناء إيراد حجج القائلين بذلك شيءٌ من أوجه بطلان ما ادعوه، وفيما يلي مزيد بيان لرد تلك الدعاوى الباطلة :

١- وجود الإعراب كاملاً في بعض اللغات السامية : كالآكادية، وتشمل اللغتين البابلية والassyورية في عصورهما القديمة.

وقد أورد الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه اللغة) نماذج لذلك.

٢- أن جميع لغات العالم تستخلص القواعد من اللغة؛ فالقواعد لا تتوضع ولا تخترع.

يقول د. علي عبد الواحد وافي : «خلق القواعد خلقاً لا يتصورها العقل ، ولم يحدث لها نظير في التاريخ ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل ، أو يتصور نجاحها؛ فمن الواضح أن قواعد اللغة ليست من الأمور التي تخترع ، أو تفرض على الناس ، بل تنشأ من تلقاء نفسها ، وتتكون بالتدريج »^(٢).

١- انظر فقه اللغة د وافي ص ١٦١-١٦٥ ، وفصول في فقه العربية ص ٣٣٨-٣٥١ ، ومقالات في الأدب واللغة د. محمد محمد حسين ص ٨٧-٩٣ ، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٢٩-١٤٣ ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

٢- فقه اللغة ص ١٦٣ .

- ٣- أن دقة القواعد وتشعبها لا يدلان مطلقاً على أنها مخترعة اختراعاً؛ فاليونانية واللاتينية -على سبيل المثال- في العصور القديمة، والألمانية في العصر الحاضر - تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد العربية، ولم يؤثّر هذا في انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد، ولا في مراعاتها في الحديث، ولم يقل أحد: إنها من خلق علماء القواعد.
- ٤- أن اللغة لو كانت مصنوعة مفروضة على الناس لما قبلوها؛ إذ لا يتصور أن يكون للنحاة هذه السلطة على الناس حتى يلزمونهم بهذه اللغة التي اخترعنوها كما يزعم د. إبراهيم أنيس.
- ٥- أن الأمة لا يمكن أن تتواطئ على إخفاء شيء من الأخبار، ولو كان النحو مصنوعاً لوصلتنا الأخبار بذلك.
- ٦- أن القرآن الكريم الذي وصل إلينا متواتراً بالرواية الشفوية الموثوق بها جيلاً بعد جيل - وصل معرباً.
- ولا يمكن أن يدور في خلد أحد أن النبي ﷺ كان لا يحرك أواخر الكلمات في تلاوته لنص القرآن الكريم إلا إذا اقتضت ضرورة وصل الكلمات، أو بعبارة أخرى إذا أراد التخلص من التقاء الساكنين؛ فلا يتصور أبداً أن يُظن أن النبي ﷺ كان يتلو -على سبيل المثال- قوله -تعالى-: **هُنَّ الْقَلْمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** (١) مَا أَنْتَ بِنْعَمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأْجَراً غَيْرَ مَمْتُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) (القلم) بتسكن أواخر الكلمات - القلم - بنعمة - ربك - وإنك - خلق - . فذلك لم يحدث قطعاً، ولو حدث لوصل إلينا روایات من ذلك.
- ثم إن اتفاق القراء، ونصّهم على مواضع الاختلاف دليل على وجود

الإعراب ، ولو كان مصنوعاً لوصلنا برأوية واحدة.

وهذا وحده كافٍ في نفي كون النحو مصنوعاً.

٨- تَبْهُ العُلَمَاءِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ لِحَرْكَاتِ الْإِعْرَابِ، وَإِدْرَاكُهُمْ لِمَدْلُولِهَا، وَعِيْنُهُمْ مِنْ يَحِيدُ عَنْهَا مِنْ فَسْدِ الْسَّتْهِمِ بِمُخَالَطَتِهِمْ لِلأَعْاجِمِ؛ فَذَلِكَ يَدِلُ دَلَالَةً صَادِقَةً عَلَى وُجُودِ الْإِعْرَابِ فِي الْكَلَامِ، وَشَعُورِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُ النَّحَّاءُ بِقَوْاعِدِهِمْ عَلَى النَّاسِ.

والأخبار الواردة عن أهل الصدر الأول في هذا الصدد كثيرة جداً، وإن كان بعضها لا يخلو من مسحة التكلف، والصنعة، لكنها -في الجملة- تدل على ذلك كما مر:-

ومن الأمثلة على ذلك ما يلى :

أـ. كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - : «من أبو موسى» فكتب إليه عمر رضي الله عنه : «سلام عليك، أما بعد: فاضرب كاتبك سوطاً واحداً، وأخر عطاءه سنة» ^(١).

^١- مراتب النحوين لأبي الطيب اللغوي ص٦ ، ونور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ص٣.

بـ «ويروى عن أبي الأسود الدؤلي أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بكسر اللام من (رسوله). فقال: لا أظنه يسعني إلا أن أصنع شيئاً أصلح به نحو هذا»^(١).

جـ «ويروى أن ابنة أبي الأسود قالت لأبيها يوماً: يا أبت ما أحسن السماء. قال: يا بنية! نجومها قالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن، وإنما تعجبت من حسنها.

قال: إذاً فقولي: ما أحسن السماء!»^(٢)

دـ «وقال رجل للحسن البصري رحمه الله يا أبو سعيد!

قال: كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول: يا أبو سعيد»^(٣).

هـ واستأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: أبا عمران في الدار؟ فلم يجبه، فقال: أبي عمران في الدار؟ فناداه، وقال: قل الثالثة وادخل^(٤). فهذه الروايات، وأضعاف أضعافها مما لم يذكر تدلنا على وجود الإعراب كما يعرفه النحويون في العربية الفصحى.

كما تدلنا من جانب آخر على أنه لم يكن لغة سليقة لكل من تكلم العربية، بدليل وقوع اللحن من كلام هؤلاء ومعظمهم من الموالي.

٩ـ أن الشعر العربي بموازينه وبجوره لا يقبل نظرية د. إبراهيم أنيس بحال من

١ـ مراتب النحويين ص ٨، وأخبار النحويين للسيرافي ص ١٢.

٢ـ أخبار النحويين البصريين ص ١٤.

٣ـ نور القبس المختصر للمرزاeani ص ٣

٤ـ معجم الأدباء ٦٨ / ١

الأحوال؛ فأوزان الشعر، وقواعده وجَرْسُه يقوم على ملاحظة نظام الإعراب، وبدون ذلك تختل أوزانه، ويضطرب جرسه.

«وما لا شك أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة، وأن شرعاً عربياً كثيراً قد قيل على غرارها قبل الإسلام، ومن بعده قبل أن يخلق هؤلاء العلماء؛ فإنكار هذا الشعر لا سبيل إليه، ولا يمكن أن يكون قد ألف غير معرب الكلمات؛ لأن عدم إعرابها يترتب عليه اضطراب أوزانه، واحتلال موسيقاه»^(١).

١٠ - النقوش العربية؛ فهي -على قلتها- تدل على أن الإعراب كان موجوداً عند العرب؛ حيث يظهر فيها التزام الإعراب.

١١ - قضية السماع من العرب؛ فهذا من أعظم ما يؤكد أن النحو ليس مصنوعاً.

فالعلماء في عهد هارون الرشيد كانوا يسمعون الكلام بكل دقائقه من الأعراب الذين كانوا يلقونهم.

ومن أعظم ما يمثل قضية السماع كتاب سيبويه بِحَمْلِ اللَّهِ حيث يمثل صورة تعقيد النحو؛ فالقواعد عنده سماعيه؛ ولهذا نراه كثيراً ما يقول: سمعنا عن فلان، أو حدثنا فلان.

وإليك بعض الأمثلة مما جاء في كتابه بِحَمْلِ اللَّهِ :

أـ قال : هذا كله سمع من العرب ... ١٤٧/١.

بـ وقال : وسمعنا من العرب من يقول : ... ٢٤٣/١.

ج- وقال : ومن العرب من يقول : اليوم يومك . ٤١٩/١.

د- وقال : وقد سمعنا من العرب من يشمه الرفع ... ٩٥/٣.

هـ- وقال : وسمعنا من العرب من يقول : إني أنا لبّتها . ١٢٨/٣.

وـ- وقال : وسمعت رجلاً من العرب ينشد هذا البيت ... ١٤٤/٣.

زـ- وقال : وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه ويجعلونه ... ٢٩٠/٣.

حـ- وقال : وسألنا العلوين والتميميين فرأيناهم يقولون ... ٢٩١/٣.

بل إن هناك من الأعراب في القرن الرابع من كان يتكلم العربية ، وقد افتخر كثير من الأئمة بمسافهتهم كالأزهري وأبي زيد القرشي ، وابن جنبي ، وكانوا يعملون لهم بعض الامتحانات؛ ليتأكدوا من مدى فصاحتهم.

بل إن ابن خلدون ذكر أنه وجد في زمانه من يتكلم العربية.

فعلماء هذا شأنهم؛ دقة ، واحتياطاً ، وإخلاصاً لا يعقل أن يتواطئوا جميعاً على هذا الإلوك المبين.

ويحسن أن يختتم هذا الحديث ببعض الأقوال التي ترد تلك الغرية العظيمة ، قال د. علي عبد الواحد وفي حديثه : «وإذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطؤاً جميعاً على اختلاف الإعراب فإنه لا يمكن أن نتصور أنه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصرיהם ، فأجمعوا كلامهم لا يذكر أحد منهم شيئاً ما عن هذا الاختراع العجيب.

ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها مثلة لقواعد لغتهم ، ويحتذوها في كتاباتهم اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحرروا عقول الناس واسترهبوا بهم ، وأنسوهם معارفهم عن لغتهم وتاريخهم ، فجعلوهم

يعتقدون أن ما جاؤوا به من الإفك مثل لفصيح هذه اللغة^(١). وقال : «فنظام الإعراب عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية ، وليس من إلهام عقري ، ولا من اختراع عالم.

وإنما تكون في صورة تلقائية في أحذاف طويلة كما يتكون اللؤلؤ في جوف الأصداف ، وكما تكون الأحجار الكريمة من فلذات^(٢) الأرض الطيبة ، وقد اشتملت عليه هذه اللغة منذ أقدم عهودها.

وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنه استخلصوا منها جهه استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء العرب ، ورتبوها وصاغوها في صورة قواعد وقوانيين^(٣).

وقال د. محمد حسين بخت الله في معرض حديث له عن دعاوى إبراهيم أنيس : «وإنني لأتساءل : أيهما أدنى إلى الروح العلمية التي تضبط اللغة وتصونها ، وتضمن الثبات والاستقرار؟

قواعد النحوة التي اجتمع عليها الناس ، أم هذه الأوهام التي تحكم إلى الانسجام ، ونظام المقاطع ، وطبيعة الصوت ، وغيرها من الكلمات الغامضة الدلالة التي ليس لها مفهوم عام يلتقي عنده كل الناس؟

ثم إنني أتساءل : ما الذي يهدف إليه المؤلف بدعاواه ومزاعمه؟

١- فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ٢٠٨ ، وانظر فصول في فقه العربية ص ٣٤٧-٣٤٨.

٢- لعلها : فِلْزَات.

٣- فقه اللغة ص ١٦٤-١٦٥.

هل يريد إلغاء الإعراب جملة؟ وإذا تم له ذلك فهل نسمى ذلك تجديداً أم هدماً؟ وهل نقرأ القرآن بعد ذلك بحركات الإعراب أم بدونها؟^(١).

وقال بِحَمْلِهِ : «ويعرف كل من ألم باليونانية واللاتينية وبعض اللغات الأوروبية الحديثة كالألمانية أن هذه الحالات التي تعترى الكلمات، وتنقصني زيادة بعض الأحرف في نهاياتها تبلغ ست حالات في حالة الإفراد وستاً مثلها في حالة الجمع، وأنها أكثر تعقيداً فيها منها في العربية؛ لأن هذه الحالات يُعبر عنها بمحرفين أو ثلاثة، وهي في العربية حركة واحدة؛ ولأن هذه الزيادات غير موحدة، فالكلمات في هذه اللغات تتشعب إلى مجموعات أو أسر متعددة-declensions.

وكذلك الفعل في الفرنسية المعاصرة، ولكل أسرة منها علامات للإعراب تختلف عنها في الأسر الأخرى، وإذا جاز ذلك وصح عند دعوة التغريب في لغات هذه الأمم، فلماذا يستنكرون ويسبعدونه في العربية؟ لماذا يُسلمون بوجود هذه الظاهرة التي تربط المعنى بالشكل الذي تتخذه نهايات الكلمات في هذه اللغات، ولا ينسبونها إلى الانسجام، وطبيعة الصوت، ونظام المقطع، ويرفضون نظيرها في اللغة العربية؟

ولماذا كان نحاة العرب دون غيرهم هم المهتمين بالتحريف، والاختلاق، والتزوير، والطغيان؟^(٢).

وقال : «ومن الطبيعي في كل اللغات أن يكون وضع قواعد اللغة ومعاجمها

١ - مقالات في الأدب واللغة ص ٨٩.

٢ - مقالات في الأدب واللغة ص ٩٠

هو المرحلة الأخيرة في نضجها التي ثبتت معها أساليبها في بناء الكلمات والتعبير عن المعاني، ولا يُسمح بعدها بمخالفتها، أو الانحراف عنها، ولا يجري التطور إلا في حدودها.

وقواعد اللغة أو ما يسميه العرب نحوً وصرفًا قد استُبْطِطَتْ من واقعها ومن طريقها التي هدلت إليها في التعبير على مقتضى سنن الله في اختلاف الألوان والألسنة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافُ أَسْبَاتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم : ٣٠ .

فإذا استُبْطِطَتْ هذه القواعد من واقعها، وبُوأْتَتْ أصبح لها قوة القانون في المجتمع، لا يُسمح لأحدٍ بالخروج عليه مع أنه هو نفسه من صنع المجتمع. وما ترويه كتب النحو من الشعر المخالف لهذه القواعد في عصور الاستشهاد بما تسميه شاذًا ليس إلا صورة لفقدان الانضباط الكامل في اللغة الذي كان يُسمح بعض الناس بالخروج على العُرُوفِ الغالب المألوف إن سها، أو دعته لذلك ضرورة أو غلَبَتْ عليه لهجته المحلية التي تخطَّتها لغة الأدب التي اجتمع عليها العرب قبيل الإسلام.

وهذا الذي يسمونه قبل وضع النحو شاذًا، هو نفسه ما يصفونه بعد وضع النحو بأنه خطأ^(١).

الفصل الثاني: الدعوة إلى العامية، وتيسير النحو، والخط العربي

وتحتة مباحث:

المبحث الأول: مقدمات حول هذه الدعاوى

المبحث الثاني: الدعوة إلى العامية.

المبحث الثالث: الدعوة إلى تيسير النحو.

المبحث الرابع: الدعوة إلى تيسير الخط العربي.

المبحث الخامس: الرد على دعاوى العامية، وتيسير
النحو، والخط العربي.

الفصل الثاني

الدعوة إلى العامية، وتبسيير النحو، والخط العربي

المبحث الأول : مقدمات حول هذه الدعاوى

هذه الدعاوى داخلة تحت المشكلات التي تواجه العربية ، وتسعى إلى إضعاف سلطانها في نفوس أهلها.

وذلك كله سلسلة من المكر الكُبُّار ، والكيد الذي يراد بأمة الإسلام ، وإن كان بعض من يدعوا إلى تلك الدعاوى ذاتية طيبة.

وسيكون الحديث فيما يلي حول بعض المقدمات ثم يتم الحديث عن كل واحدة من هذه الدعاوى الثلاث على حدة :

أولاً: ارتباط اللغة بالدين والأمة: لا يشك عاقل في مدى التلازم الوثيق ، والارتباط المحكم بين اللغة والدين والأمة.

وهذا ما أدركه العلماء في القديم والحديث؛ حيث ربطوا بروباً محكماً بين اللغة العربية والإسلام؛ ذلك أن أهم ما تعتد به الأمم من تراثٍ لغتها ودينها؛ فبهاتين الوسائلتين تحقق ذاتها، تتميز شخصيتها؛ فكل قضية تثار ضد العربية فهي في الحقيقة - ضد الإسلام.

ولقد نص على هذه الحقائق غير واحد من علماء اللغة والشريعة.

قال الشاعبي رحمه الله في مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية) : «إِنَّمَا مَنْ أَحَبَ اللَّهَ أَحَبَ رَسُولَهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَحَبَ النَّبِيَّ أَحَبَ الْعَرَبَ، وَمَنْ أَحَبَ الْعَرَبَ أَحَبَّ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَّلَ بِهَا أَفْضَلُ الْكِتَابِ عَلَى أَفْضَلِ الْعِجْمِ وَالْعَرَبِ».

ومن أحب العربية عُني بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها .
ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإسلام للإيمان ، وآتاه حسن سريرة
فيه - اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير
الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي
أداة العلم ، ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ثم هي
لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء ،
والزند^(١) للنار .

ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها ومصارفها ،
والتبصر في جلالتها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة
البصرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان - لكفى بهما فضلاً يحسن أثره ،
ويطيب في الدارين ثراه؛ فكيف وأيسر ما خصها الله - عز وجل - من ضروب
المَادِحِ ما يُكِلُّ أقْلَامَ الْكِتَبَةِ ، وَيَتَعَبُ أَنَامِلَ الْحَسَبَةِ»^(٢) .

بل إن العلماء نصوا على أن تعلمها من الدين ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به
 فهو واجب كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام الشاطبي
 رحمة الله ..

قال ابن تيمية رحمه الله : «إن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض
واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا

١ - الزند: العود الذي تقدح به النار

٢ - فقه اللغة وسر العربية ص ٥.

يتم الواجب إلا به فهو واجب^(١).

وقال : «ومعلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية ، وكان السلف يؤذبون أولادهم عن اللحن؛ فنحن مأمورون أمر إيجاب ، أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسنة المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها»^(٢).

وقال الشاطبي رحمه الله : «الاجتهاد إن تعلق بالاستنباط من النصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية»^(٣).

وقد أدرك ذلك المسلمون الأوائل لا من العرب فحسب ، بل من غير العرب ، حيث أقبلوا على العربية ، وأحبوها ، وتفقهوا فيها ، ونافحوا عنها ، بل صاروا من أكابر أئمتها كالكسائي ، وسيبويه ، وابن فارس ، وابن جني -رحمهم الله-. بل لقد بلغ الأمر بابن فارس رحمه الله أن يعقد باباً في كتابه (الصاحب) تحت عنوان (باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها)^(٤).

ولم تغدو عروق الفارسية ، ولا كونه يعيش في بيئة بعيدة عن منبععروبة أن يقول ما قال مما يبلغ الذروة في تمجيد العربية.

وإنما جاءته هذه العصبية من جهة إسلامه ، واقتاعه بأن القرآن كتاب الله المعجز الخالد.

١- اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٢.

٢- مجموع الفتاوى ٣١/١٥٨.

٣- المواقفات ٥/٢٤.

٤- الصاحبي ص ١٩.

وهذا شيء يعتقد المسلم لا ينزعه فيه شك، وهو أن الذين صانوا العربية ووضعوا لها القواعد التي حفظتها طوال هذه القرون، وأقامت السنة الناطقين بها على سنتها - كانوا يعملون بهداية من الله ورعايته وتوفيق؛ لأنهم كانوا الأسباب إلى تحقيق وعده الصادق النافذ في قوله - عز وجل - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر.

وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته؟

هذا أمر لا صلة له بمناهج البحث، ومنطق الفكر؛ لأنه ينزل من المسلم منزلة العقيدة المُسلَّمة التي لا تحتاج إلى برهان، ولا ينزعه فيه شك مهما رأى غير المسلمين فيه، ومهما خطر على باله من وساوس وهواجس تدعوه إلى اطراحه، أو التهويين من شأنه.

والدليل على أن هذه القواعد قد صانت اللغة العربية من التبديل والتحريف فأصبحت بذلك ظاهرة فذة لا يشبهها شيء من لغات العالم - أننا نقرأ القرآن كأنه أنزل فينا اليوم، ونقرأ أبا تمام والبحتري والمتني وكأننا نقرأ البارودي أو شوقياً^(١).
هذا وسيوضح مزيد بيان لهذه الحقائق في الفقرات التالية.

ثانياً: إدراك الأعداء لأهمية اللغة: لقد أدرك أعداء الإسلام والعرب أهمية اللغة وخطرها على مطامع الاستعمار، وخطرها في وحدة الأمة، وتماسكها، وارتباط حاضرها بماضيها.

١- انظر: مقالات في اللغة والأدب د. محمد محمد حسين ص ٧٥-٧٦، وفي سبيل لغة القرآن د. مرزوق

ابن تباك ص ١٥.

ومن هنا كان سعيهم الحثيث لتفتت وحدة الأمة، وتجزئتها، وجعلها دويلات متاحرة؛ لأجل أن تستمر التبعية لهم؛ فشرعوا جاهدين إلى هذا المقصود، وأخذوا بكل وسيلة ممكنة لتحقيق هذه المطالب؛ فكان من أعظم ما توصلوا إليه، وقاموا به أن ضربوا الأمة في لغتها، وانحذوا بذلك أساليب شتى، وجندوا مطاييرهم من المستغربين لذلك؛ فصارت الطعنات المتالية في العربية داعية إلى إقصائها أو إضعافها، والنيل منها -كما سيأتي بيان ذلك-^(١).

ثالثاً: غاية هذه الدعوات: من خلال ما مضى وما سيأتي يتبيّن لنا أن هذه الدعوات تستهدف غايتين^(٢):

- ١- تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة: وذلك بتفرقهم في الدين، وتفرقهم في اللغة والثقافة، وقطع الطريق على توسيع اللغة العربية المختمل بين مسلمي العالم؛ حتى لا تم وحدتهم الكاملة.
- ٢- قطع ما بين المسلمين وبين قدیمهم: والحكم على كتابهم (القرآن) وكل تراثهم بالموت؛ لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم، ويضم بعضهم إلى بعض.

رابعاً: نبذة تاريخية عن تلك الدعوات، وبيان أشهر دعاتها^(٣): بدأت تلك الدعوات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عن طريق بعض

١- انظر في سبيل لغة القرآن ص ١٥-١٦.

٢- انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين ٢/٨٤.

٣- انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/٣٦٨-٣٥٩، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٥١-١٥٥.

المجلات، وبعض المنصرين، والمستشرقين، وكانت بدايتها في مصر؛ نظراً لمكانتها العلمية والثقافية.

وتحمل تلك الدعوات في طياتها عبراً، وعظاتٍ عجيبةٍ في دأب أولئك، ومثابرتهم في سبيل النيل من العربية.

وفيما يلي استعراضٌ تاريخيٌّ بجملة لتلك الأعمال يتبع من خلاله ما قاموا به من عمل، وتبين - كذلك - أشهر الذين تبنوا تلك الدعوات الهدامة سواء من الأشخاص أو المجالات.

١ - ظهرت الدعوة إلى العامية سنة ١٨٨٠ م على يد الألماني (ولهلم سبيتا) الذي كان متخصصاً باللغات الشرقية، وكان مديرًا للدار الكتب المصرية، وكان من أشد الناس حملاً على العربية، وقد قضى جزءاً كبيراً من حياته في مصر لهذا الغرض، وكان أكثر دقةً من سبقوه في هذا المجال.

ومن الأشياء التي كان يعملها: جمع القصص والطرف بالعامية، وتأليفها وبيعها على الناس بـمبلغ زهيد؛ لكي تتفشى العامية. كما ألف كتاباً بعنوان (قواعد العربية العامية في مصر) فَقَعَدَ فيه اللهجة المصرية بقواعد من عنده^(١).

٢ - وتواصلت هذه الدعوة في أواخر سنة ١٨٨١ م؛ وذلك حين اقترحت مجلة (المقطف) كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة، ودُعِي

١ - مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية، وانظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٥١.

رجال الفكر إلى بحث هذا الاقتراح ومناقشته.

٣- هاجت هذه المسألة مرة أخرى في أوائل سنة ١٩٠٢ م: وذلك حين ألف القاضي الإنجليزي (سلمون ولور) أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز - كتاباً سماه (العربية المحكية في مصر).

وقد وضع للغة القاهرة قواعد ، واقتصر بأن تكون لغةً للعلم والأدب ، ونادي بأن تدرس العربية في قسم الآثار من الجامعات كما تدرس اللغات المدرسة كالأكاديمية.

كما اقترح أن تكون الكتابة بالحروف اللاتينية.

وقد تنبه الناس للكتاب حين أشاد به (المقططف) في باب (التقرير والتقادم) فحملت عليه الصحف مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لا تقصد إلا محاربة الإسلام في لغته.

وفي ذلك الوقت كتب حافظ إبراهيم قصيدة المشهورة التي يقول فيها متحدثاً بلسان اللغة العربية تحت عنوان : (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها) :

وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
عَقِّمْت فلِم أجزع لقولِ عَدَاتي
رجالاً وَأكفاءً وَأذْتُ بناتي
وَمَا ضَقْتُ عنَّ آيٍ بِهِ وَعظَاتٍ
وَتَنْسِيقَ أسماءٍ لِمُخْتَرِعَاتٍ
فَهَل سَأَلُوا الغواصَ عنْ صَدَفَاتِي
وَمَنْكُمْ - وَإِنْ عَرَّ الدَّوَاءُ - أَسَاتِي

رجعتُ لنفسي فاتَّهَمْتُ حَصَاتِي
رموني بعقمِ فِي الشَّبَابِ وَلِيَتَنِي
ولَدَتُ وَلَدَتُ وَلَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي
وَسَعَتُ كِتَابَ اللهِ لِفَظَأَ وَغَايَةَ
فَكَيْفَ أَضِيقَ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنْ
فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلِي مَحَاسِنِي

أخافُ عليكم أن تحين وفاتي
وكم عز أقوام بعز لغات
فيما ليتكم تأتون بالكلمات
يُنادي بوادي في ربيع حياتي
بما تحته من عثرة وشتات
يعزُّ عليها أن تلين قناتي
لهن بقلب دائم الحسرات
حياءً بتلك الأعظم التّخرّات
من القبر يدّيني بغير أناة
فأعلمُ أن الصائحين نعاتي
إلى لغة لم تتصل برواية
لُعابُ الأفاعي في مسيل فرات
مشكّلة الألوان مختلفات
بسطّت رجائي بعد بسطر شّكاتي
وثنيت في تلك الرّموزِ رفاتي
مماثٌ لعمري لم يُقسن بمماثٍ

فلا تَكُونَنِي للزمانِ فـإِنِي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً
أتوا أهلهُم بالمعجزاتِ تضنّـا
أيطرِيَّـم من جانب الغرب ناعبٌ
ولو تزجرون الطير يوم علمتمْ
سقى الله في بطن الجزيرة أعظمَا
حفظن ودادي في البلى وحفظته
وفا خرتُ أهل الغرب والشرقُ مُطْرِقًا
أرى كـل يوم بالجرائد مـزْلـقاً
وأسمع لـلكتاب في مصر ضـجة
أـيهـجـرـنـي قـومـي -عـفـاـالـلـهـعـنـهـمـ
سـرـتـ لـوـثـةـ الإـفـرـنجـ فـيـهاـ كـمـ سـرـىـ
فـجـاءـتـ كـثـوبـ ضـمـ سـبـعينـ رـقـعةـ
إـلـىـ مـعـشـرـ الـكـتـابـ وـالـجـمـعـ حـافـلـ
فـإـمـاـ حـيـاةـ تـبـعـثـ المـيـتـ فـيـ الـبـلـىـ
وـإـمـاـ مـمـاتـ لـاـ قـيـامـةـ بـعـدـهـ

٤- وثارت المسألة من جديد على يد الإنجليزي (وليم ولوكوكس): وكان مهندساً للري في مصر، حيث دعا عام ١٩٢٦ م إلى هجر اللغة العربية، وخطا بهذا الاقتراح خطوة عملية، فترجم أجزاءً من الإنجيل إلى ما سماه (اللغة المصرية). ويعد هذا الرجل من ألد أولئك، وأكثرهم جلداً، حيث جاء إلى مصر عام ١٨٨٢ م ومحث فيها حتى عام ١٩٣٢ م.

وليس له أي هدف إلا محاربة العربية عبر الندوات، والصحف. وكان يشيع أن التخلف في مصر سببه العربية الفصحى، وأن الحل في تركها معللاً بأن سبب تطور الإنجليز هو تخليهم عن اللاتينية إلى الإنجليزية.

ولقد نوه سلامة موسى بـ: ولوكوكس، وأيده، فثارت لذلك ثائرة الناس من جديد، وعادوا المهاجمة الفكرة، والتنديد بما يكمن وراءها من الدوافع السياسية.

«ولكن الدعوة استطاعت أن تجذب نفراً من دعاة الجديد في هذه المرة، فاختذوا القومية والشعبية ستاراً لدعوتهم حين كان مثل هذه الكلمات رواج، وكان لها بريق يعشى الأ بصار، وحين كان الناس مفتونين بكل ما يحمل هذا العنوان في أعقاب ثورة شعبية تخضت عن (الفرعونية) وحين كانوا يتحدثون بما صنع الكماليون من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وترجمة القرآن للغة التركية، وإلزام الناس بالتبعده به، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة، وقد مضوا من بعد في مطاردة الكلمات العربية الأصل ينفونها من اللغة التركية كلمة بعد كلمة»^(١).

٥- ولم يكن الوضع في بلاد الشام أو المغرب العربي بأحسن حالاً من مصر حيال هذه القضية، بل كان أسوأ مما في مصر؛ حيث وُجدت محاولات جادة لطمس العربية ونبذها، ووصمها بالتخلف.

وما يصور لك الحال التي وصلت إليها تونس -على سبيل المثال- تلك القصيدة التي جادت بها قريحة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين التونسي عام

١٣٢٦هـ وعنون لها بـ (حياة اللغة العربية) وجعلها في أسلوب رواية خيالية، فقال^(١):

يَتَقْصِي أَثْرًا بَعْدَ أَثْرٍ
يَتَجَافِي الْغُمْضَ مَا اسْطَاعَ السَّهْرُ
فِيهِ لِلْأَفْكَارِ آيٌّ وَعَبْرٌ
هَبَّ سَمْعِي كَاشِفًا عَمَّا اسْتَتَرَ
فِيهِ بِالْأَحْشَاءِ أَنْفَاسُ الضَّجْرِ
غَرَّةُ الْإِصْبَاحِ أَنْ تَغْشِي السَّحْرُ
وَمَطَايَا السَّعْيِ مَرْقَادُ الْوَطَرِ
بِحَسِيسٍ مِّنْ أَحَادِيثِ السَّمْرِ
فِي لَحَاءِ وَلَجَاجٍ مِّنْتَ شَرِّ
فِي مَزِيجٍ مِّثْلٍ ضَغْبٍ مُعْتَكِرٍ
سَنَّةُ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ غَبَرٌ
فِي لِسَانِ الْعَرْبِ مِنْ فَضْلِ ظَهَرٍ
شَائِهِ وَالْجَهَلُ مَدْعَاهُ الْهَذْرُ
حَكْمًا بَيْنَهُمْ فِيمَا شَجَرٌ
نَهْجَةٌ فَصْحَى وَجَأْشٌ مَسْتَقْرٌ^(٢)

بَصْرِي يَسْبِحُ فِي وَادِي النَّظَرِ
وَسَبِيلُ الرَّشْدِ مَمْهُودٌ مِّنْ
إِنْمَا الْكَوْنُ سُجْلٌ رُسْمَتْ
وَإِذَا أَرْخَى الدَّجْجَى أَسْتَارَهِ
لَسْتَ أَنْسَى جُنْحَ لَيلَ خَفَقَتْ
لَجْ بِي التَّسْهِيدُ حَتَّى أَوْشَكَتْ
قَمْتُ أَسْعَى لِتَقْاضِيِّ سَلْوَةَ
قَمْتُ أَخْطُو فَجْرِيِّ حَادِي الصَّبَّا
وَانْتَنْتَ بِي نَحْوَ نَادِيِّ نَشَبُوا
لَا تَعْيَ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَّا وَغَيْرُ
وَإِذَا الْخَصْمَانُ لَمْ يَهْتَدِيَا
هَذِهِ طَائِفَةٌ تَحْدُو بِمَا
وَجَفَّتْهُ فَئَّةٌ فَاهَتْ ضَمَوا
وَتَرَاضَوا بَعْدَ ذَا أَنْ نَصَبُوا
فَانْبَرِي فِيهِمْ خَطِيبًا بَصَدِي

١- القصيدة موجودة في ديوان الشيخ (خواطر الحياة) ص ١١١-١١٤، وفي كتابه (حياة اللغة العربية) ص ٧٨-٨٤.

٢- الجأش : القلب.

من قوانين الهدى أبهى درز
زهـرـ آدـابـ وـاخـلـاقـ غـرـزـ
وـلـالـيـ الـبـحـرـ لـيـسـتـ تـنـحـصـرـ
فـصـحـاءـ الـعـرـبـ سـيـلـ مـنـهـمـزـ
كـخـصـيـبـ الـأـرـضـ يـحـيـيـهـ المـطـرـ
فيـ مـجـالـ القـوـلـ جـلـىـ وـبـهـزـ
صـيـغـ شـانـ الغـنـيـ المـقـتـدرـ
وـضـعـهاـ فيـ كـلـ مـعـنـىـ مـبـتـكـرـ
أـنـجـبـتـ أـرـضـ قـرـيشـ وـمـضـرـ
مـفـلـقـ يـسـحبـ أـذـيـالـ الفـخـرـ^(١)
مـنـ فـنـونـ الـحـسـنـ بـالـسـهـمـ الـأـغـرـ
يـذـهـلـ الـأـسـمـاعـ عـنـ نـفـمـ الـوـتـرـ
مـاـ سـرـتـ نـظـرـةـ ظـبـيـ ذـيـ حـوزـ
لـةـ أـسـلـوـبـ لـدـيـهاـ مـحـتـكـرـ
مـوـقـعـ السـيـفـ إـذـاـ السـيـفـ خـطـرـ
سـبـبـاـ اوـهـنـ مـنـ حـبـلـ الـقـمـزـ
مـنـ لـغـىـ أـخـرىـ فـأـضـنـاـهـاـ الـخـدـرـ
قـدـنـفـوـهـاـ بـمـوـاتـ مـسـتـمـرـ
حـفـ طـيـعـ الـمـرـءـ لـمـ تـفـنـ الـثـدـرـ

لغة أودع في أصدافها
لغة نهض بمن أغصانها
ضاق طوق الحصر عن بسطتها
فاض من نهر مبانيها على
فَسَرَّتْ روحُ بِيَانٍ فِي اللَّهِ
وابنها المنطيقُ إِنْ رَجَّ بِهِ
يسبك المعنى متى شاء على
ثم لا يُغَوِّزُ السِّيرُ عَلَى
فاسأل التاريخَ يثئلك بما
من خطيبٍ مصنوعٍ أو شاعرٍ
ضررت في كل شري ينتهي
أرشفت من شنب الرقة ما
ولطيف اللفظ يسري في الحشا
وتذيب القلب رعباً بجزا
والكلام الجزل وضعاً واقع
ضلّ قوم سلكوا في حفظها
القمة في نطق قومي أحرفَا
بغضٍ من لم يفقهوا أسرارها
نفروا عنها لمواداً وإذا

ما زكَا تفاحُ لبَنَانَ عَلَى
هَكَذَا فِي نَظَرِ الْأَعْشَى اسْتَوَى
لَفَةً قَدْ عَقَدَ الدِّينُ لَهَا
أَوْ لَمْ يَنْسِجْ عَلَى مَنْوَاهَا
يَا لِقَوْمِي لَوْفَاءَ إِنْ مَنْ
فَاقِيمُوا الْوَجْهَ فِي إِحْيائِهَا

حَسَكُ السَّعْدَانُ فِي ذُوقِ مَذْرٍ^(١)
زَهْرَ رُوضٍ وَهَشِيمَ الْمُحْتَظَرِ^(٢)
ذَمَّةً يَكْلُؤُهَا كَلَ الْبَشَرِ^(٣)
كَلْمُ التَّنْزِيلِ فِي أَرْقَى سَوْرَ
نَكْثُ الْعَهْدِ أَتَى إِحْدَى الْكِبَرِ
وَتَلَافَوْا عَقْدًا مَا كَانَ انتَشَرَ

٦- دخول هذه الدعوة إلى مجمع اللغة العربية: يقول د. محمد محمد حسين رحمه الله بعد أن استعرض تاريخ تلك الدعوة: «ولم يكن ذلك هو كل ما كسبته الدعوة الجديدة التي روجها الإنجليز وعملاؤهم كما رأينا. ولكن أتعجب ما ظهر من ذلك في هذه الفترة وأغربه مما لا يخطر على البال هو أن الدعوة قد استطاعت أن تتسلل متلصصة إلى الحصن الذي قام لحماية اللغة العربية الفصيحة، والمسمى (بمجمع اللغة العربية).

فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن (اللهجة العربية العامية) كتبها عضو من أعضاء هذا الجمع اسمه عيسى إسكندر الملعوف. وإن ما يدعوه إلى العجب حقاً أن يختار الجمع لعضويته رجلاً معروفاً بعاداته الصريح للغة العربية، وهو عداء عريق ورثه عن أبيه الذي أعلنه وجهر به حين

١- حسك السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل، وله شوك تشبه به حلمة الثدي، فيقال لها: السعدانة، والمذر: الخبيث، والفاسد.

٢- الهشيم: النبات اليابس المتكسر.

٣- هكذا في الأصل، ولعل الصحيح: يكلوها رب البشر.

سجله في مقال له نشرته (الهلال) سنة ١٩٠٢ م دافع فيه عن اللهجات السوقيّة، وقال : إنه يشتعل بضبط أحوالها وتقيد شواردها؛ لاستخدامها في كتابة العلوم. وقد أكد هذا المقال أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أسباب تخلفنا الثقافي.

وزعم أنه من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية، وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية -على اختلاف لهجاتهم- من العربية الفصحى.

كما أنه زعم أن تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرر لها؛ لأن هناك مسلمين كثيرين لا يتحدثون بالعربية ولا يكتبون بها، ولأن اللغة التي يتكلّمها المسلمون هي غير العربية الفصيحة على كل حال^(١)، وقال عن كل ما يطالب به هو وضع قواعد هذه اللغة التي يتكلّمون بها فعلاً وواقعاً وختّم المقال بقوله :

«وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عِقالهم طالبين التحرر من رقّ لغة صعبة المراس قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمنية وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً، بل أصبحت ثقلأً يؤخرهم عن الجري في مضمار التمدن، وحاجزاً يصدّهم عن النجاح...»

وليأمل بأن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها، وبالاخص جريدة الهلال الغراء التي هي في مقدمتها.

١- هذا غير صحيح يكذبه الواقع الصريح، والدليل على مبaitته للحقيقة أن العرب إذا اجتمعوا في مؤتمر لم يكدر لهم بعضهم عن بعض إلا إذا تكلّموا العربية الفصيحة.

وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح ، وهو غاية أملٍ ومنتَهٍ رجائًّي ». .

هل تعرف عداءً للعربية التي لم يُنشأ هذا المجمع إلا لحمايتها أعرقَ من هذا العداء الصريح في الولد وأبيه على السواء؟ فلأي شيء اختير هذا العضو وأمثاله من المعروفين بالكيد للعربية وللعرب؟.

وليس هذا هو كل ما يدعو للعجب من أمر هذا المجمع ، فقد تقدم عضو من أبرز أعضائه وهو عبدالعزيز فهمي - ثالث الثلاثة الذين بني عليهم الوفد المصري- في سنة ١٩٤٣ باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وشُغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلال ثلاث سنوات ، ونُشر في الصحف ، وأُرسل إلى الهيئات العلمية المختلفة ، وخصصت الحكومة جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية.

أليس يدعو ذلك إلى أن نتساءل : هل أنشئ هذا المجمع لينظم جهود حُماة العربية ، أو أنشئ ليُكسيب الهدم والهدمان صفةً شرعية ، ولوضع على بيت حفار القبور لوحة نخاسية كُتب عليها بخط عريض (طبيب) وعلى وكر القاتل السفاح اسم (جراح)؟!

أليس يرضى الاستعمار عن مثل اقتراح المعلوم واقتراح عبدالعزيز فهمي؟ أليس يرضى عنه العضو الإنجليزي الموقر هـ.أ.ر.جب الذي يقرر في كتابه (إلى أين يتوجه الإسلام) عند كلامه عن الوحدة الإسلامية أن من أهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل فيسائر العالم الإسلامي ، واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة ، والاشتراك في كثير من الكلمات والاصطلاحية العربية الأصل؟

أليس يرضى الاستعمار الفرنسي الذي حارب العربية الفصيحة في شمال إفريقيا أعنف الحرب ، وضيق عليها أشد التضييق ، ووضع مستشرقوه مختلف الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعدها لإحلالها محل العربية الفصيحة؟

أليس يرضى عنه المستشرق الألماني كامفماير الذي يقرر في شمataة أن تركيا لم تعد بلداً إسلامياً ، فالدين لا يُدرَّس في مدارسها ، وليس مسموحاً بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس ، ثم يقول : « إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية »^(١) .

المبحث الثاني: الدعوة إلى العامية

أولاً: مقدمة لهذه الدعوة:

هذه الدعوة أثارها -كما مر- الألماني سبيتا سنة ١٨٨٠م، ثم المقططف سنة ١٨٨١م، ثم القاضي الإنجليزي ولمور سنة ١٩٠٢م، ثم المهندس الإنجليزي وليم ولوكوكس سنة ١٩٢٦م.

وأثارها غيرهم كأحمد لطفي السيد الذي كتب عام ١٩١٣ سبع مقالات في موضوع تصوير اللغة العربية، ونشرها في صحيفة الجريدة، وذهب فيها إلى أن الطريقة الوحيدة لإحياء اللغة العربية هي إحياء لغة الرأي العام من ناحية، وإرضاء لغة القرآن من ناحية أخرى، وذلك باستعمال العامية في الكتابة.

وكالب مارون غصن الذي أصدر كتاباً سماه (درس ومطالعة) تنبأ فيه بموت العربية الفصحى، داعياً إلى الكتابة بالعامية السورية.

وكأنيس فريحة في كتابه (نحو عربية ميسرة) دعا فيه إلى أن يصبح لنا لغة واحدة هي لغة الحياة، معتبراً أن الفصحى لغة أجيال مضى عهدها، وهي وبالتالي عاجزة عن أن تعبّر عن الحياة، بخلاف العامية؛ فهي - كما يزعم - لغة حية متطرورة نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طيّعة للفهم والإفهام^(١).

كما أثارها بعض الكتاب، وبعض الصحف والمجلات من خلال ذلك، ومن بعد ذلك.

١- انظر فقه اللغة. د. إميل يعقوب ص ١٥٣.

«ولا يزال يثور حتى الآن بين حين وحين، فيهيج بعد سكون، ثم يعود إلى الكمون، كما تتحصن الجراثيم داخل أغلفتها وأكياسها التي تحيط نفسها بها حين تأنس من قوى الجسم الدفاعية صلابة وعناداً، متطرفة سنوح الفرصة لهجوم جديد في نوبة تعب أو إجهاد أو اضطراب»^(١).

ثانياً: أساليب الدعوة إلى العامية^(٢):

الذي يستعرض ما كتبه الكتاب في ذلك يشعر أن هناك هدفاً واحداً يسعى إليه أصحابه من كل وجه وبكل وسيلة، ألا وهو: محاربة الفصحى، والخلص منها. أما الأساليب فمتنوعة، وتأتي على أخاء شتى فمن ذلك:

- ١ - تارة يدعون إلى العامية دعوة صريحة.
- ٢ - وتارة يدعون إلى التوسط بين الفصحى والعامية.
- ٣ - وتارة يدعون إلى فتح باب التطور في اللغة، والاعتراف بحق الكتاب في تغييرها كيما كان التغيير.
- ٤ - وتارة يدعون إلى مسخ اللغة في بنيتها، وقواعدها، وتبويتها، ومصطلحها باسم التهذيب والتطوير والتسهيل -كما سيأتي-.
- ٥ - وتارة يكتفون بالدعوة إلى دراسة اللهجات والعنایة بآثارها، وحصر مفرداتها وأساليبها، ووضع القواعد لها.

إذا سئلوا عن هدفهم من هذه الدراسات قالوا: الأوريون يفعلون ذلك.

١- الاتجاهات الوطنية ٣٦٨-٣٦٩.

٢- انظر الاتجاهات الوطنية ٣٦٩/٢ ومقالات في اللغة والأدب ص ٩٤-٩٦.

فإذا قيل لهم : ما النفع الذي يُرتجى من وراء هذه الدراسة؟

قالوا : إنها دراسة العلم للعلم ، إنها لذة المعرفة المجردة من كل غرض.

هذا ما يقولونه ، وهذا ما يروج على بعض الناس.

ثالثاً : حجج الداعين إلى العامية : يقول د. محمد محمد حسين رحمه الله :

«حجج أعداء اللغة العربية في كل حال لا تتجاوز الكلام عن صعوبة تعلم اللغة العربية من ناحية ، والقول بعجزها عن تأدية أغراضها الأدبية من ناحية أخرى . وربما أضيف إلى هذين السببين سبب ثالث أكثر دعاء الفرعونية من الكلام عنه في صدر هذه الفترة التي نورخها ، وهو تصير اللغة .

فاللغة الفصحي - على حد تعبير أحدهم . «تعثر وطنينا المصرية و يجعلها شائعة في القومية العربية ، فالمتعمق في اللغة الفصحي يُشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد ، بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر ». وقد ظل كثير من أعداء العربية هؤلاء - والإنجليز منهم خاصة . يحلمون بتأييد أصحاب السلطان أو بتأييد الصحف ، ويررون أن ذلك هو أقرب الطرق لتنفيذ مؤامراتهم الهدامة .

وكانوا يجيئون على اعتراض المعارضين بضياع التراث القديم بالتلطيل من قيمة هذا التراث تارة ، ويأمkan ترجمة الصالح منه إلى العامية الجديدة تارة أخرى .

بينما يردون على اعتراض المسلمين بأن علماء الدين مكلفوون بدرس كتبه وتفسيرها .

وهذا هو الجزء الأكبر من عملهم إن لم يكن كله ، وللمسلمين أسوة بالنصارى

من اللاتين والأروام، فإن اللاتين يقرؤون إنجيلهم باللغة اللاتينية والأروام باليونانية، أو المسلمين من الفرس والأتراك؛ فإنهم يقرؤون القرآن بالعربية. وأما كتب الفقه فقد صار العدول عنها إلى النظام، ولا مانع من كتابة النظام بلغة العامة ليفهمه الخاصة وال العامة.

وربما زعموا أن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه هي دراسة عالية لطبقة خاصة، وأن الأدب العربي القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم. وهذه الخاصة تستطيع أن تدرسه كما يدرس طلاب الأدب في الجامعات الراقية أدبي اليونان واللاتين.

وحاول بعض أعداء العربية أن يدعموا مزاعمهم ويؤثروا على قرائهم بالأسماء الرنانة، وباسم الوطنية والشعبية»^(١).

المبحث الثالث: الدعوة إلى تيسير النحو

وهذه الدعوة قريبة من الدعوة إلى العامية، والحديث عنها سيتناول الجوانب التالية:

أولاً: أسماء هذه الدعوة: هناك أسماء تعرف بها هذه الدعوة، ومنها:

١- الدعوة إلى تيسير النحو - كما مر..

٢- إصلاح العربية.

٣- إحياء النحو.

٤- تبسيط قواعد النحو والصرف.

ثانياً: سبب ظهور هذه الدعوة: هذه الدعوة ظهرت عندما تبين لدعوة العامية، وأعداء العربية أن المجوم المباشر على العربية يثير الناس، ولا يجد له رواجاً؛ فعمد أولئك إلى طريق أخرى غير مباشرة، ومنها هذه الدعوة.

ومن هؤلاء المنادين بتلك الدعوى من كانت مقاصده حسنة؛ حيث يرى أن التيسير قد يعين على فهم النحو والصرف وغيرهما من علوم اللغة كالبلاغة. ولكن هناك من كانت لهم أغراض أخرى، ألا وهي مهاجمة العربية عن هذه الطريق غير المباشرة.

ثالثاً: أول من نادى بهذه الفكرة: رعا يكون أول من نادى بها ابن مضاء القرطبي ت ٥٩٢هـ وذلك عندما ألف كتابه المشهور (الرد على النحاة).

وهو كتاب صغير جداً، وخلاصته أنه دعا إلى إلغاء بعض القواعد والقضايا التحوية، وأودعه جملة من آرائه المناهضة لنحاة العربية، وبخاصة نحاة البصرة،

محاولاً أن يرد بعض أصول النحو، وتخليصه من العلل، وكثرة الفروع والتأويل، مقتفياً أثر أمير الظاهرية (يعقوب بن يوسف) فأخذ يطبق ظاهريته على النحو^(١). ومن أول هذه القضايا قضية العامل، أي العامل المعنوي أو اللفظي؛ فطالب ابن مضاء بعدم الاهتمام بالعامل، وحمل عليه، وطالب النحاة أن يتخلصوا منه، ويلغوه، ونفي العلل والقياس في النحو كما رفضها في الفقه. فهو يرى أن نظرية العامل هي التي عَدَّت النحو بما أوجدت فيه من إفراط في التقديرات التي لافائدة من ورائها.

أما العلل فقد قبل بعضها، ورفض بعضها الآخر، وهي عنده نوعان؛ الأول: أطلق عليه (العلل الأول) والثاني: أطلق عليه (العلل الثاني والثالث). فالعلل الأول: هي التي ترشدنا إلى معرفة كلام العرب بالنظر لا بالذهن بمعنى أنها هي القوانين المستتبطة من كلام العرب، والأنظمة التي بها يصح نطق الكلام. وأما العلل الثنائي: فهي المستغنی عنها، والتي يجب أن تسقط في نظره. يقول: «وما يجب إسقاطه من النحو العلل الثنائي والثالث، وذلك مثل سؤالك عن (زيد) من قولنا (قام زيد) لم رفع؟ فيقال: لأنـه فاعـلـ، وـكـلـ فـاعـلـ مـرـفـوعـ، فيـقـولـ: ولـمـ رـفـعـ الـفـاعـلـ؟ فالـصـوـابـ أـنـ يـقـالـ لـهـ: كـذـاـ نـطـقـتـ بـهـ الـعـربـ»^(٢). وبهذا يكون ابن مضاء أول من نادى بتيسير النحو، لكن مقاصده لم تكن كمقاصد الذين يطعنون في اللغة، ويريدون إقصاءها.

١- انظر مقدمة الرد على النحاة د. شوقي ضيف ص ١٧-١٨ ، وظاهرة قياس الحمل ص ١٢٩-١٣٠ .

٢- انظر الرد على النحاة لابن مضاء ص ١٣٠ ، وانظر ظاهرة قياس الحمل ص ١٣٢ .

رابعاً: دعاوى المنادين إلى تيسير النحو: يشير المنادون بتيسير النحو دعاوى عديدة، منها ما هو مقبول، ومنها مردود، ومنهم -كما مر- من دعاه إلى ذلك حسن النية، ومنهم من قاده إلى ذلك فساد الطوبية.
وفيما يلي نبذة موجزة لتلك الدعاوى :

- ١- الدعوة إلى تغيير الأساليب والكتب : بحيث تزول كتب جديدة ملائمة، وتنقى الأمثلة والموضوعات، وتستخرج القاعدة من الأمثلة.
- ٢- الاستغناء عن التقدير والتأويل : وهذا ما يسمى بالنحو الوصفي، أي وصف الظاهرة الموجودة، مثل يضرب، ويسعى، الأول مرفوع بضممة ظاهرة، والثاني مرفوع بضممة مقدرة.

وهؤلاء الذين ينادون بالتيسير يقولون: إن تقدير الحركات لا بد أن يكون للمراحل المتقدمة، أما المراحل المتوسطة - مثلاً - فلا يقال لهم ذلك؛ لأن ذهن الطالب قاصر عن معرفة التقدير.

٣- الدعوة إلى حذف أبواب الاشتغال والتنازع: فيرون أنه لا بد من حذفها في جميع المراحل ما عدا الكليات.

٤- أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب، وفي البناء، وأن يكتفى باللقب البناء.

٥- إلغاء الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً: فمثلاً قول: (زيد قام) الفعل هو المحمول، ولا ضمير فيه، وليس بجملة كما يعدد النحاة، وهو كمثل (قام زيد). هذه بعض المطالب التي ينادي بها، وقد بسطت في الكتب التي تناولت

ذلك ، وتناولها بعض العلماء بالرد والنقض .
ومن هؤلاء الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها)؛ حيث تولى الرد على تلك الدعاوى^(١).
وسيأتي مزيد بيان شيء من ذلك عند الحديث عن الرد على تلك الدعاوى .

١ - انظر دراسات في العربية وتاريخها ص ٢٣٩-٢٥٨.

المبحث الرابع: الدعوة إلى تيسير الخط العربي

هذه الدعوة ظهرت في مطلع القرن العشرين الميلادي، ووُجِدَت في كتاب القاضي الإنجليزي ولور عن اللغة المصرية الذي اقترح فيه إلى جانب الأخذ بالعامية كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية، وقد مرت الإشارة إليه.

وقد لقي هذا الاقتراح اعتراضاً، وهاجم الناس صاحبه هجوماً شديداً، كما هاجموا من قبل اقتراحاً سابقاً مزدوجاً يتناول اللغة والكتابة لـ: لطفي السيد.

وسكتت الفتنة حتى جاء مصطفى كمال أتاتورك، فحمل الناس على ما حملهم عليه من الأضاليل، وكان من جملة ما ساهمهم من الأباطيل استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، فتجدد كلام الناس في إصلاح الخط، وخاضت الصحف فيه.

ومن خاض في ذلك الأب أنسستان الكرملي ، وعبد العزيز فهمي باشا. وهذه الدعوة كغيرها؛ حيث تبدأ ببدايات طيبة، ثم توسيع بعد ذلك وتدخل في متأهات لا قبل للداعين إليها بها^(١).

والذين نادوا بذلك يزعمون أن من أكبر الصعوبات في العربية صعوبة كتابتها؛ وذلك لأسباب عديدة منها تشابه الحروف كالدال ، والذال ، والراء ، والزاي. ومنها نقط الحروف الذي قد يتسبب -كما يزعمون- في التصحيف ، والغلط.

١- انظر الاتجاهات الوطنية ٢-٣٧٦/٢، ٣٨٢-٣٧٦، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢٣١-٢٥٣.

ومنها الضبط والحركات لبني الكلمات، إلى غير ذلك من الأسباب التي عللوا بها صحة دعواهم.

ولقد وصل ذلك إلى المجمع الذي كان من أهدافه تيسير العربية.

وبعد خوض طويل ظهرت عند الداعين إلى ذلك فكرة إهمال الحروف العربية، وإحلال الحروف اللاتинية محلها.

وكان عبدالعزيز فهمي أكثر المتحمسين لهذه الفكرة، وتقدم للمجمع باقتراح ظل سنوات يناقش هذا الاقتراح، وانتهى إلى اطراح ذلك الاقتراح. ومن هؤلاء علي الجارم؛ حيث تقدم باقتراح، كما أن المجمع أعلن مسابقة لهذا الغرض عام ١٩٤٤م وأعطى جائزة مقدارها ألف جنيه لمن يقتنع بالمجمع باقتراحه، فانهالت بعد ذلك الاقتراحات.

وأخيراً سلموا بأنه ليس بالإمكان أحسن مما كان، وأن أي تغيير في الحروف سيترتب عليه إشكالات كبيرة سيرد ذكر شيء منها عند الحديث عن الرد على دعاوى العامية، وتيسير النحو والخط في الفقرة التالية^(١).

١- من هؤلاء د. علي عبدالواحد وفي: حيث كان متھمساً لفكرة تيسير الخط، وقد ساق عدداً من الاقتراحات في كتابه فقه اللغة ١٩٥٤-٢٠٤، إلا أنه في آخر أمره تراجع عن ذلك؛ حيث قال في هامش إحدى أخرىيات طبع كتابه الأنف الذكر ص ٢٠٤ ما نصه: «كان هذا موقف في الأربعينيات، ولكنني الآن (ديسمبر ١٩٧٢م) لعدة اعتبارات من أهمها ما يوجد بين هذه الطريقة والطريقة الحالية من خلاف غير يسير - أصبحت من يثرون إبقاء الرسم العربي على حاله مع الاكتفاء بشكل جمعي الكلمات للمبتدئين، والاقتصار على شكل الكلمات التي تثير للبس لغير المبتدئين».

ولقد تصدى لتلك الدعاوى جمع كبير من العلماء منهم محمود شاكر رحمه الله^(١).
 بل إن من المستشرقين من تصدى لتلك الدعاوى ، وبين عوارها ، كالمستشرق الإيطالي نلينو.

١ - انظر الرسالة ، السنة الثانية عشرة ، عدد ٥٦٢ إبريل ١٩٤٤ م ص ٣٠٨-٣١٠ ، وانظر جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر جمعها وقرأها وقدم لها د.عادل سليمان ٢٦٤-٢٥٨/١ في مقال عنوانه (الحرف اللاتيني والערבية) وهو رد على مقال لعبد العزيز فهمي.

المبحث الخامس: الرد على دعاوى العامية، وتبسيير النحو، والخط العربي

لقد أبطل المدافعون عن العربية كل مزاعم خصومها، بالرغم من أن كثيراً منها لا يحتاج إلى إبطال؛ لأن فساده يغني عن إفساده، وتصوره كافٍ في الرد عليه.

ومن تلك الردود التي تبطل جميع المزاعم ما يلي :

١- أن المسلمين لا يمكن أن يتخلوا عن العربية، أو يستغنوا عنها: لأنها لغة دينهم، وعباداتهم، من صلاة وحج، وذكر، ودعاء، ونحو ذلك.

وبها يتمكنون من قراءة القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، وفهم كلام العلماء الذين فسروا القرآن، وشرحوا الحديث. فالتخلي عن اللغة إذان بالتخلي عن الدين.

٢- أن اللغة العربية سهلة ميسورة: لا كما يظنه أولئك؛ فهي ليست غريبة حتى على أفهم العامة بدليل أن خطيب الجمعة يخطب، ويحضر خطبته الفئام من العامة، بل من لا يقرؤون ولا يكتبون.

ومع ذلك فهم يُسيغون كلامه، ويفهمون ما يقول.

وكذلك العالم والمفتى يتكلم أمام الناس خاصهم وعامهم سواء كان كلامه مباشراً، أو عبر وسائل الإعلام؛ فيوصيهم، ويجيب عن أسئلتهم مهما كانت وتعتقدت، كل ذلك بلغة عربية فصحى.

ومع ذلك يفهمون كلامه على اختلاف طبقاتهم وبلدانهم.

بخلاف ما إذا تكلم بالعامية؛ فإن معظمهم لا يفهم ما يقول، وهذا شيء

مشاهد، ولا ينكره إلا مكابر.

فالمحاطبون بالعربية يفهمون عمن تكلم إلا إذا أراد التعمّر، واستجلاب الغريب.

٣- أن الدعوة إلى العامية تزيد في الإشكال والتعقيد: لأن العاميات كثيرة متعددة؛ فأي عامية يدعى إليها، وهي المصرية؟ أم العراقية؟ أم الشامية؟ أم المغربية؟ أم الحجازية؟ أم عامية الجزيرة؟ أم غيرها من العاميات؟

بل إن البلد الواحد قد يوجد فيه أكثر من لهجة؛ فأيهما يختار؟ وكم يحتاج الناس من الجهد العظيم كي تعم تلك اللهجة؟ وهل يُضمن لها النجاح؟ وهل أفلحت تلك الدعوات إلى بعض العاميات؟
لعل الجواب واضح.

٤- أن هذه الدعوة سبب لتفريق المسلمين، وتشتيت شمل الناطقين بالعربية: فهم في وقت أحوج ما يكون إلى جمع الكلمة، وتوحيد الصف.
ولا ريب أن اللغة الواحدة من أعظم ما يعين على ذلك؛ فهل يكون العلاج بأن يزدوا و هناً على و هن بتفریقهم بالعاميات؟

فكـل دعـوى تـنادي بالـعامـية إـنـما هـي ذـرـيـعة لـزيـادـة الفـرقـة، وـتـفـرـيقـ الشـمـلـ.

٥- أن الضعف في اللغة ليس سببه اللغة: بل سببه الكسل، والإهمال في تعلمها؛ فمن كانت هذه حالة التمس المعاذير؛ ليسوغ ضعفه وجنه.

٦- أن الواقع الملموس يكذب دعاوى المدّامين: والتاريخ أصدق من كل ما يكتبون.

فقد استطاعت العربية البدوية أن تصادر الحضارة في بغداد، ولم تنهزم أمام الفارسية أو اليونانية أو التركية، استطاعت أن تصادرها في الأندلس بعد أن فرضت نفسها على البيئة الجديدة، واستطاعت أن تصادر ألواناً من الحضارات في خلال ثلاثة عشر قرناً أو أكثر في بيئة متباعدة أشد التباين، وصمدت أمام الغارات المدمرة خلال الاحتلال الأجنبي الطويل.

٧- أن قواعد النحو التي يزعمون أنها معقدة استطاعت أن تعيش أكثر من ألف سنة: فهي الوسيلة التي صانت اللغة، وقربت بين اللهجات، وستظل كذلك. وهي التي أنتج الناس خلالها في مختلف الأمصار العربية وغير العربية ثروة من الكتب العربية التي لا تُحصى ولا يزال لها أبلغ الأثر في الإنسانية جماء.

٨- خيرية الجيل الذي نشأ على توقير اللغة: فالجيل السابق الذي نشأ على توقير اللغة وقواعدها خير من هذا الجيل الذي لا يزال يتقلب بين مشاريع للتيسير والتبسيط التي قد تحتاج إلى ألف عام لكي تثبت أنها لا تقل عن القواعد التي يقترح الاستغناء عنها، فضلاً عن أن تفضّلها، أو ترجم علىها.

ثم ليسأل العقلاً أنفسهم من بعد: كيف صحت ألسنة المعاصرين الذين يكتبون دعاوهم الفاسدة نفسها بالعربية الفصحى؟

ولو طلب إليهم أن يصوغوها بالعامية ما استطاعوا؛ لأنها غير مؤهلة للتعبير الدقيق، والأسلوب الحكيم المسؤول الذي يقرؤه أقل الناس حظاً من الثقافة في الصحف، فلا يغيب عنه منها شيء.

٩- أن الدعوة إلى العامية مدعوة لنصف التراث: فالتراث إنما كتب بالعربية،

وتلك الدعوة من أعظم معاول الهدم لذلك التراث العظيم الهائل.

١٠- أن الدعوة إلى التقريب بين لهجات العربية باطلة : لأن الدراسات العلمية لا سلطان لها على السن عامة الناس؛ لأن الخلاف فيه ظاهرة طبيعية ما دام في حدوده المعتدلة المألوفة التي تميز الأفراد والبلاد والشعوب بعضها من بعض.

وقد دامت هذه الظاهرة قرونًا طوالاً ولم يهدد ذلك سلامة اللغة؛ فمنذ القرون الأولى كان الناس يميزون بين لهجة العراق، وأهل الشام، وأهل مصر، وأهل المغرب، وأهل الbadia.

ولكنهم كانوا -وما يزالون- يتباهمون بالفصحي.

١١- أن كثيراً من دعاة العامية ويسير النحو والخط إنما ينادون بمحاكاة اللغات الأخرى للأوربية : يقول د. محمد محمد حسين رحمه الله : «يُزعمون أن قواعدها صعبة معقدة، وفي اللغات الأوربية الحية ما هو أشد منها صعوبة وتعقيداً كالألمانية. ويقولون إن الشاذ فيها من غير القياسي كثير، والشذوذ في صيغ الأفعال وفي صيغ الجمع والتأنيث وفي المصادر يملأ اللغات الأوربية كلها، والشواهد عليه لا تخصى.

وقالوا: إن الكتابة فيها غير ميسرة مع أن مطابقة الصوت المسموع للصورة المقرؤة هي في العربية أوضح منها في الإنجليزية وفي الفرنسية اللتين يتقنهما معظم المتذمرين وصانعي الفتن من الهدامين.

فالفرنسي يُسقط من النطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان والإنجليزي يفعل في مثل حرف (H) و (O) في (Honour) وحرف (Gh) وفي (through) وفي (Right).

وهو بعد ذلك يكتب الصوت الواحد في ست صور أحياناً مثل الياء التي تصور الكسرة الطويلة في مثل (كبير).

إن هذا الصوت يكتب في الإنجليزية على ست صور متعددة لا يميز إحداها عن الأخرى منطقاً أو قواعد، وهي : (y - e, e - e, ie, ei, ea, ee) بينما هو لا يكتب في العربية إلا ياءً.

وحرف (ك) لا يكتب في العربية إلا كافاً، وهو يكتب في الإنجليزية على صور عدة هي (ch ,q, ck, k, c).

وحرف (ف) لا يكتب في العربية إلا فاءً، وهو يكتب في الإنجليزية (ph,f,gh). وقس على ذلك ما لا سبيل إلى إحصائه من الأمثلة العديدة في مختلف الأصوات.

ثم إن لكل صوت في العربية حرفاً واحداً يصوّره، وبعض الأصوات اللغوية لا يصوّرها إلا حرفان في الإنجليزية، مثل حرف (ش) العربي، الذي يقابله في الإنجليزية (sh)، وحرف (ذ) الذي يقابله حرفاً (th).

وميزة ثالثة للكتابة العربية، هي أن الحرف لا يُقرأ إلا على صورة صوتية واحدة، وليس كذلك الحرف الإنجليزي. فحرف (س) ينطق (س) حيناً، وينطق (ك) حيناً آخر.

و(th) ينطق (ذ) حيناً، وينطق (ث) حيناً آخر. و (g) ينطق جيماً قاهرية تميل نحو الكاف، وينطق جيماً ممعطشة حيناً آخر»^(١).

إلى أن قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «أيقال بعد ذلك كله : إن العربية معقدة نحواً أو كتابةً ، والذين يشكون من صعوبتها ، أو يتشاركون يتقنون ما هو أكثر منها تعقيداً ولا يخطئون فيه؟ بل إن منهم من يتقن لغتين أو ثلاث لغات أجنبية معقدة في بعض الأحيان يقيمونها ويخجلون أن يخطئوا فيها حين لا يقيمون لغتهم ، ولا يخجلون أن يخطئوا فيها ، بل ربما فاخروا به وقالوا ساخرين : (نحن لا نتكلم لغة سيويه). ولعل كثيراً منهم لا يعلمون أن (سيويه) كان فارسي الأصل ! . ويقولون : إن اللغات الأوربية قد تطورت ، فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم.

وهناك فرق بين (التطور) و(التطویر) تطور اللغة بأن تفرض عليها قوانين قائمة هذا التطور.

أما التطوير فهو سعي مفتعل إلى التطور ، هو إرادة إحداث هذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه.

والتطور لا يُسعى إليه ، ولا يُصنع ولكنه يَفْرُضُ نفسه؛ فلا نجد بدأ من الخصوص له.

وأي نعمة وأي مزية في تطور اللغات الأوربية حتى نسعى إلى افتعال نظيره في لغتنا؟

إن هذا التطور كان نكبة على أصحابه قطعاً لهم أمّا بعد أن كانوا أمة واحدة ، فما زالوا في خلاف وحروب منذ ذلك الوقت.

ثم إنه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحده بالموت ، بل هو لا يزال يقضى بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت ،

حتى ما يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة (شكسبير) الذي مات في القرن السابع عشر بينما لا يستطيع الإنجليزي المثقف أن يقرأ ما قبل (شكسبير) مثل (تشوسر)، ولا يقدر عليه إلا قلة من المتخصصين. ومثل ذلك الفرنسية والإيطالية وسائر اللغات الأوروبية الحديثة.

أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة فنقرأ القرآن، ونفهمه إلا قليلاً مما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني فيأغلب الأحيان، ونقرأ رسائل الجاحظ وأغاني الأصفهاني فلا نكاد نحس فارقاً بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين. فلماذا نسعى إلى أن نُفقد أنفسنا هذه المزايا التي لم تفرض علينا فقدانها ضرورة من الضرورات؟

لماذا خسدا أوروبا التي ابتليت بذلك على مصابها، وصنع صنيع اليهود الذين قالوا النبي لهم حين مروا بقوم من الكفار عاكفين على أصنام لهم يعبدونها: «اجعل لنا إلهًا كَمَا لَهُمْ أَلِهَةٌ» ^(١) الأعراف : ١٣٨ .

١٢ - أن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية: فلو أردنا استبدال الحروف اللاتинية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتинية الحالية؛ لكي تعبّر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف (ج ح ش ط ظ ص ض ع غ) ولا حتّجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة والمدودة وبين الحروف المقصورة.

١٣ - أن الخط العربي يمتاز بميزة فذة: فهو قريب مما يسمى بالاختزال؛ فليس

١- الاتجاهات الوطنية ٢/ ٣٦٧-٣٦٨ ، وانظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٦٧-١٧٢ .

بحاجة إلى اختزال؛ لأن طبيعته تغنيه عن ذلك.

١٤ - أن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة: فما مصير الكنوز العظيمة من كتب العلم، والأدب وغيرها من المخطوطات التي لم تنشر بعد، ما مصيرها وهي مكتوبة بالخط العربي؟

وهل ستفي الحروف اللاتينية بالغرض؟ وكيف سيكتب القرآن الكريم؟.
ثم إن ذلك سيؤدي إلى زوال فنون الخط العربي؛ ففي الخط العربي مزية قل أن توجد في خطوط الأمم الأخرى، وهي إمكانية زخرفته على وجوه عدّة.
ولقد استطاع الكاتبون الجودون أن يستخرجوا منه أنماطاً جمالية غاية في الإبداع؛ فما مصير ذلك كله؟

وإذا أراد أعمامي أن يتعلم العربية فسيواجه حروفًا عربية غريبة عليه، وحروفًا لاتينية معدّلة؛ فكيف سيتعلم -إذا-؟

أسئلة يغنى تصورها عن الإجابة عنها.

خاتمة البحث وخلاصته

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، وبعد :
ففي خاتمة هذا الكتاب ، وبعد التطواف في أبوابه ، وفصوله ، ومباحثه هذا
إجمال لأهم ما ورد فيه.

- ١ - يُعرَّف فقه اللغة باعتبار مفرداته بأن :
 - أـ. الفقه : هو العلم بالشيء ، والفهم له ، والفتنة فيه.
 - بـ. واللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.
وتعرف - أيضًا - بأنها كل لفظ وضع معنى.
 وتعرف - كذلك - بأنها معنى موضوع في صوت.
- ٢ - يُعرَّف فقه اللغة باعتبار تركيبه بأنه : العلم الذي يعني بفقه اللغة ، وإدراك
كنهها ، ودراسة قضياتها ، وموضوعاتها.
- ٣ - هناك مصطلح مرادف لمصطلح فقه اللغة ألا وهو : علم اللغة.
- ٤ - لدراسة فقه اللغة أهداف ، وثمرات ، وغيارات منها :
أنه باب عظيم من أبواب العلم.
ومنها : الوقوف على شيء من بديع صنع الله ، والتمكن من النطق السليم ،
والاعتزاز باللغة ، وسد الحاجة ، ومواكبة التطور.
- ٥ - للبحث اللغوي مناهج مختلفة أشهرها أربعة :
أـ. المنهج الوصفي : وهو بحث ظاهرة لغوية معينة لفترة محددة.

- بـ- المنهج التارينجي : وهو الذي يبحث في قضية لغوية من حيث تطورها، وتغيراتها من حيث التاريخ.
- جـ- المنهج المقارن : ويعني المقارنة بين لغتين ، أو أكثر من اللغات التي تنتهي إلى مجموعة واحدة.
- دـ- المنهج العام : وهو المنهج الذي يفيد من المناهج السابقة ، ويحاول إيجاد قواعد عامة تصدق على أكثر اللغات.
- ٦- لفقة اللغة علاقة بالعلوم الأخرى؛ فله علاقة بالعلوم الشرعية عموماً، وله علاقة بعلم الطب ، وعلم النفس ، والتاريخ ، والجغرافيا.
- ٧- يرجع اهتمام الإنسان باللغة إلى عصور سحيقة؛ فقد نُقل عن كثير من الأمم والشعوب عنایتهم باللغة ، واشتغالهم بقضاياها ، وظواهرها.
- ٨- لم يؤثر عن العرب قبل الإسلام إلا عنایتهم بالشعر ، والخطابة ، وإنما بدأ اهتمامهم باللغة وعلومها بعد ظهور الإسلام.
- ٩- يكاد يكون القرن الثاني الهجري بداية النشاط العلمي الفعلى لجمع اللغة والتأليف فيها.
- ١٠- ألفت في القرن الثاني مؤلفات عظيمة ، وأعظمها كتاب (العين) للخليل ابن أحمد ، وكتاب سيبويه.
- ١١- يعد القرن الرابع الهجري عصر ازدهار العلوم.
- ١٢- كانت البداية الحقيقة لفقة اللغة ، وظهوره كعلم مستقل على يد عالمين من علماء اللغة الكبار في القرن الرابع وهما أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ خصوصاً

في كتابه (الصاحببي).

والآخر أبو الفتح عثمان بن جني خصوصاً في كتابه (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب).

١٣ - هناك مؤلفات كثيرة في فقه اللغة في القديم والحديث.

١٤ - شغلت قضية نشأة اللغة الإنسانية المفكرين على مر العصور، وتصدى للبحث عنها كثير من العلماء، والفلسفه، والتكلمين، واللغويين، ولم يجمعوا على قول واحد، بل ذهبوا في البحث مذاهب شتى، وتوصلوا إلى نظريات عديدة أشهرها أربع هي :

أ- نظرية التوقيف والإلهام.

ب- نظرية التواضع والاصطلاح.

ج- نظرية التقليد والمحاكاة.

د- نظرية الغريرة الكلامية.

وليس في أدلة أي من تلك النظريات ما تطمئن إليه النفوس ، ويخل منها محل القطع ، أو الظن القريب منه.

وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين هذه النظريات جميعاً.

١٥ - كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية الهندية القديمة في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية ، وبيان فصائل اللغات ، وتقسيمها.

١٦ - ورد في البحث دراسة للهجات العربية ، والمنطق العربي.

١٧ - نهض الإسلام بالعربية أيا نهوض؛ حيث ارتفعت اللغة في صدر الإسلام

إلى طورها الأعلى؛ بسبب ما جاء به القرآن الحكيم من صور النظم البديع، وما تفجر في أقوال النبي ﷺ من ينابيع الفصاحة، وما أفضله الإسلام على العقول من الأفكار، ومطارحة الأراء.

١٨ - من مظاهر نهوض الإسلام بالعربية: سمو الأغراض، وتهذيب الألفاظ، واكتساب كثير من الألفاظ دلالة خاصة، وظهور كثير من الألفاظ الإدارية والسياسية، وتهيؤ اللغة العربية لاستيعاب كافة العلوم، ودخول كثير من المصطلحات العلمية.

١٩ - للغة العربية فضل وامتياز عن غيرها من اللغات، وذلك من جهات عديدة: من جهة اعتدال كلماتها، وفصاحة مفرداتها، وتعدد أساليبها، وطرق اختصارها، وارتقاؤها مع المدنية، وأنها أقرب لغات الدنيا إلى قواعد المنطق.

٢٠ - لنظام العربية اللغوي أسرار لطيفة بد菊花 تشبه النظام النفسي من حيث تعلقه بالحكمة التي تضبط عواطف النفس وخطراتها.

٢١ - **المُرَبِّ** أحد الموضوعات التي تبحث في فقه اللغة:
أ- وهو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضعية لمعانٍ في غير لغتها، أو هو ما تفوّهت به العرب على غير منهاجها.

ب- يُعرَف بعدة أسماء تدل عليه، منها: التعرّيب، الدخيل، المولد.

ج- اختلف العلماء في وقوع المُرَبِّ في القرآن الكريم على ثلاثة أقوال:
القول الأول: قول القائلين بالمنع.

القول الثاني: قول القائلين بوقوعه.

- القول الثالث : التوفيق بين الرأيين ، والجمع بين القولين.
- د- أَلْفُ في المَعْرُب كتب أشهرها : (المَعْرُب) للجواليقي.
- هـ- تُعرَف عجمة الاسم بعلاماتٍ ذُكِرَ عدد منها في البحث.
- و- هناك دوافع للتعرّيب ، منها: الحاجة ، أو الضرورة ، ومنها الإلغاز ، والإغواب ، والإعجاب ، وخفة اللفظ الأعجمي.
- ز- للعرب طريقة للتعامل مع الألفاظ الأعجمية ، وقد بين ذلك العلماء الذين تكلموا على العرب.
- ح- بحث المحدثون موضوع التعرّيب ، منهم من منعه ، ومنهم من أجازه.
- ط- للتعرّيب حسنات ولكن يقف دونها عقبات ، منها: تشتت الجهد ، وفقدان التطبيق ، والتأخير في تعريف المصطلحات ، ونقل المصطلحات الجديدة دون تحري الدقة.
- ٢٢- المشترك من موضوعات فقه اللغة :
- أ- يُعرَف المشترك بتعرّيفات عديدة أختصرها : أنه ما تحد لفظه ، وخالف معناه.
- ب- اختلف الناس في المشترك ؛ فأبيته قوم ، ونفاه آخرون.
- ج- من أشهر أمثلة المشترك لفظ (العين) حيث تطلق على معاني كثيرة جداً ، فتطلق على النقد ، وعين الماء ، وعين الشمس ، وتطلق على الجاسوس ، والباصرة.
- د- ورد في البحث بيان العلاقة بين المشترك والمتواطئ.
- هـ- وخلاصة ذلك أن المشترك : ما تحد لفظه ، وخالف معناه - كما مر-.

والمتواطئ: ما تحد لفظه ، و معناه.

٢٣- المتضاد من موضوعات فقه اللغة ، ويقال له - أيضاً- الأضداد:

أ- يعرف المتضاد بأنه: دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين ، ويعرف أيضاً- بـ: أنه الكلمات التي تؤدي إلى معنيين بلفظ واحد.

مثاله: (الجون) يطلق على الأبيض والأسود.

بـ- المتضاد نوع من المشترك؛ فالمشترك أعم من المتضاد ، فكل متضاد مشترك ، ولا عكس.

جـ- يفهم المراد من اللفظ إذا كان متضاداً من خلال السياق.

دـ- اختلف العلماء في وقوع المتضاد فمنهم من قال: بوقوعه ، ومنهم من أنكره ، ومنهم من قال بوجوده ، وعدوا ذلك منقصة للعرب ، ومنهم من قال بوقوعه ، وأنكروا على من تعسف في إنكاره ، وعلى من بالغ في إثباته.

هـ- ألف في الأضداد كتب أشهرها كتاب (الأضداد) لابن الأنباري.

٢٤- المترادف من موضوعات فقه اللغة ، ويسمى الترادف ، والمرادف أيضاً:

أ- تعريفه: المترادف: ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة ، أو هو ما اتحد معناه ، و اختلف لفظه ، مثل: السيف ، والباتر ، والمهند ، وغيرها. فكلها ألفاظ تدل على مسمى واحد.

بـ- وقع الاختلاف في الترادف

جـ- ل الواقع المترادف عند القائلين به فوائد عديدة قد ذكر شيء منها في البحث.

د- **ألف** في المترادف كتب عديدة ، منها : (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوه) للفيروزأبادي.

٢٥- الاشتقاد أحد موضوعات فقه اللغة :

أ- تعريفه : عرف بتعريفات عديدة منها : أنه عملية استخراج لفظ من لفظ ، أو صيغة من صيغة أخرى مثل : ضارب ، مضروب من ضرب .

ب- ورد في البحث أقوال العلماء في وقوع الاشتقاد ، وبيان التغييرات بين الأصل المشتق منه ، والفرع المشتق .

ج- أفرد الاشتقاد بالتأليف جماعة من المتقدمين كالأصمسي ، وقطرب ، والتأخرین كعبد الله أمین .

د- هناك تقييمات للاشتقاد وهي :

الاشتقاق الصرفي أو الصغير ، والاشتقاق الكبير ، والاشتقاق الكبار .

٢٦- القياس أحد موضوعات فقه اللغة :

أ- تعريفه : قيل : هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه .
وقيل : هو رد الشيء إلى نظيره ، واكتشاف المجهول من المعلوم .

ب- أركان القياس : المقياس عليه : وهو الأصل المعلوم .
والمقياس : وهو المجهول .

والشبه : وهو العلاقة ، أو العلة الجامعة .

والحكم : وهو ما يرى على المقياس مما هو في المقياس عليه .

ج- ورد في البحث بيان لأنواع القياس ، وأراء العلماء فيه ، وطريقتهم في

استنباط قواعد القياس ، وأسباب اختلافهم فيه.

دـ ورد في البحث -أيضاً- تقسيم اللغة من حيث القياس الاستعمالي ، والكتب المؤلفة في القياس ، وال الحاجة إلى القياس في اللغة .
كما ورد فيه القياس عند المحدثين .

٢٧- الإبدال أحد موضوعات فقه اللغة :

أـ تعريفه : الإبدال في الأصل : جعل الشيء مكان شيء آخر .
- الإبدال الصريفي : هو جعل حرف مكان حرف آخر .
- الإبدال اللغوي : عند المتسعين : هو وضع حرف مكان حرف في الكلمة مع الاتفاق بين الكلمتين في المعنى ، أو تقاربهما .

وعند غير المتسعين : هو إبدال حرف مكان حرف مع تقاربهما في المخرج ، واتحاد الكلمتين في المعنى والمكان ، وألا يتصرف أحدهما تصرفاً كاملاً .

بـ هناك فروق بين الإبدال الصريفي والإبدال اللغوي .
جـ هناك كتب مؤلفة في الإبدال أشهرها كتاب (القلب والإبدال) لابن السكيت .

وأما الكتب التي تكلمت عنه ضمناً فأشهرها كتاب (صناعة الإعراب) لابن جني .

دـ هناك أسباب لحدوث الإبدال أشهرها : اختلاف اللهجات العربية ، والتقارب الصوتي ، والتحريف ، والتصحيف .

هـ هناك أمور يُتوصل من خلالها إلى معرفة الأصل من الكلمتين اللتين

أبدلت إحداهما من الأخرى، وأشهرها: كثرة الاستعمال، وكثره التصرف، وأن ينص أحد من العلماء على الأصل.

وـ هناك آثار للتوسيع في الإبدال نتج عنها عرض بعض المسائل التي يتبيّن من خلالها العلاقة بين الإبدال وغيره من موضوعات فقه اللغة كالترادف، والاستدراق، وغيرها.

٢٨- القلب المكاني أحد موضوعات فقه اللغة :

- أـ تعريفه: القلب في اللغة: هو تحويل الشيء عن وجهه.
- في الاصطلاح: تقديم وتأخير في بعض حروف اللفظة الواحدة، فتنطق على صورتين بمعنى واحد، مثاله: جذب ، وجذب.
- بـ اختلف العلماء في القلب فمنهم من يراه ويتوسعه، ومنهم من يضيقه، ومنهم من أنكره.

٢٩- المشجر أحد موضوعات فقه اللغة :

- أـ تعريفه: المشجر في اللغة: ما دل على تداخل الشيء بعضه في بعض.
- في الاصطلاح: أن يؤتى بالكلمة المشتركة كالعين - مثلاً - فتعد شجرة يفرع من معانيها المختلفة فروعً، فيترسل في تفسير الكلام على الوجه المشترك حتى تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر.

- بـ أول من وضع كتاباً في ذلك أبو عمر المطرز سماه (المدخل في اللغة) وكذلك أبو الطيب اللغوي فعل كتاباً سماه (شجر الدر) ثم جاء أبو طاهر محمد بن يوسف التميمي فوضع كتابه الذي سماه (المسلسل).

ج- سبب التسمية: سمي المشجر بذلك لاشتجار بعض كلماته بعض أي تداخلها.

د- مثال للمشجر: العين عين الوجه، والوجه القصد، والقصد الكسر، وهكذا...

٣٠- الإتباع أحد موضوعات فقه اللغة:

أ- تعريفه: الاتباع في اللغة: هو السير في الأثر.

ـ في الاصطلاح: هو أن تُتبع الكلمة على وزنها، أو رويها إشباعاً أو تأكيداً.
مثال ذلك: قولهم: ساغب لاغب، خراب يباب.

ب- ورد في البحث ذكر لفرق بين الإتباع والترادف، وأمثلة أخرى للإتباع.

٣١- النحت أحد موضوعات فقه اللغة:

أ- تعريفه: النحت في اللغة: هو مصدر الفعل نحت ينحت نحناً، أي شقّه وبراه، وهذبه.

ـ وفي الاصطلاح: هو أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، مثل عبشي من عبد شمس.

ب- النحت لون من ألوان الاختصار.

ج- النحت كان معروفاً عند القدماء، ولكنهم لم يعنوا به.

د- يعد ابن فارس رائد هذا المضمار.

هـ- أقسام النحت أربعة: النسبي، والفعلي، والوصفي، والاسمي.

وـ- عني المحدثون بالنحت، وجعلوه لوناً من ألوان الاشتقاد، ومن عوامل

تنمية اللغة.

ز- حصل الخلاف بين المحدثين في النحو.

ح- الذي قالوا بوقوعه قيده بشروط منه الضرورة، ومراعاة أساليب العرب ، والتناسب الصوتي.

٣٢- المجاز أحد وسائل تنمية اللغة :

تعريفه : المجاز في اللغة : اسم مكان كالمطاف ، والمزار.

- في الاصطلاح : هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

- مثاله : رأيت أسدًا يكر بسيفه.

ب- الحقيقة : استعمال اللفظ في ما وضع له في الأصل.

ج- ورد في البحث أمثلة لألفاظ يتبيّن بها الحقيقة من المجاز ، وبيان لكيفية التفرقة بين الحقيقة والمجاز ، وسبب تسمية المجاز ، وأن كل مجاز له حقيقة ، وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز ، وأن الأصل في الكلام الحقيقة ، ولا ينصرف إلى المجاز إلا بقرينة.

د- اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن على ثلاثة

أقوال :

أحدها : أن المجاز واقع في اللغة والقرآن.

الثاني : إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن.

الثالث : وقوعه في اللغة دون القرآن.

هـ ورد في البحث بيان لحجج القائلين بمنعه ووقوعه.

٣٣- المعاجم اللغوية أحد موضوعات فقه اللغة:

أـ تعريف المعجم في الاصطلاح: هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نحط معين، مشروحة شرعاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده.

بـ المدارس المعجمية: المدرسة الأولى: مدرسة التقليبات بنوعيها: الصوتية، والأبجدية.

وأول من ابتكرها صاحب أول معجم شامل في العربية وهو الخليل بن أحمد في كتابه (العين) حيث جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في مكان واحد مراعياً بذلك الناحية الصوتية، وهو يبدأ بأبعد الحروف مخرجاً.

وهذا تأليفه للحروف:

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ي / همزة.

وقد تبعه على هذه الطريقة علماء كثيرون أشهرهم: القالي في معجمه (البارك) والأزهري في (التهذيب)، وابن سيده في (المحكم).

ومن أخذ بهذه الطريقة ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) حيث راعى نظام التقليبات الأبجدية، ولم يتبعه أحد على هذه الطريقة.

المدرسة المعجمية الثانية: مدرسة القافية: وهي التي تجعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً على حسب حروف الهجاء.

وأول من وضعها في معجم شامل هو الجوهرى في معجمه (الصحاح) وتبعه على هذا النظم كثير من أصحاب المعاجم منهم ابن منظور في (السان العرب) والفiroز أبادى في (قاموس المحيط).

المدرسة المعجمية الثالثة: المدرسة الأبجدية العادية: وهي التي اتبع فيها أصحابها ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث.

وهذه الطريقة أيسر من الطريقتين السابقتين، وأول من وضعها أحمد بن فارس في معجميه (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة).

ج- ورد في البحث دراسة لهذه المدارس المعجمية، ولبعض أصحابها، وكتبهم.

٣٤- واجهت اللغة العربية تحديات كبيرة سواء كان ذلك من قبل أعدائها، أو من قبل بعض المتسببين إليها.

٣٥- ورد في البحث دراسة لظاهرة الإعراب:

أ- الإعراب معلم من معالم العربية، ومفخرة من مفاخرها.

ب- الإعراب في اللغة: الإبانة والإفصاح.

- في الاصطلاح: أثر ظاهر، أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة.

والمراد بالأثر الظاهر: ما يلفظ به، وبالقدر: ما ينوي من ذلك.

ج- البناء في اصطلاح النحو: هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة.

د- يرى علماء العربية، وجميع النحاة إلا من شذ منهم أهمية الإعراب، وأن علاماته وألقابه دلالاتٍ معينةً، وأغراضًاً معنوية؛ فهي تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو غير ذلك.

٣٦- إنكار الإعراب:

- أ- إنكار الإعراب ظاهرة غريبة، وقضية تستحق الوقوف عندها، وبيان خطرها، وصدّ عاديتها.
- ب- لم يخالف النحاة في القديم في دلالة الإعراب إلا محمد المستير المعروف بـ: قطرب؛ فهو أول من قال بإنكار الإعراب في القديم؛ فهو يرى أن حركات الإعراب إنما جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين.
- ج- من المستشرقين من يرى الإعراب، ومنهم من لا يراه.

د- لم ت تعرض اللغة العربية لنقد أحد من أبنائها قديماً وحديثاً كما تعرضت من قبل د. إبراهيم أنيس وذلك في كتابه (أسرار اللغة) وبالذات في الفصل الذي عقده بعنوان (قصة الإعراب).

وكان يريد من ذلك أن يصل إلى أن الإعراب من صنيع النحاة، وليس سليقة، وأن اللغة مصنوعة، وعلامات الإعراب ليس لها دلالة.

٣٧- القول بإنكار الإعراب واضح البطلان، وذلك من وجوه عديدة ورد ذكرها في البحث.

٣٧- من القضايا التي تواجه العربية، الدعوة إلى العامية، وتيسير النحو، والخط العربي:

أ- هذه الدعاوى داخلة تحت المشكلات التي تواجه العربية، وتسعى إلى إضعاف سلطانها في نفوس أهلها.

ب- اللغة مرتبطة بالدين والأمة، والأعداء يدركون أهمية اللغة، وأثراها في

وحدة الأمة.

جـ- هذه الدعوات تستهدف غايتين: إحداهما: تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة ، والأخرى: قطع ما بين المسلمين وبين قدیهم وترانیهم.

د- بدأت تلك الدعوات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك عن طريق بعض المجالس ، وبعض النصرين والمستشرقين ، وكانت بدايتها في مصر؛ نظراً لمكانتها العلمية والثقافية.

هـ أبطل المدافعون عن العربية كل مزاعم خصومها، وردوا على جميع شبههم وقد ورد في الكتاب تفصيل لذلك.

هذا أهم ما ورد في البحث على سبيل الإجمال، والله المستعان، وعليه التكلان.

وصلی الله وسلم علی نبینا محمد، وعلی آله وصحبہ أجمعین.

الفهرس

	المقدمة
٣	
٧	مدخل
١٣	الباب الأول: دراسة عامة لغة وفقه اللغة
١٥	الفصل الأول: تعاريفات ومقدمات
١٧	المبحث الأول: مفهوم مصطلح فقه اللغة
١٧	أولاً: تعريف مفهوم اللغة باعتبار مفرديه
١٩	ثانياً: تعريف فقه اللغة باعتبار تركيبه
٢٠	ثالثاً: مصطلح علم اللغة
٢٠	رابعاً: الخلط بين المصطلحين
٢٣	المبحث الثاني: موضوعات فقه اللغة
٢٥	المبحث الثالث: أهداف فقه اللغة، وثراته، وغاياته
٢٧	المبحث الرابع: مناهج البحث اللغوي:
٢٧	١- المنهج الوصفي
٢٧	٢- المنهج التاريخي
٢٧	٣- المنهج المقارن
٢٨	٤- المنهج العام
٢٩	المبحث الخامس: علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى
٢٩	- علاقة فقه اللغة بالعلوم الشرعية عموماً
٣٠	- علاقة فقه اللغة بعلم الطب

٣٠	- علاقـة فـقهـة اللـغـة بـعـلـم الـنـفـس
٣٠	- عـلاقـة فـقهـة اللـغـة بـالتـارـيخ وـالـجـغرـافـيـا
٣٢	المـبـحـث السـادـس : اهـتـمـام الإـنـسـان بـالـلـغـة
٣٤	المـبـحـث السـابـع : جـهـودـهـاـلـلـعـلـمـاءـفـيـالـتـالـيـفـفـيـالـلـغـةـالـعـرـبـيـةـ:
٣٤	- أـبـرـزـلـلـغـوـيـنـالـذـيـنـعـنـواـبـجـمـعـالـلـغـةـ
٣٥	- نـوـعـيـةـالـتـالـيـفـفـيـذـلـكـالـوقـتـ
٣٥	- ثـمـاذـجـمـنـتـلـكـالـتـالـيـفـ
٣٦	- أـبـرـزـالـمـؤـلـفـاتـالـلـغـوـيـةـفـيـالـقـرـنـالـثـانـيـالـهـجـرـيـ
٣٩	الفـصـلـالـثـانـيـ: درـاسـةـعـامـةـفـيـفـقـهـالـلـغـةـ
٤١	المـبـحـثـالـأـوـلـ: بـدـايـةـظـهـورـفـقـهـالـلـغـةـكـلـمـعـمـسـتـقـلـ، وـأـشـهـرـالـمـؤـلـفـاتـفـيـهـ:
٤١	- كـتـابـالـصـاحـبـيـلـاـبـنـفـارـسـ
٤٥	- كـتـابـالـخـصـائـصـ، وـسـرـصـنـاعـةـالـإـعـرـابـلـاـبـنـجـنـيـ
٤٦	- كـتـبـأـخـرىـمـوـلـفـةـفـيـفـقـهـالـلـغـةـ
٤٦	- فـقـهـالـلـغـةـوـسـرـالـعـرـبـيـلـأـبـيـمـنـصـورـالـشـعـالـبـيـ
٤٧	- المـخـصـصـلـاـبـنـسـيـدـهـ
٤٧	- المـعـرـبـلـأـبـيـمـنـصـورـالـجـوـالـيـقـيـ
٤٧	- المـزـهـرـفـيـعـلـومـالـلـغـةـوـأـنـوـاعـهـاـلـلـسـيـوـطـيـ
٤٨	- الـمـؤـلـفـاتـالـحـدـيـثـةـفـيـفـقـهـالـلـغـةـ
٥٢	المـبـحـثـالـثـانـيـ: أـصـلـنـشـأـةـالـلـغـةـ، وـأـشـهـرـالـنـظـرـيـاتـفـيـذـلـكـ
٥٣	- نـبـذـةـمـوجـزـةـعـنـالـنـظـرـيـاتـالـأـرـبـعـ

٥٣	النظرية الأولى : نظرية التوفيق والإلهام
٥٦	النظرية الثانية : نظرية التواضع والاصطلاح
٥٨	النظرية الثالثة : نظرية المحاكاة والتقليد
٥٩	النظرية الرابعة : نظرية الغريرة الكلامية
٦٠	- هل يمكن التوفيق بين النظريات السابقة؟
٦٢	المبحث الثالث : فصائل اللغات
٦٣	- الغرض من دراسة الفصائل اللغوية
٦٣	- أشهر النظريات في تقسيم اللغات في العالم
٦٤	النظرية الأولى : وهي التي تعتمد على الدراسة الوصفية والتشكيلية للغات
٦٤	- تقسيم اللغات عند صاحب هذه النظرية
٦٥	النظرية الثانية : وهي التي تعتمد على الصلات وروابط القربي ، والعلاقات التاريخية والجغرافية بين الشعوب
٦٥	- أشهر تقسيم للغات سار في هذا الاتجاه
٦٥	- فصائل اللغات في العالم
٦٧	- تقسيم العلماء المحدثين
٦٨	المبحث الرابع : اللغات السامية : المراد بها ، نسبتها
٦٨	- اختيار الباحثين الغربيين لهذه التسمية
٦٩	- تنبئه : حول أول من تَنَبَّأَ إلى الصلات والروابط بين الشعوب السامية
٧١	المبحث الخامس : بداية البحث التاريخي والمقارن للغات السامية وفائدة ذلك

٧٢	المبحث السادس : الموطن الأول للساميين
٧٢	- أشهر ما قيل في ذلك
٧٤	- أرجح الآراء وأدلة القائلين به
٧٦	المبحث السابع : الخصائص المشتركة للغات السامية :
٧٦	- أسباب كثرة الروابط بين اللغات السامية
٧٧	- أهم الخصائص التي تجمع اللغات السامية
٧٩	- أقدم لغة سامية
٨١	الفصل الثالث: دراسة اللهجات العربية، والمنطق العربي
٨٣	- تمهيد
٨٥	المبحث الأول : مسائل في اللهجات
٨٥	أولاً : معنى اللهجة
٨٥	ثانياً : اقسام اللهجات والعلاقة بينها
٨٦	ثالثاً : أسباب حدوث اللهجات
٨٧	رابعاً : اللهجة الخاصة
٨٨	خامساً : اللغة المشتركة
٨٨	سادساً : لماذا ندرس اللهجات؟
٩٠	المبحث الثاني : دراسة اللهجات العربية
٩٠	- اختلاف العلماء في نسبة اللهجة إلى القبائل
٩١	- تقسيم أنواع الاختلاف
٩١	القسم الأول : لغات منسوبة ملقبة ، أمثلة على ذلك :
٩١	١ - الكشكشة
٩٣	٢ - الككسسة

٩٣	٣- الشنشنة
٩٣	٤- التلتلة
٩٤	٥- الطمطمائية
٩٤	٦- العنعة
٩٤	٧- العجعجة
٩٥	٨- الوم
٩٥	٩- الوكم
٩٦	١٠- الوهم
٩٦	١١- الاستنطاء
٩٦	١٢- القُطْعَة
٩٦	١٣- اللخلخائية

القسم الثاني: لغات منسوبة غير مُلقبة تجري في إيدال

٩٦	الحرروف ، أمثلة على ذلك :
٩٦	١- في لغة مازن
٩٦	٢- في لغة طيء
٩٧	٣- في لغة طيء - أيضاً
٩٧	٤- في لغة طيء على ما رواه ابن السكين
٩٧	٥- في لغة تميم
٩٧	٦- في لغة هذيل
٩٧	٧- في لغة خشعم وزبيد
٩٨	٨- في لغة بلحرث
٩٨	٩- في لغة بلحرث وخثعم وكتانة

القسم الثالث: من تغيير الحركات في الكلمة الواحدة

٩٨ حسب اختلاف اللهجات، أمثلة على ذلك

القسم الرابع: وهو لغات غير منسوبة ولا ملقبة، أمثلة

٩٩ على ذلك :

١٠٠ ١ - إيدال أو آخر بعض الكلمات المجرورة ياء

١٠٠ ٢ - من العرب من يجعل الكاف جيماً

القسم الخامس: وهو ما يرونـه على أنه لـغـة في

١٠٠ الكلام، أو لـغـة من المتكلـم، أمثلة على ذلك :

١٠١ **المبحث الثالث:** صفات الحروف ومخارجها :

١٠١ أولاً : صفات الحروف :

١٠٢ ١ - الحرف المهموس

١٠٢ ٢ - الحرف المجهور

١٠٢ ٣ - الشديد

١٠٢ ٤ - الرخو

١٠٢ ٥ - الحرف الذي هو بين بين

١٠٣ ٦ - الاستعلاء

١٠٣ ٧ - الاستفال

١٠٣ ٨ - الإطباقي

١٠٣ ٩ - الافتتاح

١٠٣ ١٠ - التفخيم

١٠٣ ١١ - الترقيق

١٠٣ ١٢ - التفشي

١٠٤	١٣ - التكرير
١٠٤	١٤ - الاستطالة
١٠٤	١٥ - الغنة
١٠٤	١٦ - الذلقة
١٠٤	١٧ - المد
١٠٥	١٨ - الصفير
١٠٥	١٩ - القلقلة
١٠٥	ثانياً: مخارج الحروف
١٠٥	١ - (ا، و، ي)
١٠٥	٢ - (ء، هـ)
١٠٥	٣ - (ع، ح)
١٠٥	٤ - (غ، خ)
١٠٥	٥ - (ق)
١٠٥	٦ - (ك)
١٠٥	٧ - (ج، ش، ي)
١٠٦	٨ - (ض)
١٠٦	٩ - (ل)
١٠٦	١٠ - (ر، ن)
١٠٦	١١ - (ط، د، ت)
١٠٦	١٢ - (ص، س، ز)
١٠٦	١٣ - (ظ، ذ، ث)
١٠٦	١٤ - (ف)

١٠٦	١٥ - (ب، م، و)
١٠٧	المبحث الرابع: عيوب المنطق العربي:
١٠٧	١ - التمتمة
١٠٧	٢ - الفأفة
١٠٧	٣ - العقلة
١٠٧	٤ - الحبسة
١٠٧	٥ - اللفف
١٠٧	٦ - الرتة
١٠٧	٧ - الغمغمة
١٠٧	٨ - الطقطمة
١٠٧	٩ - اللكتة
١٠٨	١٠ - الغنة
١٠٨	١١ - الخنة
١٠٨	١٢ - الترخيم
١٠٨	١٣ - اللثفة
الفصل الرابع: اللغة العربية: فضلها، أثر الإسلام فيها، عوامل سعادتها	
١٠٩	سيادتها
١١١	المبحث الأول: لهجة قريش ، وعوامل سيادتها :
١١١	أولاً : سيادة لهجة قريش
١١١	- كلمة للفارابي وبن فارس
١١٣	ثانياً : عوامل سيادة لهجة قريش :
١١٣	١ - المكانة الدينية لموقع قريش

١١٣	٢- العامل الاقتصادي
١١٣	٣- العامل الثقافي
١١٤	٤- العامل السياسي والجغرافي
١١٤	٥- أيام العرب
١١٥	٦- سعة لغة قريش وغزارتها
١١٥	٧- نزول القرآن بها
١١٦	المبحث الثاني : نهوض الإسلام بالعربية :
١١٦	أولاً : تأثير الإسلام في اللغة
١١٧	ثانياً: الأسباب التي ارتفعت بها اللغة في صدر الإسلام :
١١٧	١- ما جاء به القرآن الحكيم
١١٧	٢- ما تفجّر في أقوال النبي ﷺ من ينابيع الفصاحة
١١٧	٣- ما أفضّل الإسلام على العقول
١١٨	ثالثاً: مظاهر نهوض الإسلام بالعربية :
١١٨	١- سمو الأغراض ، وتهذب الألفاظ
١١٨	٢- أن كثيراً من الألفاظ اكتسبت دلالة خاصة
١١٨	٣- ظهور كثير من الألفاظ الإدارية والسياسية
١١٨	٤- أن اللغة تهيأت لاستيعاب كافة العلوم
١١٩	٥- دخول كثير من المصطلحات العلمية
١٢٠	٦- دخول كثير من المصطلحات الوافية
١٢٠	- كلام جميل لابن فارس في نهوض الإسلام بالعربية
١٢٤	المبحث الثالث : فضل اللغة العربية
١٢٤	١- من جهة اعتدال كلماتها

١٢٤	٢- من جهة فصاحة مفرداتها
١٢٤	٣- أنها أقرب سائر لغات الدنيا إلى قواعد المنطق
١٢٥	٤- تعدد أساليبها
١٢٥	٥- طرق اختصارها
١٢٥	٦- ارتقاءها مع المدنية
١٢٥	- قصيدتان في فضل العربية للشيخ محمد الخضر حسين
١٢٦	القصيدة الأولى : فضل اللغة العربية
١٣٠	القصيدة الثانية : في افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي
١٣٤	المبحث الرابع : أسرار النظام اللغوي :
١٣٤	- رأي الرافعي في هذا النظام
١٣٤	- ابن جنبي أول من ناهض هذا البحث
١٣٤	أولاً : نظام الألفاظ بالمعاني : ستة أمثلة على ذلك
١٣٨	ثانياً : نظام المعاني بالألفاظ
١٤٠	ثالثاً : نظام القرينة
١٤١	- تسعة عشر مثالاً يتحقق فيها نظام القرينة
١٤٥	الباب الثاني: دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة
١٤٧	الفصل الأول: المُعَرب
١٤٩	أولاً : تعريفه
١٤٩	ثانياً : أسماؤه
١٥٠	ثالثاً : الخلاف في المُعَرب
١٥٠	القول الأول : قول القائلين بالمنع
١٥١	القول الثاني : قول القائلين بوقوعه

١٥٢	القول الثالث : التوفيق بين الرأيين والجمع بين القولين
١٥٣	رابعاً : المؤلفات في المغرب
١٥٥	خامساً : علامات العجمة أو المغرب
١٥٧	سادساً : دوافع التعريب
١٥٨	سابعاً : الألفاظ المعرفة في القرآن
١٦٠	ثامناً : طريقة العرب في التعامل مع الألفاظ الأعجمية
١٦٣	تاسعاً : التعريب عند المحدثين
١٦٤	عاشرأً : معوقات التعريب
١٦٧	الفصل الثاني: المشترك، والمتضاد، والمترادف
١٦٩	المبحث الأول : المشترك
١٧٩	أولاً : تعريفه
١٧٠	ثانياً : الخلاف في وقوعه
١٧٢	ثالثاً : أمثلة من المشترك
١٧٣	رابعاً : لطائف من المشترك
١٧٤	خامساً : العلاقة بين المشترك والمتواطئ
١٧٧	المبحث الثاني : المضاد
١٧٧	أولاً : تعريفه
١٧٧	ثانياً : الفرق بين المشترك والمضاد
١٧٨	ثالثاً : كيف يفهم المراد من اللفظ إذا كان متصاداً؟
١٧٩	رابعاً : الخلاف في وقوع الأضداد
١٨٢	خامساً : المؤلفات في الأضداد
١٨٣	سادساً : أمثلة وشواهد للأضداد

١٨٦	المبحث الثالث : المترادف
١٨٦	أولاً : تعريفه
١٨٧	ثانياً : سبب التسمية
١٨٧	ثالثاً : الخلاف في وقوعه
١٩٠	رابعاً : أسباب وقوع الترادف
١٩٠	خامساً : فوائد المترادف
١٩١	سادساً : المؤلفات في المترادف
١٩٢	سابعاً : أمثلة من المترادف
١٩٥	الفصل الثالث: الاشتقاق، والقياس
١٩٧	المبحث الأول : الاشتقاق
١٩٧	أولاً : تعريف الاشتقاق
١٩٨	- أمثلة على الاشتقاق
١٩٨	- طريقة معرفة الاشتقاق
١٩٩	ثانياً : أقوال العلماء في وقوع الاشتقاق في اللغة
٢٠٠	ثالثاً : التغيرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق
٢٠١	رابعاً : المؤلفات في الاشتقاق
٢٠٢	خامساً : أقسام الاشتقاق
٢٠٤	- تقسيمات أخرى لبعض المحدثين
٢٠٦	سادساً : من آراء ابن جني في الاشتقاق
٢٠٩	المبحث الثاني : القياس
٢٠٩	أولاً : تعريفه
٢٠٩	أ- تعريفه في اللغة والشرع

٢٠٩	بـ- مفهوم القياس عند علماء النحو واللغة
٢١٠	جـ- أركان القياس
٢١١	ثانياً : أنواع القياس
٢١٣	ثالثاً : آراء العلماء في القياس
٢١٥	رابعاً : طريقة العلماء في استنباط قواعد القياس
٢١٥	خامساً : أسباب اختلاف العلماء في القياس
٢١٧	سادساً : تقسيم اللغة من حيث القياس والاستعمال
٢١٨	سابعاً : الكتب المؤلفة في القياس
٢١٩	ثامناً : الحاجة إلى القياس في اللغة
٢٢١	تاسعاً : المحدثون والقياس
٢٢٥	الفصل الرابع: الإبدال، والقلب المكاني
٢٢٧	المبحث الأول: الإبدال
٢٢٧	أولاً : تعريف الإبدال ، وأمثلة له
٢٢٨	ثانياً : أمثلة أخرى للإبدال
٢٣٠	ثالثاً : الفروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي
٢٣١	رابعاً : التأليف في الإبدال
٢٣٢	خامساً : أسباب حدوث الإبدال
٢٣٤	سادساً : الإبدال بين المتوسعين فيه والمضيقين له
٢٣٩	سابعاً : كيفية معرفة الأصل في الإبدال
٢٤٠	ثامناً : آثار التوسيع في الإبدال
٢٤٣	المبحث الثاني: القلب المكاني
٢٤٣	أولاً : تعريفه

٢٤٣	ثانياً: آراء العلماء في القلب المكاني
٢٤٦	ثالثاً: من الأمثلة على القلب
٢٤٩	الفصل الخامس: المشجر، والإتباع، والنحت
٢٥١	المبحث الأول: المشجر
٢٥١	أولاً: تعريفه
٢٥٢	ثانياً: التأليف المشجر
٢٥٢	ثالثاً: سبب التسمية
٢٥٢	رابعاً: أمثلة للمشجر
٢٠٠	المبحث الثاني: الإتباع
٢٠٥	أولاً: تعريفه
٢٠٥	ثانياً: سبب التسمية
٢٠٥	ثالثاً: الفرق بين الإتباع والمتزادف ، والإتباع والتأكد
٢٥٦	رابعاً: أمثلة للإتباع
٢٥٧	المبحث الثالث: النحت
٢٥٧	أولاً: تعريفه
٢٥٨	ثانياً: شروط النحت
٢٥٨	ثالثاً: أهم طرق النحت
٢٥٩	رابعاً: النحت عند العلماء
٢٦٢	خامساً: أقسام النحت
٢٦٣	سادساً: أمثلة للنحت
٢٦٤	سابعاً: النحت عند المحدثين
٢٦٦	ثامناً: أسماء بعض الذين عنوا بالنحت من المحدثين ، ونماذج مما

وضعوه من الألفاظ المنحوتة	
٢٦٩	الفصل السادس: المجاز
٢٧١	أولاً: تعريف الحقيقة
٢٧١	ثانياً: تعريف المجاز
٢٧٢	ثالثاً: شرح مفردات تعريف المجاز
٢٧٣	رابعاً: تطبيق
٢٧٤	خامساً: أمثلة لألفاظ يتبيّن فيها الحقيقة من المجاز
٢٧٤	سادساً: كيف يُفرَّق بين الحقيقة والمجاز؟
٢٧٤	سابعاً: لم سمي المجاز بهذا الاسم؟
٢٧٥	ثامناً: هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟
٢٧٥	تاسعاً: هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز؟
٢٧٥	عاشرأً: اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز
٢٧٦	حادي عشر: حجة القائلين بمنعه
٢٧٨	ثاني عشر: مناقشة مبتيّي المجاز لمنكريه
٢٨٣	ثالث عشر: خاتمة الحديث عن المجاز
٢٨٩	الباب الثالث: دراسات في المعاجم العربية
٢٩١	مدخل
٢٩٣	الفصل الأول: مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية
٢٩٥	المبحث الأول: مفهوم المعجم:
٢٩٥	المسألة الأولى: تعريف المعجم
٢٩٧	المسألة الثانية: تبيّنه حول إطلاق كلمة المعجم
٢٩٨	المسألة الثالثة: أنواع المعاجم

٣٠٠	المبحث الثاني : المدارس المعجمية :
٣٠٠	أولاً : مدرسة التقليبات
٣٠٢	ثانياً : مدرسة القافية ، أو نظام القافية
٣٠٢	ثالثاً : مدرسة الأبجدية العادية
٣٠٥	الفصل الثاني: دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات
٣٠٨	المبحث الأول : الكتاب الأول : كتاب العين :
٣٠٨	أولاً : صاحبه
٣٠٩	ثانياً : الاهتمام بكتاب العين وخلاصة الآراء حوله
٣١١	- الرأي الراجح حول كتاب العين
٣١١	ثالثاً : المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين
٣١٣	رابعاً : المأخذ على كتاب العين
٣١٦	المبحث الثاني : الكتاب الثاني : تهذيب اللغة :
٣١٦	أولاً : صاحبه
٣١٧	ثانياً : هدف الأزهري من التأليف
٣١٧	ثالثاً : منهجه
٣١٨	رابعاً : مميزات معجم التهذيب
٣١٨	خامساً : المأخذ على التهذيب
٣١٩	المبحث الثالث : الكتاب الثالث : الحكم والمحيط الأعظم :
٣١٩	أولاً : صاحبه
٣٢٠	ثانياً : هدفه من تأليف كتاب الحكم
٣٢٠	ثالثاً : منهجه
٣٢٠	رابعاً : مميزات معجم الحكم

٣٢١	خامساً: المآخذ على المعجم
٣٢٢	البحث الرابع: الكتاب الرابع: معجم الجمهرة:
٣٢٢	أولاً: صاحبه
٣٢٣	ثانياً: سبب التسمية، والهدف من الكتاب
٣٢٤	ثالثاً: إملاء ابن دريد الجمهرة
٣٢٤	رابعاً: منهجه
٣٢٧	خامساً: مميزات معجم الجمهرة
٣٢٧	سادساً: المآخذ على الجمهرة
الفصل الثالث: المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية، ودراسة بعض المعاجم التي تسير عليها تمهيد:	
٣٣١	أولاً: تعريف مدرسة القافية
٣٣٢	ثانياً: عدد الأبواب
٣٣٣	ثالثاً: سبب التسمية
٣٣٣	رابعاً: سبب التأليف على هذا النحو
٣٣٣	خامساً: ما سبب نظرهم إلى الحرف الأخير؟
٣٣٤	سادساً: أول من أنشأ هذه الطريقة
٣٣٤	سابعاً: أشهر المعاجم التي اتبعت نظام القافية
٣٣٥	المبحث الأول: المعجم الأول: تاج اللغة، وصحاح العربية:
٣٣٥	أولاً: صاحبه
٣٣٦	ثانياً: اسم المعجم
٣٣٧	ثالثاً: هدف الجوهرى من تأليفه

٣٣٧	رابعاً : منهجه
٣٣٩	خامساً : مميزات الصاحب
٣٤٠	سادساً : المآخذ على الصاحب
٣٤٢	المبحث الثاني : المعجم الثاني : لسان العرب :
٣٤٢	أولاً : صاحبه
٣٤٢	ثانياً : هدفه من تأليف لسان العرب
٣٤٣	ثالثاً : مراجعه
٣٤٣	رابعاً : منهجه
٣٤٤	خامساً : المميزات للسان العرب
٣٤٤	سادساً : المآخذ على لسان العرب
٣٤٥	المبحث الثالث : المعجم الثالث : القاموس المحيط :
٣٤٥	أولاً : صاحبه
٣٤٦	ثانياً : الهدف من تأليف القاموس
٣٤٦	ثالثاً : منهج الكتاب ومميزاته
٣٤٧	رابعاً : المآخذ على القاموس
٣٤٩	الفصل الرابع : المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبجدية العادية
٣٥١	تمهيد حول هذه المدارس :
٣٥١	أولاً : مفهوم الأبجدية العادية
٣٥١	ثانياً : أول من وضع هذه الطريقة
٣٥١	ثالثاً : المعاجم التي سارت على هذه الطريقة
٣٥٣	المبحث الأول : المعجم الأول : معجم محمّل اللغة :
٣٥٣	أولاً : صاحبه

٣٥٧	ثانياً : هدف ابن فارس من تأليف المجمل
٣٥٧	ثالثاً : منهجه
٣٦١	رابعاً : مميزات المجمل
٣٦١	خامساً : المأخذ على المجمل
٣٦٣	المبحث الثاني : المعجم الثاني : معجم مقاييس اللغة :
٣٦٣	أولاً : تعريف بمعجم المقاييس
٣٦٤	ثانياً : منهجه
٣٦٦	ثالثاً : مميزات المقاييس
٣٦٦	رابعاً : معنى الأصول والمقاييس
٣٦٩	خامساً : منهجه في المواد التي ليست أصولاً يقاس عليها
٣٧٠	سادساً : منهجه في الرباعي والخمساوي
٣٧٢	سابعاً : طريقة في المنحوت ، والمزيد ، والموضع
٣٧٣	ثامناً : خصائص معجم المقاييس
٣٧٣	تاسعاً : المأخذ على معجم المقاييس
٣٧٤	عاشرأً : أثر المقاييس في المعاجم الأخرى
٣٧٦	- خاتمة الحديث عن المعاجم
٣٧٩	الباب الرابع: مشكلات تواجه العربية
٣٨١	تمهيد
٣٨٣	الفصل الأول: ظاهرة الإعراب وانكارها
٣٨٥	المبحث الأول : ظاهرة الإعراب :
٣٨٥	أولاً : معنى الإعراب
٣٨٦	ثانياً : أهمية الإعراب وأقوال العلماء فيه

٣٩١	المبحث الثاني : إنكار الإعراب
٣٩١	- أول من قال به
٣٩١	- خلاصة رأي قطربي في الإعراب
٣٩٥	المبحث الثالث : المستشركون والإعراب
٣٩٥	أولاً : المستشركون الذين لا يرون الإعراب
٣٩٥	١ - كارل فوللرز
٣٩٦	٢ - كوهين
٣٩٦	٣ - باول كاله
٣٩٩	ثانياً : المستشركون الذين يرون الإعراب
٣٩٩	١ - المستشرق نولدكه
٤٠١	٢ - المستشرق يوهان فلك
٤٠٣	المبحث الرابع : قصة الإعراب عند د. إبراهيم أنيس
٤٠٦	- تلخيص لنظرية إبراهيم أنيس
٤١٢	المبحث الخامس : بطلان القول بإنكار الإعراب
٤٢١	الفصل الثاني : الدعوة إلى العامية، وتبسيير النحو، والخط العريبي
٤٢٣	المبحث الأول : مقدمات حول هذه الدعوى :
٤٢٣	أولاً : ارتباط اللغة بالدين والأمة
٤٢٦	ثانياً : إدراك الأعداء لأهمية اللغة
٤٢٧	ثالثاً : غاية هذه الدعوات
٤٢٧	رابعاً : نبذة تاريخية عن تلك الدعوات ، وبيان أشهر دعاتها
	- قصيدة حافظ إبراهيم (اللغة العربية تتعى حظها بين
٤٢٩	أهلها)

٤٣٢	- قصيدة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين (حياة اللغة العربية)
٤٣٨	المبحث الثاني : الدعوة إلى العامية :
٤٣٨	أولاً : مقدمة لهذه الدعوة
٤٣٩	ثانياً : أساليب الدعوة إلى العامية
٤٤٠	ثالثاً : حجج الداعين إلى العامية
٤٤٢	المبحث الثالث : الدعوة إلى تيسير النحو :
٤٤٢	أولاً : أسماء هذه الدعوة
٤٤٢	ثانياً : سبب ظهور هذه الدعوة
٤٤٢	ثالثاً : أول من نادى بهذه الفكرة
٤٤٤	رابعاً : دعاوى المنادين إلى تيسير النحو
٤٤٦	المبحث الرابع : الدعوة إلى تيسير الخط العربي
٤٤٩	المبحث الخامس : الرد على دعاوى العامية ، وتيسير النحو ، والخط العربي
٤٥٧	- خاتمة البحث وخلاصته
٤٧٣	